

فِي اللِّسَانِيَّاتِ الْعَامَّةِ

تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها

د. مصطفى غلفان



في اللسانيّات العامّة

تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها

الدكتور مصطفى خلفان

دار الكتاب الجديد المتحدة

في اللسانيات العامة: تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها

الدكتور مصطفى غلفان

© دار الكتاب الجديد المتحدة 2010

جميع الحقوق محفوظة للناسر بالتوافق مع المؤلف

الطبعة الأولى

كانون الثاني/يناير/أبي النار 2010 إفرنجي

موضوع الكتاب لسانيات

تصميم الغلاف دار الكتاب الجديد المتحدة

الحجم 24 x 17 سم

التجليد برش مع رده

ردمك ISBN 978-9959-29-504-0

(دار الكتب الوطنية/بنغازي - ليبيا)

رقم الإيداع المحلي 2009/361

دار الكتاب الجديد المتحدة

العنوان، شارع جوسنتيان، ستر أريكو، الطابق الخامس،

هاتف +961 1 75 03 04 + خليوي +961 3 93 39 89

+961 1 75 03 05 فاكس +961 1 75 03 07

ص.ب. 14/6703 بيروت - لبنان

بريد إلكتروني szrekany@lncd.com.lb

الموقع الإلكتروني www.oasbooks.com

جميع الحقوق محفوظة للدار. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائل نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي مسبق من الناسر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopyings, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.

توزيع مار أوى للطباعة والنشر والتوزيع والتعبئة الثقافية

زاوية الدهباني، شارع أبي داود، بجانب سوق المازي، طرابلس - الجمهورية العظمى

هاتف وفاكس +218 21 34 07 013 + نقل +218 91 21 45 463

بريد إلكتروني oasbooks@yahoo.com

مقدمة

مرّ على ظهور اللسانيات العامة وتوظيفها في مختلف مجالات العلوم الإنسانية زمن غير قصير. وبالرغم مما يتوافر في المكتبات الأجنبية من مؤلفات هامة تعرف بهذا النوع من الدرس اللغوي الحديث وتعرض لنتائج تطبيقاته في مجال دراسة اللغة وغيرها، فإن المكتبة العربية لا تُقدّم للقارئ العربي ما يُسعه على متابعة تفاصيل هذا العلم والمنهج المتبع فيه في شعباته وتفرعاته العامة. صحيح أننا نملك بعض الكتابات اللسانية العربية المتفاوتة الأهمية التي تقدّم بعضاً من ملامح هذه اللسانيات، غير أنّ ما يعرض يرد مرتبطاً، إما بقضايا فلسفية عامة مثل، الدراسة الهامة والرائدة لـ زكريا إبراهيم «مشكلة البنية»⁽¹⁾ ودراسة فؤاد زكريا «الجذور الفلسفية للبنائية»⁽²⁾، وإما بقضايا أدبية كما في دراسة صلاح فضل «النظرية البنائية»⁽³⁾. وثمة في الثقافة العربية الحديثة بعض النصوص اللسانية والمقالات المترجمة في مؤلفات أخرى مثل البنيوية للحناش⁽⁴⁾. وبعد عمل مبارك حنون⁽⁵⁾ متميّزاً في تقديم أهم أفكار مؤسس اللسانيات الحديثة. وليس بإمكان المتتبع للسانيات في العالم العربي أن ينكر جهود كثير من

(1) زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة، من دون تاريخ (منتصف السبعينيات في تقديرنا).

(2) فؤاد زكريا، الجذور الفلسفية للبنائية، حوليات كلية الآداب، الحولية الأولى، الكويت، 1980.

(3) صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980/1977.

(4) محمد الحناش، البنيوية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1980. مدخل إلى السيميوطيقا، إشراف سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، طبعة 2/ الأولى، القاهرة، 1986.

(5) مبارك حنون، مدخل للسانيات سوسير، دار توبقال، الدار البيضاء، 1987.

الرّواد أمثال تمام حسان وإبراهيم أنيس وكمال محمد بشر وأنيس فريحه وأحمد مختار عمر وريمون طحّان.. الذين قدموا للمكتبة اللغوية العربية العديد من الدراسات والمقدمات النظرية والتطبيقية في اللسانيات الحديثة، إما بصفة عامة، وإما في مستوى مُعيّن من التحليل اللساني كالأصوات والدلالة، وهي كلها كتابات مفيدة، رغم أنها لم تقف دائماً عند ما يحتاج إليه الطالب أو المبتدئ.

ما يمكن أن تؤاخذ عليه كثير من هذه الدراسات الرائدة وغيرها هو إمّا تكرارها المملّ للعديد من الأمور اللغوية التي لم تعد ذات أهمية في الدرس اللساني العام، وإمّا طابعها الانتقائي في التعامل مع لسانيات معينة، أو انتقاء مفاهيم معينة من اللسانيات العامة من دون تبرير نظريّ أو منهجيّ، وإمّا طابعها العام الذي لا يراعي اهتمام القارئ ومستواه ومتابعة القضايا اللسانية في أصولها وتطوراتها، والربط بين أوليات اللسانيات في بعدها النظريّ والمنهجيّ العام.

وليس في نيتنا سدّ الفراغ المهور الذي تشكوه الثقافة العربية في مجال الكتب التي تعرّف باللسانيات العامة أو الادّعاء بأن هذا المؤلّف أفضل من سابقه، ولكنه يطمح ما أمكن إلى تجنّب ما نراه سلبياً فيها غير مترددين في الأخذ منها⁽⁶⁾ كلما بدا لنا ذلك مفيداً بالنسبة إلى القارئ العربي، لاسيما وأنه يتوجّه إلى فئة محدّدة من القراء هم الطلبة المبتدئون في اللسانيات أو الراغبون في استثمارها في مجالات معرفيّة أخرى كالآداب والنقد وغيرها وطلبة علوم التربية وجمهور المثقّفين.

لقد حاولنا الوقوف على بعض الأسس الفكرية والمنهجية التي قام عليها ما اصطلح عليه بـ«اللسانيات العامة» وعلى أهمّ الموضوعات المتصلة بها وليس كلها (ومن هنا ورود حرف الجر «في» ضمن عنوان هذا الكتاب) أو التي يتعين

(6) لاشك أن بعض المؤلفات العربية التي صدرت في السنوات الأخيرة حققت قفزة نوعية في المضامين النظرية والمنهجية التي تكفّلت بتقديم اللسانيات، وأخص بالذكر: - صالح الكشو: مدخل في اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985. - محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004.

- محيي الدين محسّب: افتتاح النّق اللساني، دراسة في التداخل الاختصاصي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2008.

معرفتها في حقل اللسانيّات العامّة. ولقد حاولنا قدر المستطاع ألاّ نعرض للموضوعات التي استُهلكت في العديد من الكتابات اللسانية العربيّة مثل نشأة اللغة والأسر اللغوية والتعريف بفروع اللسانيّات، وبمستويات البحث اللساني، ولاسيّما ما يتعلّق بعلم الأصوات فهذه الموضوعات وما يشبهها متوافرة باللغة العربيّة، وبالتالي لا نرى داعياً لتكرار القول فيها. وقد اتّجهنا في إعداد هذا الكتاب نحو الجمع بين العمق والتبسيط، وبين المتابعة التاريخية والتقديم الوصفيّ العام للقضايا اللسانية العامّة من جهة، وللمفاهيم النظرية والإجرائية من جهة ثانية. وقد راعينا في التقديم كل عناصر التبسيط والتوضيح والتمثيل وإعادة الأفكار والتذكير بها بعبارات مختلفة كلّما دعت الضرورة إلى ذلك من دون الإخلال بالدقّة المطلوبة والأمانة العلميّة.

ولا يسعني في الختام إلا أن أشكر أفواج طلبة شعبة اللغة العربيّة بكلية الآداب-الدار البيضاء عين الشقّ تخصّص لسانيّات، الذين شاركوا في تلقّي أصل هذا الكتاب على مدى أكثر من عقدين من الزمن. كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ حافظ إسماعيلي علوي أستاذ اللسانيّات بكلية الآداب أغادير/المغرب على تشجيعه ودعمه لنشر هذا الكتاب وعلى ما قدّمه من مساعدات تقنية في إعداده وإخراجه إلى القارئ.

الدكتور مصطفى غلفان

الباب الأول

اللغة في بعدها الإنساني

الفصل الأول

الطبيعة النفسية للغة

تقديم: اللغة وكيونة الإنسان

أبسط تعريف للغة هو أنها نظام من الأصوات يتواصل به أفراد مجتمع للتعبير عن حاجاتهم المادية والمعنوية. وهو تعريف لا يضيف إلى الأذهان شيئاً جديداً. وقد نتقدم قليلاً فنعرّف اللغة صورياً أو شكلياً بأنها «وسيلة للتواصل أو أداة للتعبير عن الأفكار»، أو أنها «نظام من العلامات لنقل الأفكار»؛ فهذه التعريفات جميعها كما سنرى، مهما كانت الاعتبارات المنهجية والتضمينات النظرية في صياغتها، تبدو لنا غير قادرة على الإحاطة بجوهر اللغة وبأبعادها الفردية والجماعية. ويبدو أنه ليس بإمكان التعريفات التي تم تقديمها في الأدبيات المتعلقة باللغة، قديماً وحديثاً، ما من شأنه أن يميز تعريف اللغة البشرية من سواها من أنظمة التواصل والتخاطب الأخرى بصرف النظر عن طبيعة المنظومة المستعملة والأفكار المراد التعبير عنها.

لذا من الصعوبة جداً أن نجد تعريفاً للغة يكون جامعاً مانعاً كما يقال. وبالرغم من أننا اعتدنا شيئاً اسمه «اللغة»، سواء في استعمالنا لها عبر الكلام ونحن نمارسها، أو في التعرف إليها ونحن نستمع أو نتلقى الخطابات اللغوية في كل وقت وحين، فإنّ ثمة أكثر من صعوبة تعترض تقديم تعريف للغة قادر على تحقيق الإجماع عليه. وتكمن أولى الصعوبات المتعلقة بتحديد اللغة، أنّ ثمة عدداً لا يحصى ولا يُعدّ من التعريفات التي أعطيت للغة؛ وهي تعريفات يقترب بعضها من بعض أو يتعد جزئياً أو كلياً. «فالفلاسفة -مثلاً- يرون اللغة من زاوية اتصالها

بالمفكر، ومن ثم فهي عندهم وسيلة تفقه، وطريق التعبير عنه. والمداطقة يدرسون قوالب الفكر وانعكاسها على اللغة، وعلماء الاجتماع يهتمون بالطبيعة الاجتماعية للغة ودورها في قيام مجتمع ما، وفي تحديد أنماط علاقات أعضائه. وعلماء النفس تشغلهم روية تأثير اللغة على محمل مظهر التنظيم السلوكي وعمليات لتفسيمة المختلطة كإدراك والتفكير والذاكرة إلخ، ومضرو الحاصرة يطرون إلى اللغة من جهة تأثيرها في عمليات الصراع الحضري، والتعبير الثقافي، وعلاقتها بطبيعة المكان ودورع الهجرات وقصاي التأثير الحضري إلخ⁽¹⁾.

والمؤكد أن المحال الذي يوضع فيه هذا التعريف أو ذاك، واتجاهات المعمدة التي يُنظر من خلالها إلى اللغة، والأهداف المنظرة دراستها، كلها عوامل تساهم إلى حد كبير في تفسير هذا التباين ولتعد الملاحظ بشأن تعريف شيء عادي بالنسبة إلى إنسان اسمه «الغة».

إن اللغة هي كسوبة الإنسان وماهيتها إن أصل لغة عند الفرد تابع من طبيعته الاجتماعية التي تلامسه، ومن حادته إلى اتوصل مع الغير، إن لغة عند الفرد نجد لرعة في تحقيق نوع من التماهي مع الذات والذوات بين لداب و لآخر من جهة، وبين الذات ولعالم الحارجي الموضوعي من جهة أخرى ووفق تعبير جاد بول سارتر (1905 1980) «الإنسان هو اللغة، إن إنسان هو أولاً ما يقوله»⁽²⁾ «l'homme est langage d est d'abord ce qu'il dit».

فاللغة رابط حيوي وبيولوجي ونفسي يربط الفرد بالمحيط، ويسمحه لاطمئنان النفسي والاجتماعي، والأمان في علاقته بحاصة والعامة مع لآخر، والتعبير عن الإرادة الطبيعية في حق الوجود. إن اللغة باختصار «شرط إمكان وجود الإنسان والإنسانية»⁽³⁾. يقول شارل بالي Charles Bally «يتحدث كثير من

(1) محيي الدين محب - فلاح السق اللامي، دراسة في المداخل الاختصاصي، ص14، دار الكتب الجديد لمتحدة، بيروت، 2008.

(2) J. P. Sartre *L'etre et le neant* Paris, Galimard, 1943, 1976, p. 400.

(3) مرشد من لاطلاع على بعض لمواقف انفسه المتعلقة بطبيعة لغة، بمكر الرجوع ضمن العديد من الكتابات إلى ما يلي

كمال يوسف لباح - فلسفة اللغة، دار النهار نشر، بيروت، ط2، 1978.

لعلماء عاده عن حبة للغة، وعن «حياة الكلمات»، وعن «صراع اللغات من أجل الحياة»، لكن اللغة لا توجد إلا هي أدمغة أولئك الذين يتكلمونها، وإن قوانين الفكر لإساي وقوانين المجتمع هي التي تفسر الوقائع اللغوية⁽⁴⁾.

في لفصول الثلاثة الأولى من هذا الكتاب، تسعى إلى تقديم تعريف للغة يحيط بها عمومًا، ويحدد طسعة مكوّناتها، وأبعادها النفسية والاجتماعية والرمزية والثقافية وقد لا يفيد كثيراً سير أعمار المناقشات الفكرية والفلسفية المتعلقة بطبيعة كسوة اللغة عند الإنسان في أبعاده المتعددة، وهي من دون شك مناقشات هامة وبها قيمتها، لذلك سأخذ لمسألة من بدايتها لاسطق من الملاحظات الأولية المتعلقة بالسلوك اللغوي عند الإنسان.

1. السلوك اللغوي

يلاحظ داخل لعشائر البدائنة و لمجتمعات المنحصرة على النساء، أن أفرادها يتكلمون بشكل منتظم ومنسق، - وهو ما قد يبدو للأحيائي عنها مجرد إصدار «أصوات غير مفهومة» - يجعل لمجموعات البشرية؛ مهما كان عددها ومستواها لحضاري والفكري والاجتماعي، قادره على أن تواصل فيما بينها؛ تتعبر عن أعراضها المباشرة والمتعارضة أحياناً، وتحقق نوعاً من الانسجام المحملي فيها، وتحقق أشكالاً فاره من الثنائية الاجتماعية رغم كل تضارعات اليومنة الضمنية ولضريحه منها إن عملية كلام تبدو لمنكلم أمراً عادياً جداً وسهلاً، لا تتطلب من أي مجهود يذكر، لذلك فهو في غالب الأحيان لا يُعبره أدنى اهتمام لهذا ألف كل ما بلغة من صغره، وقد لا يتصور نفسه يدونها أو مستغلاً عنها

- Brice Parain *Recherches sur la nature et les fonctions du langage*, Paris, Gallimard, 1942.

- Le langage actes du XIII^e congrès des sociétés de Philosophie de langue française Genève 2-6 Août 1966, Publication A a Baulomere, Neuchâtel, 1966.

Charles Bally *Le langage et la vie*, Genève, Droz, 2^{ème} édition, 1965, 1925, (4) p. 4.

إن أفراد المجتمع يتكلمون فيما بينهم، يسمعون ما يقوله بهم غيرهم، يبادلون لأفكار والآراء، يعترضون عن مشاعرهم وأحاسيسهم بواسطة مجموعة من الأصوات التي هي عبارة عن سلسلة فيزيائية وسمعية تنتجها الحبال الصوتية الإنسانية إن عمديه التوصل ولتحاطب تعني في نهاية التحليل أن كل إنسان متكلم وسماع في الآن نفسه، يصدر ويؤول ما لا حصر له من الحس؛ حسب ما يقتضيه المقام لتواصلتي ولتفاعل بينه وبين السامع، ونية لحاجات والأعرص

إن مجموع هذا النشاط العادي والعربي في الوقت ذاته هو ما نسميه لسلوك اللعوي، وهو جزء من السلوك الرمزي عند الإنسان الذي يمكن اعتباره كثناً لعوياً أو سمائياً باعتبار، نظراً إلى المحيط للرمزي لعالم الذي يعيش فيه كل إنسان، ويتفاعل معه (الرسم والصوت والإشارة والإيماء وسائر فواصيص الانقباض الأخرى) ويُعد السلوك الرمزي في شموليته خاصية متميز بها الإنسان من غيره من الكائنات الحية؛ مهما كانت درجة ذكائها وهونها الحسية إن للغة صفة ملزمة لكل فرد بشري بصرف النظر عن أي تنمية عشائري أو عرقي أو حضاري أو فكري

وإذا كان الاختلاف حول طبيعة اللغة وخصائص جوهرها حاصلًا بين المفكرين منذ قدم التاريخ لشري، فإن أهمية اللغة ودورها في حياة الفرد والمجموعة، وقيمها في دعم شخصته، وفصلها على الوحدة القومية بالنسبة إلى كثير من الأمم ليست محلّ نقاش أو جدل وإذا كان ثمة خلاف ما، فهو قائم حول توظيف التصورات والتأويلات التي قد يقود إليها هذا الموقف من لغة أو ذلك فالاهتمام بالسلوك اللعوي عند البشر ليس وليد ليوم، بل شغل الإنسان منذ أقدم العصور بهذه الأداة الرائعة والعربية في لوقت ذاته ويكفي إلقاء نظرة بسيطة على ما حلّمه مختلف الحضارات وثقافات من أدبيات ومواقف إراء اللغة؛ لندرك عمق الإحساس بأهمية لغة ودورها في حياة الإنسان والإنسانية

لهذا السبب، فإن ظهور التسببات بوضعها الدراسة العلمية للغة البشرية في ذاتها ومن أجل ذاتها، ليس بدعة فكرية أو رفقا علمياً بين مختلف العلوم التي ما فتئت تحاول اقتحام مجهول اللغة، لأن المهم لعلم اللغة البشرية هو فهم لطبيعة العمل والمعرفة عند الإنسان والتسببات ليس سوى واجهة ضمن عدد من

معارف والعلوم التي تتعامل كلها لفهم أعمق وتحليل أدق وتفسير أعم لظواهر
لنوعه إنه مطلب كثير من العلوم التي ننتهي مع اللسانيات في موضوع دراسة
اللغة مثل علم الاجتماع وعلم النفس و لأشروبولوجيا والمطلق والفلسفة
والرباطات والإعلاميات و لبرمجة وعلوم التربية وغيرها -

من هذا المنطلق يصعب عيب، كما ذكرنا، أن يقدم التعرف القادر على
جمع شتات ومواقف كل هذه التخصصات والمعارف لمربطة باللغة نظراً إلى
استحالة توحيد الرؤى والأبعاد التي تُنظر من خلالها إلى اللغة وإلى طبيعتها
لنفسية والاجتماعية والمعرفية و الفكرية وإلى الدور الذي تقوم به فردياً و جماعياً

تجاوز صعوبة، بل استحالة، تقديم التعرف لحامع المانع؛ سنعرض في
هذا الفصل بعض التصورات والتعريفات التي ينظر كل منها إلى لغة، وإلى
سلوك اللغوي من زاوية خاصة به، تاركين للقارئ إمكانية احتدار ما يحدم
هتاهه ورؤيته الخاصة وما توقعه من دراسة اللغة

1 1 بين اللسانيات و علم النفس

تجدر الإشارة بدءاً إلى الاختلاف بحاصل بين المفاهيم اللسانية والمقدرة
نفسية للغة، صحيح أنهم يشتركان في مادة واحدة هي «اللغة»، لكن لكل مجال
معرفي مفاهيمه لنظرية والإحرائة لخاصة به، ولأهداف متنوعة بلوعها وحتى
بالسة إلى الموضوع الذي هو اللغة نفسها، فإن نظرة المخصصين إليها مختلفة
فما تدرسه اللسانيات ليس هو ما يدرسه علم النفس أو علم النفس اللساني وعاية
لسانيات ووسائنها في دراسة اللغة ليست بأي حال من الأحوال هي اهتمامات
ولأهداف المتنعة في علم النفس «اللسانيات تدرس النفس من حيث إنه سبه لها
قو عده و صوبط اشتعالها وإذ كانت سبه اللعونة عبر قابلة لمتدرسه إلا من
حلال أمثلة ملموسة وواقعية، فإن اللسانيات لا تدرس ما هو واقعي من السه،
بل تبحث عن صياغة عامة للقواعد لمتحكمه فيها وعبارة أخرى، تقصر
اللسانيات على دراسة خصائص سق الإشارات أو سده code التي يمكن
وصفها اصطلاحاً من سبه لرسائل messages إلا أن دراسة لسق لسانیي système
linguistique لا يمكن أن يتم إلا من خلال دراسة لأمثه الحاصه أو وحدات من
الكلام للملموس وهد لا يعني أن موضوع اللسانيات هو هذه الوحدات

الملموسه، بل هو النسق الثاوي ورء هذه الحالات للملموسه

أم عدم النفس⁽⁵⁾ فيبرس اللغة باعتباره حدثاً حركياً وصبراً، وضمه
 Processus علم النفس يهتم باشتغال معرفه لصممه mise en oeuvre عند الفرد
 المكلّم⁽⁶⁾ وهو بذلك يهتم باللغة في تحقيقها المعلي عند الفرد مساوياً إنتاج
 وتأويل الأقوال في ظروف حقيقيّة؛ أي في مستوى الانحار بصعبيّ لغة
 performance لا القدرة competence باعتبارها سقاً مكتوياً من عدّة سات كم هو
 لشار بالسسة إلى اللسانيّات. وتُختصرُ فصايّ اللغة لمتنوعه سوء ما يعنف
 اكتساب اللغة وتعلّمها، أو إدراك معاني الجُمل عند علماء النفس في إادر
 إشكالية أساسية وواحدة تتمثل في الوقوف على الطبيعة النفسية لفصايّ لغة
 لمتعلقة بالمعنى sens و لدلالة signification، وما يربط بهما من إشكالات تتعلق
 بإدراكهما ذهباً أو عملياً في الدراسات اللسانية، تُعدّ اللغة سقاً موضوعاً مُنبياً
 structure، وهي في علم النفس اللساني psycholinguistique واقعة/ حقيقة نفسية
 un fait realite psychologique⁽⁷⁾، إذ يتفق علماء النفس المهتمون باللغة على أن
 لغة ظاهرة نفسية بامير فهي من جهة طاقة نفسية تمكّن الفرد من إنتاج وتأويل
 عدد لامتناه من الجُمل، وهي من جهة ثانية سلوك إنساني كافي لتصرفات
 النفسية مثل الخوف والفرح والاضطراب يستعملها الفرد المتكلم للتعبير عن واقع
 نفسيّ محدّد من خلال التعبير عن مشاعره وعواطفه المتعدّدة

غير أن علماء النفس يحتفلون بعد ذلك حول ماهية هذه الطبيعة النفسية للغة

(5) Hans Hörmann *Introduction a la psycholinguistique* Paris. Larousse. 1972
 1971, p. 2, 22

(6) مراد من لفصل يمكن الرجوع إلى
 حوديث عريس علم اللغة النفسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972،
 1993، ترجمه ركي سعيد التوي
 - جمعه سيد يوسف سيكولوجية اللغة والمرص المعني، ص 6-17، علم لمعرفة،
 العدد 45، الكويت، 1990

- H. Hörmann *Introduction a la psycholinguistique*, Paris, Larousse, 1972 1971
 C Bayon et Paul Fabre *La semantique* Paris. Nathan. 1974. p 27 (7)
 H Hörmann. *Introduction à la psycholinguistique*

هل السلعة نظرية innate أم مكتسبة وكيف ذلك؟

• هل السلعة سلوك حصري للكائن الإنساني؟

كيف يكسب الطفل للذعة؟ وكيف نتعلم؟ وما علاقته بالقدرات الإدراكية واسمئلات الذهنية المصاحبة لها؟

وعبر هذا من الأسئلة التي تتخبطها الأدبيات السلوكية في هذا سياق يمكن أن يمر بين ثلاثة مواقف في علم النفس الحديث

التصور السلوكي

التصور العقلاني

التصور السكوني

2. التصور السلوكي⁽⁸⁾

يقوم علم النفس السلوكي على قاعدة عامة مفادها حصر التحليل العلمي

(8) ليست السلوكية مدرسة مجرسة، ولكنها تضم لعديد من الأسماء التي تنتمي في بعض سمادئ ومجلف في أخرى وفي إطار لمدرسة السلوكية يمكن أن يمر من لاجها بـ

- أولاً السلوكية لعلمية، ويمثلها بافوف (Pavlov Ivan Petrovich 1842-1936)، ثورندايك (Thorndike 1874-1949)، واطسون (Watson 1878-1958)، هول كلارك (Hull Clark 1884-1952)

ثانيًا السلوكية لأدائية، ويمثلها سكينر (B.F Skinner 1904-1990) ويعرف نظريته بنظرية الإجراءية، ومع سكينر تحول علم النفس سلوكي إلى نظرية معمم Learning theory، وفيها وضع أسس لتحويل سكوني سلوك وقد مرت بمدرسة السلوكية لإجرائية في مرحلتين مختلفتين مرحلة فطرت اندرسة فيها على دراسة سلوك حيوانات ومرحلة تلت فيها معالجة سلوك الإنسان ولاستمد بعض السلوكيات الأكثر تعقيداً مثل السلوك المعوي

ثالثًا السلوكية موسيقية يمثلها عدد من علماء نفس وعلماء السيكوباتيات أمثال أوسجود (Osgood) وسينوك (Seneok)

ووصح أن هناك بعداً كبيراً بين هذه التصورات أو المداخل سلوكية في مجملها، ولا سيما الاتجاهين الأخيرين اللذين يعرف أصحابهما بالسلوكيين الجدد وقد يمكن تفسيره من ظهور في المودج الأول يمكن تفسيره كذلك في المودج السلوكي =

تتطوّر التّسمية عند الإنسان والحيوان على السّواء، هي السّبوك الفاسل للملاحظة، ويمكن صسطة من خلال ثابّة مثير (لحافز) Stimulus/ استجابة (رد فعل) Reponse ويتصرّف من بقاعده السّابقة مجموعة من المادّات بفكرة العامّة لمدرسة السّلوكية يمكن تلخيصها فيما يلي

- رفض كل ذهنيّة أو بصوريّة
- المماثلة بين السّبوك للإنسان والسّبوك الحيواني
- حتصر الاستعدادات الفطريّة والعريّة عند الإنسان في عمليّات نعسمة سسطة تقوم على تفصيل المحيط والتربية على الوراثة و لفطرة والطّبيعة
- لصعه الحتميّة و لآليّة للمفارقة لسبوكيّة (ناثير الوصعيّة لمطعيّة)⁽⁹⁾

2 1 السّلوكية التقليديّة

هتمّ علم السّلوكيّ الذي تأتس على يد كل من فايس Weiss وثورنديك Thorndike وواطسون Watson اهتماماً بالعمّ بالدعة البشريّة من حيث إنها سبوك نفسي بالغ الأهميّة ويطلق لموقف اسّلوكيّ في تعامله مع اللّغة لسريّة من المعقولة لسبوكيّة المنمثلة في أن جميع مشاكلنا انفسية يمكنها أن تجد حلاً في إطار الثّابّة مثير استجابة (رد الفعل) ويعرف هذا التّوجه أبصاً بظريّة الإشرط conditionnement التي صاعها أول الأمر عالم لغيريو وحب لروسي بافلوف ويموم مفهوم الإشرط في نجربة بافلوف على بقديم مثير غير عاديّ (غير طبيعيّ)، مثل رنين لجرس قبل مثير عاديّ (طبيعيّ) (قطعة لحم تقدم لكلب) عدة مرات، ثم إيفاف لمثير العاديّ، الأمر الذي يؤدي عند الكلب إلى اقتران الاسجدة (إقرار الدعاء) بالمثير غير العاديّ (رنين الجرس) ويعد الرّنين

= لثاني نهتمّ اسّلوكية انقليسمة بيشراط conditionnement الاسجدة الخاصة جدا و بديهية للإثارة بواسطة مثير اعباطي، بينما نهتمّ سّلوكية جديدة بدور التحصير (الاندفاع impulsation) والتعريض (الحراء reinforcement)، بحيث تصبح الاسجدة لشسيمه محصورة على جرد، ويد سم يكن هناك ستجابة سببة، فإن الجهاز العصوي س يكافأ بحس في النموذج الأدني أدم بعلم أكثر دعة عما هو عنه في الإشرط انفسدي

(9) مصروف عن J Lyons *Elements de semantique* Paris, Larousse, 1978.

مثيراً مشروطاً *stimuli conditionne*، واللحم مثيراً غير مشروط *stimuli* *inconditionne*، وقرار يتعب بعد اللحم استجابة غير مشروطة *reaction* *inconditionnele*، وإقرار بعد جرس وحده استجابة مشروطة⁰.

وتتمثل الإشراف في مجال لغة أو في السلوك لنعوي كما يسميه السلوكيون، في نقل *transfert* سلوك منكّم إزاء لأشياء إلى الكلمات، أي إسداد دور مماثل ما يسته شيء الموحود في العالم الخارجي من سلوك إلى الكلمة.

وبلاحظ في مجال لسلوك لنعوي، أنه لا يوجد دائماً رباط بين لمثير والمثير، وبالتالي يتم النحوء إلى مفهوم لتعميم للدلالي *generalisation* *semantique*، حيث يمكن للمبتهات الفريه أو، بمتشابهة أن تثير لاستجابه نفسها، فعلى سبيل المثال عندما يتم إشراف فرد منكّم مع مفردة مثل «كس» «والكلب» لحيوان ذاته بعد مثيراً شتياً من يراه قد يستجاب لوحوده شكل من الأشكال أم الكلب لكلمه فهو مثير لمطي لكلب الحيوان حيث تؤدي لمن يسمعها أو يقرأها إلى استجابة متوسطة - وسيطة - تتج بدوره مثيراً وسيطاً يؤدي بدوره إلى استجابة جمعي¹ يلاحظ أنه بالإمكان عند ذلك الحصول على لاستجابة نفسها عندما تكون بحدود كلمات أخرى، مثل (حيوان طوم *Tom* (نق كلب) (ساح شعر).

ودرس واطسون في كتابه «السلوكية» *Le behaviorisme* العلاقة بين سلوك النعوي *Comportement verbal* وبفكر *pensee* عند الفرد، معتزاً أن للغة لسب في بهمة الأمر سوى عادات عطية؛ مثل باقي لتصرفات والسلوك الإنسانية لأخرى واللغة في نظر واطسون مجموع العادات الكلامية عند الفرد، والفكر «لغة تحت الكلام» *Un langage sub-voca* إن لسلوك المصحح *comportement arynge* هو أحد لأشكال الرئيسية للصوتية لدى الإنسان لتنظيم سلوك إلى حرب لتنظيم العددي وتنظيم اليدوي^{2،1} ويمتد اللغة بحسب واطسون - من

(0) محمد عبي حربي، معجم علم اللغة لتطقي، ص 17، مكتبة لبنان، بيروت، 976

(1) جوديث عزيز، علم اللغة لتصي، ص 21، هاشم روم

(2) P. Fraisse in *La psycholinguistique Lectures*, edité par Tatiana Saama, Cazacu Paris, Klincksieck, 972, p 56

عبره من التصرفات والعادات السلوكية عند الإنسان؛ بأنها نشاط له وظيفة هامة تتمثل أساساً في تعيين الأشياء والأحداث، لوقفة في العالم الخارجي، وسميتها Denomination مما ينسب بإثارة سلوكيات أخرى، سواء كانت كلامية أو غير كلامية.

وتكمن أهمية اللغة بوصفها سلوكاً في كون كلمات اللغة تصح قدرة على إثارة السلوك مثلما تفعل ذلك الأشياء Objet الموجودة فعلاً في العالم الخارجي التي نوب عنها أو نعوصها. هذا الأمر يعطي اللغة خاصية إضافية هي خاصية الاقتصاد في الاستعمال قصد التلخيص والتواصل فلو تحدثت كلنا أردت الحديث عن أشياء معينة أن تُخبر هذه الأشياء بعينها، لكن هذا الأمر شاقاً أحياناً ومستحيلاً أحياناً كثيرة بهذا المعنى تصح الكلمات معوصات أو بدائل Substituts عن الأشياء وهو ما جعل واطسون يقول بأن الإنسان يحمل معه عدله، وبالتالي يمكنه أن يتحكم manipuler في العالم بواسطة الكلمات حتى وهو في عركه

ويربط واطسون بين اللغة والحركة action ما يعنيه الإنسان عوياً هو ما يعنيه وليس شيئاً آخر فلا وجود لفكر مستقل عن اللغة، بحسب واطسون إن اللغة ليست تعبيراً عن الفكر، بل هي الفكر نفسه أن أفكر ليس سوى أن أتكلّم مع ذاتي وإلى ذاتي ومعنى شيء معين لدى الفرد هو أن نحدد تحريشاً جمع الاستحسانات المنظمة التي يمكن أن نوحى بها شيء معين لدى هذا الفرد إن المعنى هو السلوك الذي ينتهي إلى لكلمة والسلوك الذي نحدده الكلمة

مثل هذا الموقف السلوكي في تفسير طبيعة اللغة وجد صداه عند كبير اللسانيين الأميركيين جوردن بلومفيلد (L.Bloomfield) (1887-1949) في كتابه الشهير اللغة Le langage، الذي إليه ترجع العلاقة الوثيقة بين عدم اللغة وعدم النفس والذي أدخل مبادئ علم النفس التي كانت مهيمنة في عصره في دراسة اللغة⁽³⁾.

(3) جوديث عريس، علم اللغة النفسي، ترجمه مصطفى لوسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993، 1972، ص 3

يعبر بلومفيلد لغة سلوك تجريبياً صرفاً، إنها عبارة عن سلوك خارجي يمكن إدراكه موضوعياً من خلال معرفة المثير مما يجعل اللغة عملياً مثيراً و استجابة تتم في مرح حل رمية هي⁽¹⁴⁾

1- أحداث عممية سابقة للحدث الكلامي (مثرات) رؤية التفاحة-الشعور بالجوع

2- الكلام (الاستجابة) وأريد تفاحة الذي يصح بدوره مثيراً

3- أحداث عملية تالية للحدث الكلامي قطع التفاحة أو إحصارها ثم تقديمها للح

لبدأ أولاً بالأحداث العممية لتصور مشهد من حياة عادية نرى فيه فة (Jill) ومتى (Jacques) يجولان في حديقة ما. تشعر الفتاة بالجوع؛ فتتقصر بعض عضلاتها، وتقرر بعض السوائل والعدد في المعدة وقد تشعر الفتاة كذلك بالعطش فبحث لسبب وشفتاه كما أن هناك اتصالاً ماذياً بين الأشعة لضوئية التي عكسها التفاحة وعين الفتاة؛ مما جعلها تطلب إلى رفيقها أن يحضر لها تفاحة هذه الأحداث يطلق عليها بلومفيلد مثير المتكلم، وهي أحداث تسبق عدة عممية الكلام؛ وتكون بمثابة مثير لشيء ما في لعالم لخارجي

أم الأحداث التالية للحدث الكلامي، فتتعلق بسلوك السامع [المتنى] وتتخصص مثلاً في سلوكات مثل تحركه لإحصار التفاحة وتقديمها للفتاة بطق على هذه الأحداث استجابة السامع؛ أي الأحداث الناتجة عن القول ولو فترصب مثلاً أن هناك حيواناً أحسن بالجوع، وأبصر شيئاً يؤكل (مثير) لذهب بنفسه بحثاً عن فريسته، أو لو أن الفتاة كانت في الحديقة بمفردها بقطعت التفاحة بنفسها

يمكن رسم لسلوك العممي عند الحيوان وعند الفتاة (بمفردها) على الشكل

التالي

(14) هذا التقديم للاحق استوفية بأخذه بتصرف عن ترجمته فرنسية بكتاب بلومفيلد اللغة

المصدر باللغة الإنكليزية سنة 1933

Leonard Bloomfield: *Le langage*, Paris, Payot, 1970, 1933

م ← م = مثير س = استجابة

نكن ندن أن تذهب الفتاة بمفردها إلى التفاحة؛ تصدر كلاماً يجعل الفتى يقوم باستجابة مباشرة فكلام الفتاة الموجه إلى رقيبها (استجابه لمثير الجوع ورؤية التفاحة) هو رد فعل لعوي عوضاً عن لحدث العملي مثير إليه في الرسم بالحروف لمرفقه في الشكل التالي

م ← م (استجابة عملية)

م ← س (استجابة لعوية)

(يشير اسمهم إلى العلاقة لسيية أما الحرفان م و س بالحظ اعبط ويشيران إلى الاستجابة المباشرة، بينما يشير الحرفان لعددين إلى لعلاقة التعويضية)

يمكن أن نقوم بتحليل نفسه للمثير. إن الفتاة تصدر أصواتاً تصل إلى مسمع من برافقها، فيقوم بحركة تكون بمثابة مثيرات بالنسبة إلى المفكر والاستجابة التي يقوم بها الفتى في هذه الحالة تكون سبباً به هو نفسه كمثير عملي = م

ويمكن أن يكون المثير لعوي صادراً عن الفتاة التي نطبت مثلاً إلى رقيبها أن يأتبها بالتفاحة وهو ما نصوره على الشكل التالي

م ← م (مثير عملي)

م ← س (مثير لعوي)

من هذا المطلق الممثل في محاولة ضبط لشوك الإنساني وصوعه في قوانين بسيطة محكومة بمبدأي المثير والاستجابة، يمكن أن نرسم الشوك التعوي عند الفرد كما يلي

م ← م م ← س

2 2 السلوكية الأدائية

بدعت الأظروحة السلوكية انبي عتر عنها و طسود قمتها نظرية والتطبيقية مع عالم نفس سكير Skinner (1904 1990) في كتابه لشهير السلوك لتعوي Verbal behavior (1957) اندي لاقى إقبالاً قل نصيره في الفكر لحديث وأثار جدلاً وسعاً في المحافل العلمية والفكرية

طور سكير لتصور السلوكي تنقيدي دلتأكيد على البعد عملي شائعة الحثير و الاستجابة، وذلك بوحال أنواع جديدة من الارتباط بينهما، متسائلاً عن كيفية شتعال هذه الشائنة في سلوكيات أخرى أكثر تعقيداً وقد انتهى سكير إلى خلاصات جديدة هي تحليل لسلوكيات البشرية (ومنها سلوك اللعوي)، معدها أن الاستجابة (أو الاستجابات) ليست دائماً نتيجة مشربن محدده ومصنوعة، بل يمكن أن تتحول هذه السلوكيات إلى إجراءات عميقة بحصل تنقيدي وتكون دالة للتكرار وتشكل سلوكاً محدداً إذ هو فرم بمؤيها وبدعمها، إن ظهور سلوكيات جديدة يحصل كلما تعربت السلوكيات أحمائها أو لمتقدرة كلاً أو حرثاً وكان لهذا التصور السلوكي لحدس أثره الفعال في تفسير العديد من سلوكيات لمعقده انبي عحرب السلوكية التفلبدتة عن تفسيرها مثل حل مشكلة لتفكير و للغة والعراء أو قيادة سيارة وهي سلوكيات لا يمكن تفسيرها في منظور سكير في اضر المحظطة السلوكية التفلبدية (م ————— م) وسم يعد المحظ بموضوعي وحده المصدر الرئيس، بل أصبح لأمر بتطد بدخل الكائن الحي الذي يحتار لسلوكه الذي يرعب فيه ويتم تعريبه وتقويته فحصل يكون حسم م دلاً لتفكير motive كإن يكون في حالات الحوع أو العطش، و بطلاقاً من معرفة مسقة بأوقات بحرم من الأكل وشرب، فإن استجابة سليمة ستكون متبوعة بحراء ملائم وهو ما أسماه سكير لإشراط الإحرائي conditionnement operant

في هذا ستاق بورد تجربة سكير المعروفة بعسة سكير حيث وُضع فأر (حائغ) وفي كل مرة يصعظ فيها الفأر على رافعه lever داخل العسة وبو مصدفة تُقدم له طعام كحراء به بطريقة آتية، ووحظ بعد ذلك أن بفار أصبح يصعظ أكثر فأكثر على هذه الرافعة؛ رعبه في الحصوص على لمربد من لأكل؛ أي مررب من الاستجابات مقابل مررب من احراء ومعنى هذا أن تكرار الاستجابة

لمسحقة للجراء تنكثر إلى حدود معتبه بعد كل محاولة يكافأ عليها الجسم، وبذلك فإن الاستجابة تتعمم عندما تنتج باحتمال كبير⁽⁵⁾

يعتقد سكير أن التجربة نفسها تصدق على اللغة والاستجابات اللفظية ترتبط ارتباطاً مباشراً بالمثيرات من دون الحاجة إلى تدخل معبريات مثل المعنى أو الأفكار أو الموهين السحوية⁽⁶⁾ يُضيق الطفل حملاً يكون لبعض منها في محيطه استجابات تلي حاجاته، وتعررها مما يسمح بظهورها أكثر فأكثر يختصر سكير اللغة بـ «تصرف موضوعي محدّد آتياً ومكثياً» معدداً إمكانية تصور أي وجود مستقل للغة عن الوظيفة السلوكية للفرد المتكلم إن ما يوجد فعلاً وواقعياً هو السلوك الكلامي والوظيفة المرتبطة به مثل باقي السلوكيات الأخرى إن الدلالة اللغوية ليست شيئاً معطى في ذاته، وليس لها أي قيمة معرّف عن المقام الذي تسح فيه إن الدلالة اللغوية ليست مكتسبة، بل هي نتيجة الاتصال المباشر بالمحيط وبالمقام لتواصلي الخارج لغوي *extra-linguistique* بهذا السبب، يعد سكير في تحليله للسلوك اللغوي عنصر المعنى *Signification* وكل ما يرتبط به فهو مثلاً يتساءل عن المعنى لذوق لبعض الألفاظ داخل الجملة مثل «سهاش»/«دكاه»/«رؤي» فهذه المفاهيم وعبرها بالنسبة إلى سكير مفاهيم فلسفية محدّدة وليس عذمية، لأنه يستحيل وضعها على محكّ لملاحظة مباشرة تجريبيّاً التي هي من معايير العلمية إن السلوكية تحاول حلّ المشاكل الذهنية المرتبطة بالمعنى من دون أن نستطيع محاولة إفصاء كل إحالة للنشاط الذهني عند الفرد المتكلم؛ أي كل ما يرتبط بتدخله لنهائي، وإعمال الفكر لتحديد المعنى وإدراكه إن السلوكية تحصر معرفة المعنى والدلالة في دراسة العناصر لحارجية مثل، المقام والمثيرات والاستجابات مكتفية بصط السلوك لقبل للملاحظة، بحيث يتم العمل على تحديد العلاقة انقباضه للملاحظة المباشرة وليس بين المثيرات انبعاثه عن المحيط لحارجي، ولا استجابات لتلقّاته أو المكتسبة التي نثيرها في الجسم

(5) Jenkins *The learning theory approach*, p 48 in T. Sarama Cazacu *La psychologie linguistique*

(16) جوديث غرين، علم اللغة النفسي، ص 22

ب. مقدرة السلوكية عند سكير مقارنة وظيفية أو تحصيل وظيفية لسلوك الدعوي، إذ يعلق الأمر بشخص المتغيرات التي تحدّد السلوك الدعوي وتنبئ نجاحها، يجب، بحسب سكير، أن يكون الموصف موضوعياً، وأن نكون محدّدات ذات طابع عملي إجرائي، بمعنى أن تكون قابلة لتحديد الموضوعي ونقد الاختتاري الخارجي مثل المثير والاستجابة والتعريض. أما البنية الداخلية لنتجها فلا مكان لها في هذا التحليل؛ لأنها ليست من السلوك الذي يمكن ملاحظته.

ويُقدّر تحصيل السلوك الدعوي في نظر سكير تحميلاً علمياً عندما يتمكن من التنبؤ بالسلوك الدعوي للمرد انطلاقاً من عناصر أخرى قابلة للملاحظة، سواء كانت سلوكية أو مقاميّة، ثم لبحث عن المتغيرات المحدّدة لسلوك الذي يتمركز حول التعرّيب والحاصرة والتعريض السابقة ويميز سكير خمسة أصناف من الإشرطات لإجرائية لسلوك لفظي وهي:

أ - انقلب Mands إجراء مشتق من دوافع لحرمان deprivation ونقص في صور أو مر وطلبات تستخدم عندما يريد الفرد شيئاً ما، أو يحتاج إليه ولحاجة إلى المدح مثلاً - تستثير استجابته لتقول للشخص الذي أمامك «ياوسني» فبحر ذلك الشخص استجابته بمادوليك «ملح»، فتقول به في مقابل ذلك «أشكرك» لكي يعرر استجابته، ونكي يسمّر أيضاً في تعريض استجابته في ماسات لاحقة في المستقبل، حيث أنه سيحصل في مقابل كلمة الشكر «عمو» لكي يعرر استجابته في مقابل تعريضه وهتمّ حرّاً

ب - الانصاف Tauts وهو إجراء ينتج مثير يكون في الألعاب غير لفظي، ويمكن حدوث استجابة معبته يصح أكثر في مثير معين ومثل ذلك حين يقول شخص من قصدي أعطني لقدم الأرق، وذلك حين يكون - بالفعل - نظر إلى مجموعة من الأقلام المختلفة التي شتمل على قلم واحد (أو أكثر) يكون أرق⁽⁷⁾

(7) يمكن التعرف إلى تشكّل هذا النوع من السلوك الدعوي لدى فرد بالرجوع إلى تاريخه، لأن الاستجابات الانصافية تعبر reinforcement الذي لا ينبغي رهاً حاجات لمستم، لكنها ترتبط في الماضي بمثيرات ذات تعريض أوتني سابق

ج - الإجراء الصدوي Echoic ومثله تمريرات المحاكاة والتريديد هي تعليم اللغة. فمكون المثير هـ يتشكل من الكلمة أو لكلمات اسي يقولها المعلم أو لواء، ويريد من المتعلم أن يرددها وراءه. وهذا لنوع من السلوك له معناه في لغة الطفل، لأنه يساعد الوالد أو المعلم على التحكم في سلوك اللفظي لطفل

د - الإجراء النصي Textua ومثان هذا لإجراء الاستجابة للفظية الناتجة عن مثير مكتوب وفي هذه لحالة، فإن الاستجابة اللفظية و لنص المكتوب يجب أن يكونا متماثلين

هـ - الإجراء المايين لفظ Interverbal علما بتكم الشخص شيء ما، ويكون ما يقوله بفتح متحدة لفظية () ومثان ذلك الشخص الذي يريد أن يعطي أمثلة للأشياء المحسوسة، يبدأ بكلمة كتاب. فهذه الكلمة ربما تكون مثيرة بجعله بطق بعده كلمة (قلم)، وهذا لإجراء الأخير له صلة وثقة بمدى لتربط الاستدعائي (التداعي) بين لكلمات⁽¹⁸⁾

2 3 السلوكية الوسيطة وإشراط المعنى conditionnement du sens

تشكل السلوكية الوسيطة Behaviorisme médiationniste مرحلة متطورة في تاريخ السلوكية لتجاوز الطابع الآلي إحاذة الذي نميرت به السلوكية لتعميدة ولصعوبات انطردة والمهجنة المتعلقة بمسألة ربط المعنى اللعوي بالسلوك العادي من جهة وبالصعوبات التي نرسل بظاهرة «تعميم الدلالة» generalisation semantique المتمثلة في كون عدة مثيرات يمكنها أن تنتج استجابة لغوية واحدة وسيطة، وأن المثير نفسه يمكن أن يكون سببا في استجابات وسيطة مختلفة.

(18) محمي الدين محسوب، اقتراح السق المعاسي، دراسة في التداخل اختصاصي، ص 16، 17، د. الكتاب الجديد لمجلة، بيروت، 2008. وانوقع أنه لا على للمهنة بالدرس للسقي الحديث، لاسم في اجاب سمعق تعلم بقلانه، عن درث الأبعاد انفسه لغة من حيث تكوين الاعلام لغوته وتصورها عند الأفراد، لست لا يحبو مؤلف في عدم بقلانه أو عدم انفس باللعوي من عرض أساسيات تصور السلوكي في الموضوع لمريد من لاهلاص يمكن لرجوع إلى

J Lyons *Elements de semantique* Paris, Larousse, 1978, p. 101 1.4

- H. Hörmann: *Introduction a la psycholinguistique* p 158-191

إذ قلب إن الإشارة «مشروطة» وهي الكلمة التي تنوب عن شيء وتعوضه؛ أي نحن محلّه وتكون بديلاً منه *se substituer*، فمن أسهل أن نسير أن الاستجابة لكلمة م ليست استجابة بشيء، سبي تُحبل عليه إن كلمة «كذب» لا تسح، كما أننا لا نأكل كلمة «نمجة» فالتصور الوسيطى بهوم على خصائص بعض المقدمات لمشروطة، ذلك أن بعض الاستجابات «مشروطة» يمكن أن نملك عناصر مشتركة، وأن بعض جوانب الاستجابات التي لا يمكن أن نقل إلى سلوكيات خارجية؛ قد تلعب دور المثير بالنسبة إلى سجابة جديدة يمكن أن سرر خارجياً وتقوم بواسطة بوطيفتين⁽¹⁹⁾

- تحليل العلاقة من الدّل إلى المدلول، وهي العلاقة التي كانت السلوكية التقليدية والسلوكية لأدبىة معانيها في إطار ما كان يعرف بـ «نظام التوقيع الثاني»
second system de signalisation

توضح علاقة التوقيع التي عبرها السلوكية الوسيطة أسامة ومركزة في دراسة لغة

ويمرّ تحليل الوسيطى للسلوك لغويّ عبر ثلاثة مستويات

أ رابط مشروط م ← س مثير واستجابة بالمعنى التقليدي مع مكانة تقسيم الاستجابة إلى سجابة صريحة وأخرى ضمنية
ب رابط مشروط ثانوي؛ نعت فيه الاستجابة لضميمة دور مثير لاستجابة جديدة صريحة

ج يمكن للاستجابة لضميمة أن تتح من فس عدة مشيرات هذه لاستجابة هي بواسطة بني مثير بـ روابط لدلاليته والمعنوية التي يطلق عليها تسمى بدلالي كما مرّنا

بفرض حالة أخرى يحصل فيها على مثير لا مشروط؛ أي منه من محبط «خارجي» ولكن بتفاحة كما هي موجوده في العالم «خارجي» قد يشره «مثير» سجابة تامة *Reponse totale* وهي مجموع الاستجابات التي يطلب

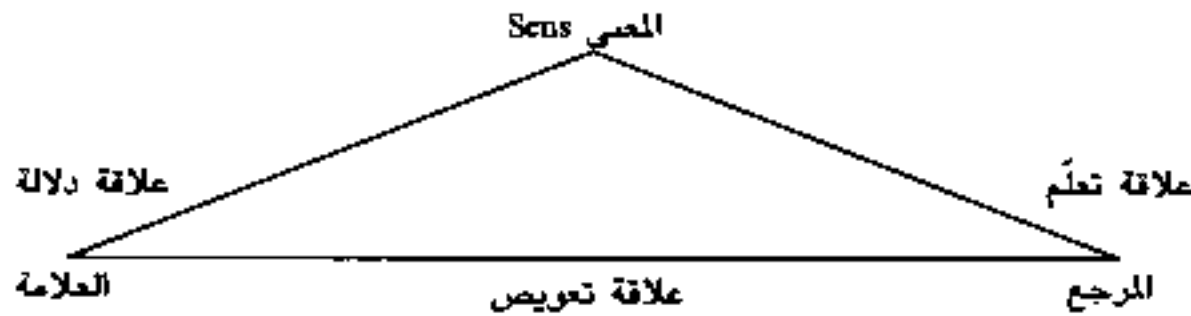
H. Hörmann *Introduction à la psycholinguistique*, p. 165-170

(19)

(Bayon et Paul Fabre *La sémantique*, Paris, Nathan, 1974, p. 30-32

بعضها استحصار الأشياء الموحدة فعلاً، ويتطلب بعضها الآخر استجابة وسيطية Reponse mediationniste وتتكوّن الاستجابة التامة من عدة مكوّبات غير متجانسة مثل رؤية التفاحة/مذاق اليد لقطعها أو تناولها/سيل اللعب/الشعور/لذة الأكل إلخ فإذا صاحنا المثير غير الشرطي بالكلمة /tuffahatun/، فإنهما يصحان معاً كلمة - مثيراً مشروطاً لن تثير استجابة تامة، وإنما جزءاً منها (استجابة وسيطية). إنّ الاستجابة الوسيطية غير القابلة للملاحظة المباشرة، تصح بدورها مثيراً وسيطياً stimuli mediationniste يتج عنه استجابة ظاهرة؛ أي كلمة - استجابة مختلفة عن الاستجابة التامة

وقد اقترح أوسجود⁽²⁰⁾ Osgood وسيبوك Sebook في إطار التحليل النفسي-لغوي Psycholinguistique تصوّراً محالماً لما كن سائداً في السلوكية التقليدية من ربط مباشر بين المعنى والسلوك؛ أي العلاقة بين العلامة والمرجع والمعنى حلقه وسطي بين العلامة والمرجع (الشيء الموجود في العالم الخارجي)، وعن طريق هذه الوساطة يتمّ الربط بين العلامة والمرجع وتصور أطراف العملية المتعلقة بالمعنى في المثلث التالي



يمكن توضيح مكوّبات المثلث لسابق بما يلي

المعنى - العلامة تحيل العلامة على طريق معنى معين مرتبط بالشيء
السمعي أو المكتوب بواسطة علاقة الدلالة

(20) Charles Osgood «On understanding and creating sentences» (963), p 60-64 in La psycholinguistique / Lectures edite par I Salama Cazacu, Paris, Klincksieck, 1972

- المعنى - المرجع علاقة معلّم، لأننا نتعلّم معنى العلامات بالتّصالح بالأشياء

- العلامة - المرجع علاقة تعويضي، لأن العلامات تعوّض ما تدلّ عليه وتسمح علاقة التعويض بالحصول على سلوكات سيميائية تجعل لا مباشر الواقع دقّة، وإنما علامات هذا الواقع⁽²¹⁾.

وبهذه لكيفية تكون السّموكية لوسطيّة قد انتقلت من معالجة مشكل المعنى بوصفه علاقة علامة - مرجع إلى العلاقة علامة - علامة، بمعنى أن «المشير لمشروط» كلمة يمكنه أن يربط بعلامات أخرى.

ويمكن أن ننحصر تصوّر سلوك الوسيط في تداول لغة في الرسم التالي

م ← كلمة ← س ← م ← م ← س ← كلمة

(حيث س = سنجدة ومسطية م = مشير وسيطي و س = استجابة)

يسمى أوسحوود الربط بين م كلمة و س و بالعادات لمارره بترمرر *Habitudes de decodage*، ويسمى العملية التي تربط م و ب س - كلمة بعادات لترمرر *Habitudes d'encodage* وطبيعي أن كلّ لعادات متلازمه عند الفرد المتكلم الواحد نفسه إذ تستدعي إحداهما الأخرى⁽²²⁾

وقد سمعت نظرية إشراط المعنى *conditionnement du sens* أوّجهي عد مورر Mowrer الذي حاول في تحليله تجاوز حدود دلالة العلامة الواحد؛ متسائلاً عمّا يقع داخل الجملة وكيف يمكن تفسير ذلك من وجهة سموكية وبطية يقار عده بأن لحمله تنقل معنى من المتكلم إلى السّمع، لكن مورر في أبحاثه بين أن بمعنى ليس شيئاً في ذاته يمكن نقله من المصدر إلى السّمع بواسطة موجب سمعية، بل إنه صيرورة متحركة، سواء في المصدر (المتكلم) أو عند السّمع، في

C Bayon et Paul Fabre. *La semantique* p 30

(2)

Charles Osgood: «On understanding and creating sentence» (1963), p 62 in 221

La psycholinguistique Lectures edité par I. Salama Cazacu

عمله اتوصل لا تفقد الدلالة في نظر مورر من شخص إلى آخر، بل من علامة إلى علامة عند الشخص نفسه فالدلالة مشتركة بين المتكلم والسماع وماهية التواصل أن تعبر دلالة العلامات التي نحمل معنى محدد⁽²³⁾

يمكن تحليل دلالة جملة مثل «أحمد نصر» من منظور هذين الصورتين كما يلي: عند المثير بمشروط كلمة «أحمد» له استجابة تامة تكون مسأ في جزء من الاستجابة التي يثيرها حضور شخص الذي هو «أحمد» وانتلفظ بـ «أحمد» بشكل استجابة ومسطه وعندما نكون بصدد المتولة «أحمد نصر»، فإن لفظة «نصر» من حيث إنه صفة مجردة تعد استجابة تامة لكن بحسب مبدئ للإشراف، فإن للاستجابة التي تتسبب بها العلامة الثانية «نصر» تمر عن طريق العلامة الأولى «أحمد» باعتبارها تعريفاً أولياً و«نصر» تعريفاً ثانياً، وبالتالي تصبح العلامة «نصر» استجابة ومسطه يكون جزء منها دليلاً للاستجابة الوسيطة الأولى «أحمد»⁽²⁴⁾

يلاحظ بصدد السلوكية عموماً والوسيطية منها بصفة خاصة، أنها تقوم بالإصافة إلى مفهومي المثير والاستجابة على مفهوم لتداعي Association لدى هو نوع من برتبط التداعي بين الكلمة والمرجع يقوم على التشبه والتقارب وحتى التقارب أو التعارض. لا أن كلمة التداعي لها أكثر من دلالة ويمكن أن تعبر عن كثير من المظاهر لنفسه كيف يتم لرتبط؟ متى يكون؟ ومنى لا يحصل هذا الرتبط؟ وهل يكون هذا الرتبط مشتركاً بين جميع الأفراد المتكلمين بلغة واحدة أم هو خاص بكل فرد على حدة؟ وهل يكون ناتج هذا لرتبط ثابتاً أم متغيراً حسب سن الفرد والمقام والثقافة أم ماذا؟

لنلاحظ مثلاً أن سمة المعجم تختلف في الزمان أي أنها في تطور مستمر، وبالتالي فهي عند الطفل غير نظيرتها عند البالغ والكبار يقومون بنوع من الرتبط بين الكلمات على أساس محور الاحتمال، بينما يتم لرتبط عند الأطفال على أساس المحاور السببية أو التوزيعية (عند الكبار مثلاً كلمة طاولة ترتبط

(23) تصرف نقلاً عن

C. Bayon et Paul Fabre *La sémantique*, p. 32-33

وعمل مورر المشار إليه هو

Oscar Mowrer *Learning theory and symbolic processes*, 1960

نكرسي، بما الطاولة عند اطفال هي اني يأكل عليها)

2 4 ملاحظات حول التصور السلوكي لطبيعة اللغة

هذه النظرة الآلية هي التفسير الذي يقدمه السلوكيون وعلى رأسهم رعيم المدرسة النسبية التورية بومهيلد لنع: بحيث اعتروها نوعاً من السلوك الإنساني ولقد كان بومهيلد يقصد من وراء سلوكيته أن يعد لدرس اللعوي عن كل ما هو سطبي، فهو يرفض أيّ تدول للعصر العاصه لمرسطة بالهز وبعمل ولشعور، لأنها لا تحصص لأيّ مراقبة أو لملاحظة التجربه وهذا تأثير واضح لموضعية المصطفية في التفكير اللعوي تحديث

إن النظرة السلوكية هي طبيعة اللغة فيها كثير من البساطة والآلية لمرسطة، وذلك حينما تربط اسخرية اللعوية بكل نعتات بالمحيط الخارجي؛ كما لو كانت اللغة سلوكاً عادياً ولا تفيد السلوكية في فهم الكثير من الأسرار وظواهر بي تصميمها العملية اللعوية إن مقاربة السلوكية بمختلف تصوراتها تقتصر للغة معطى موضوعاً في محيط موضوعي وقار، حيث تربط المكروبات من موضوعات ومراجع referents ومفاهيم بالأقوال اللعوية المستعارة عن طريق علاقة مقترنة ودائمه ومن ملاحظ أن هذه لعلاقة، مثلاً، إليها لا تكون دائماً علاقة مستقره، بمعنى أنه لا يمكن إطلاق اسرهة على أن اللغة محكومة بمثيرات قبله بتحديد أو حالات محددة من لحاحات لقبله بتشخيص

قد نستنج في بعض لحالات أن هذه المثير لمادي بقود إلى هذه الاستجابة اللعوية، إلا أنه ينبغي عند أن نسا بالاسجابة اللعوية استجابة أو ملائمة ما هو موجود في العالم الخارجي من مثيرات، وليس من الضروري أن يكون للمثير الواحد لاستجابة نفسها وفي مجال سكلولوجية الإدراك بمجرد ما يحاور وصف ما هو حاصل فريبثياً بصادف لعدد من لأسئله ومنها ما هو امثير الحقيقي؟ هل الموحات الصوتية أم التفرع المحكم بها مشي؟ هل لماء ندي براه أم العطر ندي بحس نه⁽²⁴⁾

إن اللغة ليست دائماً مثيرةً وامتجانية؛ إذ من الممكن أن نتحدث في عاب المثيرات المادّية الفعلية، كأن نحكي عن أشياء عاتية، أو وقعت لنا دأمر أو ستقع عدأ. و اللغة نسمح لمستعملها بتصوّرات حيالّية لا حدّ لها؛ و لا وجود لها إلا في عالم بحر عبر العالم الملموس وتتعدى تحرق حدود المألوف من لأشياء والتصوّرات في مجال اللغة يمكن أن يفسّر وجود لأساليب للاعبنة والتصوّرات لغوية ومختلف تقيّدات إنتاج الببان اللفظي والمعنوي بأنها انعكاس للحرية التي تتوفر لدى كل متكلم للتعبير عن الشحنة اللغوية الكامنة فيه والتي تتمكن اللغة من التعبير عنها بأشكال مختلفة من الحُمل و لأقوال؛ ولو يعنى الأمر بأوقائع نفسها والأحداث نفسها المعتر عنها.

إن السلوكية بهذا المعنى تسلط عمدة اللغة؛ معنوه يدها عملية كية مكفي للحصول عليها لوقوع تحت تأثير العوامل «فسيولوجية» التي تستنها المثيرات المادّية إنّ نعم اللغة في نظر المدرسة السلوكية كباقي أنواع التعلّم الأخرى، اكتسب سلوك لفظي استنداً إلى التكرار والتقليد والتعريب و غير حاف على أحد أن اللغة جهر معقد يستحيل احتصاره في مثير واستجابه بالتظر إلى صحامة التجربة اللغوية وتعقيدها كماً وكيفاً عند الشر إن لغة نحمل ك معومات ثبية عن عقلية المتكلم والسمع وحالهما انفسية والاجتماعية والعكرية، وهو ما لا يمكن للمثيرات والاستحانات لمتعدده أن تقه إليها، أو نقوم باستخلاصها منها إن السلوكية تسلب الإنسان حصائص مذهبته ووجوده لتمثله في لعقل و لإبداع وحرية الإرادة والتحكّم في التصرف، محاولة بذلك أن تحل منه كائناً أشبه بكل ما يوف الذي لا يمكنه أن يتحكّم في ردود فعله إزاء شروط فعل معنة

3. التصوّر العقلاني⁽²⁵⁾؛

مد أقدم العصور؛ يُعدّ التصوّر العقلاني في تسمياته العديدة الموقف المصاد للتجريبية المادّية في أشكالها المختلفة والسلوكية بوجه خاص ويستمد

(25) لأدات عقلانية المعنفة نأخه عتبة بعضها قديم وبعضها حديث، بعضها فكري عام وبعضها سببي صرف ومن بين مصادر الأساس في عقلانية اللغة يذكر أعلام الفسوف ديكارت وأعلام تشومسكي وأتباعه في النحو النويدي على سبيل التمثيل لا الحصر

لموقف العقلاني لمعاصر حدوده الأولى من الفلاسفة العقلانيين في القرن التاسع عشر، أمثال رينيه ديكارت (René Descartes 1596-1650)، وعومريد لايسر (Gottfried Leibniz 1646-1716) ثم هامبولدت (William Von Humboldt 1767-1835) ومن أبرز ممثلي العقلانية في النسخات الحديثة انساني لا ميركي تشومسكي (Noam Avraham Chomsky 1928) (صاحب النظرية لسانية المعروفة باسم اشتوليدي).

يرفض العقلانيون أطروحة السلوكيين القائلة بأن الإنسان يُولد صفحة بيضاء Tabula rasa، وأن المحيط الخارجي هو الذي يكسبه هذه اللغة في إطار ثنائية مشير والاستجابة عن طريق المحرمة، أو عن طريق لتعلم بمحتلف توجهاته وطرائقه ومعدل هذا التصور لتحريبي يؤكد العقلانيون فرصته ما يعرف بعطرنه Innatism؛ أي لوجود لأولي للأفكار والبيئات لمعرفة، ومنها البت استعونه عند الإنسان والإنسان دون غيره من الكائنات الحية يوجد مودة سبه لعونة، وهي معروفة أولية مستقنه عن أي بيئة؛ محمده فدر على لغة من دون تعلم خاص ولقول بعطرنه يعني أبصاً لامتداد البيولوجي الحاصل عند الإنسان للعلم، مثم يلاحظ من ستعدد خاص للقدرة على الظهور عند لظهور أو لعشر تحت بناء سسبه بي الكائنات المائية فعدرة هذه الكائنات على تقديم بهذا نوع من السلوك بي مفرد بها تتم على أساس استعداد قلبي؛ من دون تعلم يذكر أو تدخل محيط ويؤكد العقلانيون بطاع الإبدعي للغة، فكل متكلم يكون قادراً انطلاقاً من مواد لعونة محدودة على إسح وتأويل ما لا حصر له من حمل، وهي حمل سم يسوق له أن أسجها أو فهمها من قبل كما تؤكد لعلايته مبدأ استقلال لغة عن الكاء؛ أي عدم وجود أي علاقة عصبية أو وظيفية بين مستوى داء المتكلم وقدرته على اكتساب اللغة واستعمالها فألد إسان يتكلم وأدكي الحيوانات لا تستطيع ذلك (فكره وردة عند ديكارت في القرن التاسع عشر).

إن خصوصية اللغة عند الإنسان تمثل في كونها حاضه بـجس اشري، وهو ما يؤكد ضرورة فراض وجود الاستعداد الأوتي للمعلم للكلامي بوصفه صفة بيولوجية ملازمة للإنسان، من يمكن أن يفرض بحسب لتصور عقلاي أن لغات الطبيعية مهما احتللت سياها لضوئية والتركيبة والدلائية، فإنها تمتدك

صفات وفواسم مشتركة يطلق عليها الكليات النعوتية Les universaux linguistiques والكليات نوعان مادية وصورية

تمثل لكليات المادية في كون اللغات الشترية شترك في بعض الأصوات اللعوتية من حيث هي مادة وفي بعض الحصاصن الممترة بينها، مثل الشفوية والانعجارية والاحكاكية وفي مستوى التركيب، يلاحظ أن كل اللغات تنو مر فيها جمعة من مفعولات، مثل المعلقة والاسمة والحرفية والوصفية وفي مستوى المدلول، يلاحظ اشتراك اللغات البشرية في مجموعة من الحصاصن التصورية المتعققة بدلالة كثير من مفردات المعجم أو برؤب دلالة عامة، مثل المفعولية ولعية ولحدث والمعلقة ولسه وعيره

أما الكليات لصورية فتتحلى في كون اللغات البشرية تعرف عدداً مشتركاً من لمبادئ لصورية لعامة المتعققة بتنظيم اللغات من ناحية لشكلته، سواء في مسوى الدلالة، أو مستوى التركيب

- جميع اللغات تنو مر بها نبات سطحية ونبات عميقة
 - جميع للغات تلجأ إلى مفهوم التحوين ندي بمكن بواسطة الانتقال من النبات السطحية إلى النبات العميقة
- وما تحلف فيه اللغات هو كيمه تطبيقه لهذه التحويلات بالنسبة إلى لظواهر الحاضه بها بحسب طبيعة سقها التركيبية⁽²⁶⁾

ويرقص لاتجاه العظري إعطاء الأولوية للمحيط الخارجى في مسأله نعم للعه، ولقوانين و لمبادئ العامة المتحكمه في نعم اللغات هي مبادئ داخلية؛ أي تأتي من السية الداخلية للعقل الإنسانى نفسه هذا الموقف لا يعنى إطلاقاً إنكار أهمية المحيط ودوره في تعلم اللغة واكتسابها، ولكن يعنى أن دور المحيط ثانوى، إذ لا تُد من الاستعداد لأولى نعو؛ أي لقدرة على استعمال للعه، يقوم المحيط بدوره التفاعلى في بلورة هذا الاستعداد، وليس العكس كما يقول التجريسون الذين يعبرون أن المحيط هو الذى يمد الفرد بهذه اللعه، أو أن

Noam Chomsky *Aspects de la theorie syntaxique* Paris. Aux edit ons du (26)
Seuil. 1971. 1965.

لمحيط هو مصدر كل ما لدى الطفل من المهارات اللغوية عن طريق اسجدة
(لاحتكاك - تقليد - تكرار - انقباس)

بعض الباحثين يُسفي هذه الفطرة اللغوية «محصنة غير منتظمة» وهو ما يرد عليه
تشومسكي بالتساؤل عن لأسباب التي تجعل «العكوت ودرأ دون سواء على سطح
بني بهده بكمية التي تدول حد مثيرة ومعقدة. إن سب قدرة عكوت يرجع
بدرجه لأولى إلى الفطرة وحدها، أي الاستعداد الأوتوي «موجود لدى العكوت
دون غيره من الكائنات وينم هذا من دون تعتم أو مدخل من المحيط» (بيئة) ⁽²⁷⁾

إن اللغة ليست، بحسب العقلايين، سلوكاً تجريبياً مكتسبه الفطر نتيجة لما
يقدمه المحيط من مؤثرات خارجية أو نتيجة لتقليد العبارات اللغوية المستعملة
في سماعها لفظ، بل إنها صفة بيولوجية ملازمة للإنسان يميز بها من غيره من
الكائنات الحية وبرى العقلايين أن المحيط لا يملك أي سببة مجسدة أو
أساسية يجعله ودرأ على اكتساب الفطر بظماً معقد في مستوى اللغة «شدية»
وسبب هذك قوامين خارجيه للاكتساب لغوي عند «فطر» بل تأتي كل القوايين
من دحل السبب المعرفية عموماً والنسبة خصوصاً ومعنى هذ أن كل سبب أوتيه
مرتبطه بالإدراك، سواء كانت من مصدر بيولوجي أو معرفي أو ساني، فهي
مفروضة من الجهر نفسه (لاستعداد لأوتلي لغوي) على المحيط وليس لعكس ⁽²⁸⁾

4. التصور التكويني

بدخل التفسير تكويني لطبيعة اللغة في إطار نظرية إستيمولوجية عامة
عرف بالإنسييمولوجيا التكوينية Epistémologie genetique التي صاغ أسسها العامة
عالم النفس السويسري جاك بياجيه Piaget واللغة، بل سبب إلى «تكوينية» شرط

(27) Piattelli-Palmarin: *Theories du langage et apprentissage des langues*, débat entre (Chomsky et Piaget). Paris. Aux éditions du Seuil, 1979

(28) حريد من تفاصيل يمكن الرجوع إلى المصدر ذاته

• Noam Chomsky *La linguistique cartésienne* Paris. Seuil, 1969

Theories du langage et apprentissage des langues débat entre (Chomsky et Piaget). Paris, Seuil, 1979

• Chomsky *Reflexions sur le langage* Paris, Maspéro, 1979 1977

مثل باقي الأنشطة الإدراكية والعكرية والحركية عند الإنسان وهو نشاط يتم ساؤه مثل باقي الأنشطة المعرفية عند الطفل عبر مراحل متتابعة. (ومن هنا جاءت تسمية هذه المدرسة بالبنائية constructivisme). وبالتالي فإن السائفة تهتم بالعمليات الإدراكية cognition سمفومها الشامل عند الفرد؛ الأمر الذي تجاهده السلوكية وترفضه لاعتبارات سبق لحديث عنها

إن اللغة باعتبارها نشاطاً ذا صعة إدراكية؛ يتم استخلاصه من مجرى تمثيلات flux de representation لها عدد من الثوابت invariants لتي تشكل أساس بنية الذكاء دتها وتتميز هذه الثوابت بخاصيتين أساسيتين

الفردانية Individue؛ أي أن كل فرد يسي عالمه الخاص من خلال نشاط خاص به في تلاؤم مع العالم الخارجي

الكنة Universels باعتبار كل الأفراد العاديين يقومون ساء هذه الثوابت إلا أن هذه الكنية ليست مرادفة للعصرية كما يقول بذلك تشومسكي

ويقدم بياحه تفسيراً نكوبياً للغة عند الطفل إنها نسي عمر مراحل متعددة قبل أن تكتمل في هذا الصدد يميز بين نوعين من اللغة⁽²⁹⁾

- اللغة المتمركزة حول الذات Langage égocentrique

- اللغة الاجتماعية Langage social وهي التي تمثل مستوى اللغة الممكنة عند الفرد الواعي لما يقول حيث بدور لحوار في سياق عادي

بالسنة إلى اللغة المتمركزة حول الذات وهو مستوى اللغة عند الطفل يميز بياحه بين ثلاثة أصناف من اللغة

لترديد (مرحلة المصاعة) La répétition (l'écholalie)

le monologue للمونولوج

le monologue collectif - (المونولوج الجماعي)

(29) Jean Piaget *Le langage et la pensée chez l'enfant* Paris. Editions Denoël et Gonthier, 4^{ème} Edition, 1984, 923, p. 24 et suivantes.

في الحالة الأولى، بعيد الظفل كلامه ويكرّره حتّى وتلدّد ذلكلام نفسه، من دون أن تكون هناك بنية مقصودة في الكلام، أو دفع محدّد له، أو أن يكون للطفل رغبة أو اهتمام بتوجيه الكلام لشخص آخر.

في الحالة الثانية، تصاحب كلام الظفل مجموعة من الحركات اليدوية لدعم الكلام وتقويته، وأحياناً تعويض الكلام نفسه، وكأنّ الظفل في هذه المرحلة يكلم وهو يفكر بصوت عالٍ.

في الحالة الثالثة، يتشكل كلام الظفل من مجموع المواقف التي يكون فيها النشاط اللّغوي مشتركاً بين مجموعة من الأطفال، بحيث يظهر الأطفال وهم يكلمون فيما بينهم، إلا أنّهم في الحقيقة لا يهتفون بأن يُسمعوا من قبل محاورهم من الأطفال⁽³⁰⁾.

وقد طوّر بياجيه تصوّره في موضوع اللّغة عبر كتاباته العديدة التي دامت عدة عقود من الزمن ويمكن القول بأن التّصوّر التّكوينيّ للّغة يقوم على مبادئ أساسيتين.

أولاً ليسب اللّغة هي السّمة المميّزة للإنسان من غيره من الكائنات، (كما يقول بذلك لعفلايوس ديكارب/بحاة بور رويال ومدرسة النّحو التّوليديّ برعمة شومسكي)، بل إن هناك شيئاً أكثر عمومية من اللّغة ذاتها عند الإنسان. إن الكائن البشري يملك ما يسميه بياجيه طاقة إدراكية عُلى *Capacité cognitive* *supérieure* التي تجعل الفكر التّمثليّ عنده أمراً ممكناً.

- ثانياً إن اللّغة ليسب سوى جزء من لتظاهرة الرّمزية العامّة التي يعثها الإنسان في إطار تعاونه مع المحيط الطّبيعي والاجتماعي الذي يعيش فيه إنّ توظيف هذه الرّمزية (ومنها اللّغة) يكون نتيجة استعمال الإنسان لهذه الطاقة الإدراكية العُلى⁽³¹⁾.

(30) لمصدر نفسه ومن هذا الكتاب عددٌ كثير من انتصرف بياجيه التّكويني حول اللّغة عند الظفل.

(31) Joseph Leif: *Le langage nature et acquisition*, Paris, Editions ESF 1981, p 33.

ويرفص بياحيه انفرادي تشومسكي المتعلق بالمطربة؛ لأن وجود نظام قنني أو سياط مطربة أولية بحسب بياحيه، لا يسمح بتفسير عملية اكتساب اللغة عند الطفل تفسيراً معقولاً وواقعياً. إن اكتساب اللغة لا يتم دفعة واحدة كما توحي بذلك فكره السية الجاهرة عند تشومسكي. إن اللغة ليست جهر فائماً بدته، لأن كل جهر يعني الاكتفاء بدته وهو ما لا يلاحظه في عملية اكتساب اللغة وحتى لو تم لتسلم بوجود هذا الجهر فإن ذلك يتطلب الكثير من الوقت أو مراحل معينة من توضيح الفكري عند الفرد حتى يتمكن من استعمال هذا الجهر⁽³²⁾. إن اللغة عند الفرد (الطفل) هي أولاً ساء يتم سطاء وفي مراحل تكون مرتبطة بمرحل نمو مدرك معرفته وتصورية أخرى لا تقل أهمية عن اللغة؛ تتكامل وتتفاعل مع المدة بلعونة؛ أي أن عملية اكتساب اللغة وتعلمها ترتبط بمرحل النمو النهائي ولجسماني عند الطفل. إن تكوين السب الإدراكية عند الطفل يكون بمثابة تكوين الوظيفة الدلالية في ربطها بثبات أخرى (تكوين المفاهيم لصنع الحركية الصور) ويشكل الكل ما يسميه بياحيه الوظيفة الزمردة أو السيميائية fonction symbo que semiotique وهي لظافة التي تمثل أنشطة التمثل كفة عند الطفل (صور/إشارات)؛ أي تمثل المدولات وتصورها (أشياء/وقائع، أفكار) بواسطة دوال (إشارة/صورة/كلمة)؛ أي تركيب بعلامات واستعمالها⁽³³⁾ وتظهر الوضع السيميائية في المرحله الجسته الحركية sensor motrice عند الطفل ابتداء من الشهر الثامن عشر. وتتمظهر في سلوكيات مختلفة

• التقليد المحوون Imitation transférée؛ أي قدرة الطفل على تقليد شيء ما في غياب هذا الشيء؛ وهو ما يعكس قدرة الطفل مد سن مكرة على تصور وجود مسافة بين الدال والمرجع

• التحييل حيث يلاحظ قدرة الطفل الوعه و لمقصودة على إسناد معاني جديدة إلى معاني معروفة

• الرسم

(32) Pia Jelli-Palmarini Theories du langage et apprentissage des langues (debat entre Chomsky et Piaget). Paris. Aux éditions du Seuil, 1979

(33) Piaget Le langage et la pensée chez l'enfant

• لُصُور لِنَهِيَّة

• القدرة على التذكّر

• اللغة باعتبارها نشاطاً ضمن أنشطة أخرى وطبيعتها مهديم معلومات عن أشياء عائدة^(٦٤)

5. اكتساب اللغة

يمكن النظر إلى مسأله اكتساب الطفل للغة من راويتين محتملتين
مكتملتين

الرؤية اللسانية (ما تقدمه السيكولسانيات على وجه التحديد) والرؤية
نفسية (علم النفس بصفه عامة)، إذ دلست إلى اللسانات تكمن مهمة اللساني
في تحديد المضغات والخصائص التي تتميز بها لغة الأطفال من حيث الضوب
والتركيب والدلالة عبر مختلف المراحل ونشرت التي نمرّ منها لغة عند الطفل
أم علم النفس فيبحث مسألة اكتساب اللغة عند الطفل كمظهر من مظاهر تتعلم
لمعرفي العلم عنه أو كوقعة نفسه مسبقه وقائمة نفسها أو من خلال إدراك
لنمط انفعالي فصديا لمعنى sens والدلالة signification من خلال اكتساب
لتصورات عنه. ونظريات اكتساب اللغة عند الطفل كثيرة ومتعدده، لكن سننفع
عند أهمها في اعتقاد الشخصي، ألا وهي نظرية ياجيه بتكويته باعتبارها أكثر
وقعة من غيرها، ونظراً إلى ما سميرت بها أعمال ياجيه ومدرسته من شمولته
واسمريته في بحث فنه دقت استنه عقود من القرون العشرين ما يهتم من
علم النفس التكويني عند ياجيه هو بالتحديد مكانة اكتساب اللغة في علاقتها
بالموادهي والمكري عدم لدى لطفل

فيما يتعلق باكتساب لأصوات من منظور اللسانات يمكن لقول بأن فرصته

(٦٤) المصادر: جمعته نظرية ياجيه متوفره بكثرة سواء باللغة الفرنسية أو اللغة العربية
وسمفنة بين لتصور لفظي عند شومسكي ولتصور لبائي عند ياجيه يمكن الرجوع
إلى لمناظرة تاريخه التي حرب بين الاثنين حول طسعه اللغة المشار إليها في هدمش

ياكسون⁽³⁵⁾ تتميز بكثير من العمق والتفسير لعدم لظاهرة الأصوات عند الأطفال وهو يرى أن اكتساب الطفل للأصوات وتطور لبيات انشوية يتم في المراحل التالية

في بدايه الأمر يكتسب الطفل مجموعة من اسماء المميزه Traits distinctifs بحسب التسلسل التالي

- الصوت Voyelles أ | إ | u , o , a

- الصوائت Consonnes ويبدأ بالتفلات بين ما هو شهوي وما هو أنثي

- اكتساب الأصوات ذات المقابلة بين ما هو شهوي وأصلي p-t

هذا التسلسل في اكتساب لأصوات، سواء منها الصوائت أو لصوائت، يكاد يكون كئياً universe؛ أي أنه مشترك بين جميع أطفال لعالم مهما اختلفت اللغات الخاصة التي سيتكلمونها لاحقاً كما أن اسماء المميزه التي تظهر أولاً عند الطفل هي الأكثر شوعاً في معظم لغات العالم أم ما يتعلق باكتساب المفردات فيلاحظ ما يلي

لا يستعمل الطفل في سنته الأولى سوى مفردات قليلة جداً، بعضها ينصص معاني، وبعضها لا معنى له، بل هو تقليد أو محاكاة صوته للكلمات الكبار أو دلالة على أشياء محدده مادياً في العالم الخارجي ويردد هذه المفردات بين السنة الثانية والثالثة، بحيث يلاحظ فيام الطفل تصحيح بعض المفردات التي كان يطلقها بدون صبط واكتساب مفردات جديدة وبتداء من سنته الرابعة يصبح عدد مفردات الطفل حوالي ألف مفردة، ثم يصل هذا العدد إلى حدود العشرين ألف مفردة وفي كل هذه المراحل، تعرف لغة الطفل بعيراً كميّاً ونحاهاً واصحاً نحو الاكتمال المعيري، بحيث كتب اردد سنّ الطفل ونموّه الذهني، تبدأ الأشكال اللغوية عنده تتطابق تدريجياً ولأشكال اللغوية التي يستعملها الكبار⁽³⁶⁾

(35) محمد في هذا التعميم على كتاب ياكسون

Roman Jakobson *Le langage enfantin et l'aphasie*, Paris, Editions de Minuit, 1969

(36) هذه الأرقام نسبية ونهم الأطفال منكملمين بمعاني أحسية مثل الإنكيريّة والانسانية

ولس نبي، دراهم حقيقة عن واقع اكتساب اللغة العربية الفصحى عند الطفل العربي

والملاحظ أن الطفل قبل سن العاشرة لا يتحكم كلياً في معاني المبررات من حيث استعمالها وتداولها مع الآخر. فهو مثلاً يفهمها جيداً، ولكنه لا يستعملها في تركيب الجملة كما سعي له أن تكون ويستعين الطفل في استعمال المبررات بالموقف التواصلي، وما يكون لديه من معلومات عن الأشخاص الذين يحاورهم أو لموضوعات التي يتحدث عنها

أما تركيب لغة الطفل فيتميز بما يلي

في الفترة الأولى من عمر الطفل إلى حدود الشهر الثامن عشر تكون لجملة عبارة عن مبررات متفرقة يربط بينها الموقف التواصلي أو لأفكار العامة التي يقصد الطفل تبليغها

بعد لشهر الثامن عشر، يستعمل الطفل كلمة واحدة (ما يسمى علماء النفس بالكلمة الحاملة «e mot phrase» «one word sentence») تكون بمثابة جملة

وبعد السنة الثانية يصبح في مقدرة لطفل أن يشكل جملة تكون من أكثر من كلمتين

بعد الثالثة يسبح بطفل عادة حملاً أكثر طويلاً ودون سباب محدثة يلاحظ فيها أن الكلمات التي يتدلى بها تكون هي بؤره كلامه والأكثر أهميته بالنسبة إليه

وبعد هذه الفترة يدخل لطفل مرحلة بعونه حديده يستطيع فيها أن يطبق بين الأسماء والأفعال كاستعماله للمؤنث في محله والمطابقة بين الصفة وموصوفها، يسفل بعد ذلك لاستعمال صيغ الجمع بكثرة من الإتيان والطفل في كل هذه المراحل، وحتى بعدها، يمكنه أن يرتكب أخطاءً ما، كأن يندجأ إلى بعض لهجات الحاطنة (بالنسبة إلى الطفل المغربي بجمع كلمة قره (امرأة) يبرو ب بدلاً من «عيلات») ومع النمو الفكري وبعض التصحيح الذاتي المباشر أو من قبل الوسيط (العائلة وغيرها) يتوصل الطفل إلى اكتساب جميع قواعد اللغة

ما تتميز به لنظرية لتكوينية من سلوكية والعقلانية على لسواء، هو أنها تحاول الموفقة بين المعطى المعرفي عند الإنسان والمحيط المادي الذي يتطور فيه هذا المعطى، وهي نظرية في اكتساب المعرفة والتعلم بصفه عامة، تجمع بين ما هو بيولوجي وما هو سلوكي عنده فساد من جهة يرفض لهيمنة لمطلعه للبيئة وحدها في تشكيل الظواهر النفسية وتطورها، كما تقول بدت السلوكية، وهو من جهة ثانية يرفض القوالب لسلات المعرفة لمعددة فنيًا مثلما نجد في أبحاث تشومسكي العقلانية إن تصور عالم النفس بآلية ومدرسته قائم على استحسان بين المادي لموضوعي ولذهني لصميت وتفاعلهما إن لظواهر النفسية (ومنها اللغة) عند لطفل ليست معضيات ماذة أو تصورية فائمة بداتها ومهيأة كامله وتامة ومستقلة بنفسها ومعلمة، بل إن الظاهرة الواحدة هي نتيجة تكوين وساء تدريجي يتم عبر مراحل Stades تتفاعل فيما بينها وتتكمّل في توافق تام وانساق مع تكوين وساء ملكات ذهنية وفكرية أخرى عند لطفل على الشكل التالي

المرحلة الحسية الحركية Sensori motrice استاقة على اللغة حيث يسود عند لطفل ما يمكن تسميته منطق بحركات Logique des actions وعلاقات الرمة وتداخل الأشكال وتفاعل الأشياء وتفاعلها، ولأشياء اثابة، ومظيم لمكان، ولسية

مرحلة التصوراتية Stade de la conceptualisation (بين السنة الثانية ولسنة استاعة) وفيها يصبح لطفل فدرًا على تصور لحركات؛ أي تمثيل وكشف الوظائف بين محالف الظواهر والمطابقة بينها من دون معرفة بجميع حيثيات الكلام العادي

مرحلة الحوار Stade du dialogue (بين السنة استاعة ولسنة العشرة) وفيها يمكن لطفل من التجميع المسطفي للأشياء ولكنه مع ذلك يظل مرتبطًا باستعمار الأشياء

المرحلة النهائية بين السنة الحادية عشرة ولسنة الثانية عشرة حيث يتكوّن لدى لطفل منطق فصوي Logique propositionnelle فرضي مسطفي مع بقدرة على لتسيق بين المجموعات والأجزاء

وطسعي أن المرحلة السابقة مراحل مولية ومنسلسلة بمعنى أن المرحلة
 أو حده ضرورية لوجود الأخرى كما أنها قد تتداخل رمدياً ولو في فترة وحيدة
 ووصيفة الشعة الأساس سلسة إلى مكويتة ساحبه هي لتمثيل Representation
 ويرد هذا للمفهوم عند التكويتة مفهوم الفكر أي «كن ذكاء لا يعتمد على
 لإدراكات والحركات فقط»⁽³⁷⁾

(37) موند من لاقلع على نظرية بيديه يمكن الرجوع إلى جورج بي فو من «نظرية
 بيديه بيديه ضمن كتاب نظريات لتعلم دراسة مقارنه، عالم معرفة، عدد 70،
 سريين لأول أكتوبر، بكوب، 1983، ص 32-403.
 - عبد السلام، يرهم الإنسان وعدم لنفس، عالم معرفة، عدد 86 شيط فرير،
 بكوب، 1985، ص 21، 144.

الفصل الثاني

الطبيعة الاجتماعية للغة

تقديم: اللغة والمجتمع تحصيل حاصل

إن تأكيد كثير من المدارس على الجانب الاجتماعي للغة أمر أكثر من بديهي فاللغة مؤسسة اجتماعية بامتياز، بحيث لا يمكن تصوّرها خارج المجتمع كما لا يمكن تصوّر أي مجتمع بدونها ولا يحصى على أحد أن كل لغة تعكس وفعلاً اجتماعاً، كما تعكس بوضوح سطر العلاقات الاجتماعية القائمة بين أفراد مجتمع معيّن، وهي كذلك تحمل آثار مطابقة للمسلمات الفلسفية التي يحياها سكانها. فهناك لغة الفلاح ولغة العامل ولغة تاجر ولغة المثقف.

واعتبر اللساني الفرنسي أنطوان ميه Antoine Meillet أن لغة الشعوب التاريخية المتأثرين بعلم الاجتماع، أن اللغة لشرية هي أساساً معطى اجتماعي في مقام تاريخي ثماني مؤكداً برباط العصوي الوثيق بين اللغة والثقافة ومختلف لأشكال الاجتماعية للشعب الذي يتكلم هذه اللغة وقد اعترض ميه على تعريف دو سويسر لغة أندي بقوله بأنها «نظام من العلامات المعنوية عن أفكار» قائلاً بأنه تعريف نصت كل اهتمامه على الجانب النفسي ولا يعطي أي أهمية للإنسان الاجتماعي في العمدة اللغوية⁽¹⁾ ويأسف ميه بكون سويسر لم يتحدث عن الكلام باعتباره أن اللسان حصصه الاجتماعية ولسانية، وواقع اللسان أنه اجتماعي بامتياز.

(1) Antoine Meillet «l'état actuel des études de linguistique générale» in *Linguistique historique et linguistique générale* Paris. Librairie H. Champion, 1965, 92., p 17

وقد دافع اللغويون الروس (في الحقبة السوفياتية من 1917 إلى 1990) أكثر من غيرهم في القرن العشرين عن الطابع الاجتماعي للغة انطلاقاً من مدعٍ فكريٍّ عدمٍ بقول موحود رابط عصويٍّ بين الماهية الاجتماعية للغة ووظيفتها، التواصلية والإحصائية التي تُحدّد في انبهايه بالرجوع إلى لهوئة الاجتماعية للوعي الإنسانيّ كما يمكن أن تُحدّد كل وظائف اللغة بوصفها إحدى تطهرات لشطء الاجتماعيّ عند الإنسان لقائم على لروابط الاجتماعية بين الأفراد وفق اشروط المادّية الملموسة بحفصة بمرحبة اجتماعية معينة. إن اللغة بعكس الواقع الاجتماعيّ بمختلف معطياته باعتار الأحداث اللغوية مؤشرات دالة على التطوهر الاجتماعيّ نفسها «إن الإنسان ليس تحريداً ولكه حفيلة اجتماعية» كما يفون كارل ماركس K. Marx⁽²⁾ وفي هذا التصوّر لمادّي الماركسي للغة، فإن المهجبة التي يجب أن تُنفع في لسانات النظرية بسعي أن تقوم على قاعدين أساسيين أولاهما لطاقع الاجتماعي للغة وثانيهما عدم لتمبير بين اللغة والفكر⁽³⁾

وعبر بعيد من تصوّر علماء الاجتماع للغة، تصوّر علماء الأشروبولوجيا والإثنولوجيا الذين يؤكّدون أن اللغة ليست مجرد وسيلة لتفاهم أو اتواصل⁽⁴⁾ إنها حلقة في سلسلة لشاطء المستظم. إنها جزء من الشوك الإنسانيّ؛ وليست أداة بعكس الفكر فقط. إن كثير من هذه الآراء والتصوّرات أصبحت اسوم موضوع دراسات ميدانية متحفظة مستقلة سبباً عن اللسانات دابها. تتعلق الأمر باللسانيات الاجتماعية Sociolinguistique التي تتاول بالتحليل والتفسير علاقة اللغة بظاهرة الاجتماعية؛ أي دراسة العلاقة أو العلاقات القائمة بين ما هو لساني وما هو اجتماعي. وتهدف اللسانيات الاجتماعية إلى الكشف عن القوايين أو المعابير الاجتماعية المحذده للسلوكات اللغوية⁽⁵⁾.

(2) Groupes d'auteurs. *Questions theoriques de la linguistique* Publications de l'Academie des sciences de l'URSS, Moscou, 1977 p.6

(3) مصدر سابق ص 6 7

(4) نظر مثلاً موقف سايير ومالسوفسكي هما بتعلق بتحديد اللغة كشاطء إنسانيّ ديباميكي

(5) J. Fishman *Sociolinguistique*, Paris, Nathan, 1972, 1966, p 19

وتوجد اليوم حملة أخرى من التخصصات الحديثة العهد التي تدرس العلاقة بين ما هو لغوي وما هو اجتماعي نذكر منها

علم اللهجات Dialectologie ويندرج دراسة اللهجات وتحديد خصائص وعلاقتها بالمجتمع واللغة الرسمية

— الجغرافية اللسانية Géographie linguistique ودرس الإطار الجغرافي لسان محدد أي المجال المكاني الذي يتكلم فيه

علم اجتماع اللغة Sociologie du langage ويدرس لظواهر اللغوية باعتبارها أحداث على ظواهر اجتماعية معناه مثل لغة لفتاب لاجتماعية علاقة لغة بتدين علاقة اللغة بالأيديولوجيا

الأنثولوجيا اللسانية Ethnologie linguistique ويهتم بدراسة لسان معين باعتباره بعنصر عن الثقافة بمفهومها لعدم كسوك حصاري وعرفي وظهوس ومدرسات اجتماعية خاصة بعشير لغوية محدده

ووصح أن هذه التخصصات تعرف نوعاً من لتلاقي و لاختلاف في موضوعاتها واماهاج المتنعة لدرستها ويذهب بعض الباحثين إلى القول بأن النسبيات (نظريه أو الحالصة) لا يسعي لها أن تتميز عن النسبيات الاجتماعية ذلك أن دراسة اللغة من دور يرجوع إلى سياق اجتماعي جهد لا يستحق العناء وهو أدرك نوعيه وكم المعلومات لاجتماعية التي يمكن أن يحدث إليها بوصفها مهاداً لعلم التحولات التجسبات التصورات الحادثة بأن اللغات أنظمة محكمة كمنه من القواعد معلمة على دنها، وكذلك لو أدرك أن لأحكام لحاضه بالحقويه وأحكام السكوس ودرجه القبول لا تعكس خصائص تراكييب بعضها فحسب، بل تعكس أيضاً الحلقية لاجتماعية لمن بظلفون مثل هذه الأحكام ستوي في ذلك أن مصدر هذه الأحكام من علماء لغة أو من غيرهم⁽⁶⁾

(6) د. حسن صبحي، علم اللغة الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة، 1990، 1980، ص 36 ومفاهيم الحقويه وأحكام السكوس ودرجه القبول سي يشير إليها المؤلف مفاهيم أساسية في لنظرية التوبيدية الحقوية لي صدها شومسكي

2. علاقة اللغة بالفكر

تقدم لنا التعريفات النفسية والاجتماعية للظاهرة اللغوية وحياً آخر بلغة أكثر تعميماً وساحلاً مع عناصر أخرى، تتعلق الأمر بعلاقة اللغة بالفكر وواضح أن لا يقصد بالمفكر التمثيلات الذهنية أو العقلية الحاصلة للأشياء الموجوده في العالم الخارجي فقط؛ أي تبين الكيفية التي يسم بها إدراك الأشياء في لعالم الواقعي عن طريق اللغة. لقد عرف المفكر الإنساني منذ اليونان مثل هذه القضايا في إطار ما يعرف بنظريته لمعرفة التي بحثت حواش كثيرة من هذا الإشكالي، كما نجد ذلك في محاورات أفلاطون، لكن لعلاقة بين اللغة والمفكر قد أحدث في العصور الحديثة بعداً آخر يتمثل في الوقوف على علاقة اللغة بالحدس بمفهومها الشمولي للأمم التي تستعمل هذه اللغة بصفة عامة، واسعد التسوسيو ثقافي على وجه التحديد ولمزيد من التوضيح نعرض في الفقرات التالية أهم الأطروحات المعروفة حول علاقة اللغة بالمفكر من الوجهة الثقافية وهي ثلاثة نصورات أساسية في مجالها يكمن بعضها بعضاً، يتعلق الأمر بصور هيردر وهومولدت وبصور وورف- ساير

2 1 هيردر Herder علاقة عقلية الشعب باللغة

اهتم المفكرون والفلاسفة ابتداء من نهاية القرن الثامن عشر بمسألة العلاقة بين اللغة والمفكر من الناحية الاجتماعية والثقافية كان السؤال المطروح هو ما تأثير آراء الشعب في اللغة وتأثير اللغة في ذهنية الشعب؟ يتعلق هذا السؤال لعام معرفة مدى تأثير تفكير شعب معين في اللغة التي يستعملها وتأثير اللغة في تفكير هذا الشعب⁽⁷⁾ هذا السؤال وما يماثله من صياغات تصورية حول الموضوع نفسه يمكن أن يلخص من حديد في جملة من لساؤلات لني تقتضي الإجابة عن العديد من القضايا الفرعية، منها:

أولاً هل اللغة صورة أم شكل للمفكر؟

ثانياً هل اللغة مرة الشعب الذي يتكلمها؟

(7) Adam Schaff *Langage et connaissance*, Paris, Editions Anthropos, 1969 1964,

ثالثاً من تحدّد انعام الحارحيّ اللغة أم الفكر؟ وكيف ذلك؟

بطلق هيردر (1744 1803) من لسؤال القصيّة الثاني محاولاً أن يبرهن على أن صروحة خاصّة به مفاده، بحالاً أنّ كلّ أمة تمتلك رؤية خاصّة لانعام الحارحيّ في شموليّة وحرثيّاته تعرضها عليها كعنه تنظيم اللغة الممكنم بها ويتمرّع من هذه القصيّة بدورها سلسلة من تصوّرات لبي حاول هيردر أن يبرهن على أهميّتها وصحّتها من خلال تحليل معنق ودقيق لهذه القصيّة، التي اختصرها في مجموعته من علاقات أساسية بين مكونات القصيّة المعروضة وهي

علاقة لغة تاريخ لشعب

علاقة اللغة لمعرفة لعدم

علاقته اللغة بالإنديولوجيا (الفكر بصفه عدّة).

بالنسبة إلى مسألة أولى ذهب هيردر إلى أن قول بأن اللغة حقيقة ثابتة في الحاضر تربط الماضي بالحاضر والحاضر بالماضي إن اللغة بهذا المعنى حسب هيردر مسنودع بحارب لأجيان لماضيه، ووسيلة للحفاظ على هدم موث واستمرره حتّى في ذكره الأمة فبواسطة اللغة يمكن أن نصل هذه الحارب والمعارف الماضية أو الحاضره إلى لأجيل الحقبنة

أمّ بالنسبة إلى مسألة اثنية، فإن اللغة تعدّ وسيلة لمعرفة لعدم الحارحيّ، بها صورة وها، بتحدّدان لفكر وحق لا تعرف أفكار لأحرين إلا من خلال لغتهم، بل إنّ وجود لفكر نفسه ليس ممكناً إلا بوجود لغة وكما لا يمكنك معرفة أفكار لفرد إلا من خلال عنه، فإنّه من غير الممكن الوصول إلى أفكار شعب من دون معرفة عنه، لأنّ الناس يفكّرون كما يتكلّمون، وينكتمون كما يفكّرون

ويذهب هيردر في مسأله لعلاقة بين اللغة والإنديولوجيا إلى أن قول بأن لا يفكر إلا من خلال المفاهيم، لأنّ لغة هي الوسيلة الوحيدة التي نستطيع بها أن نحدد كلّ معرفة إنسانية ونصطط محيطها وفي هذا سياق يفترج هيردر إبعاد الأفكار التي لا توجد، لا بالكلمات؛ أي عندما يتكلّم أو يفكر ونحن لا نفكر في أي شيء لذلك دع هيردر إلى ضرورة إيجاد لغة مثاليّة لا الناس فيها ولا

عموم بين شكلها ومضمونها، إن المطلوب وجود لغة يكون لكل شكل معجمي فيها دلالة واحدة فقط ولكل دلالة واحدة شكل معجمي واحد فقط.

إن موقف هيردر من طسعة اللغة لشرته والدعوة إلى لغة مثاليه يعيد صوغ الأفكار والمواقف التي كان بعض المفلسين والرياضيين الأوروبيين أمثال ديكارت B Pascal ولايسر في الحقيقة الرّمزية نفسها نصرياً، قد عثروا عليها بشأن عموم اللغة الإنسانية وعدم قدرتها على التعبير الدقيق الذي تتميز به اللغة العلمية التي لا الناس فيها.

ولا نراهن بعض المفلسين التي عالجها هيردر تثير تساؤلات عدد غير قليل من الباحثين والدارسين في اللسانيات الأنثروبولوجية وغيرها وهي تساؤلات نظرية ومهنية مذكور منها على سبيل لتمثيل لا لحصر:

إلى أي حد يمكن تمحيص هذه الأطروحات والتأكد منها على أرض الواقع؟
أي كيف يمكن لبرهنة على أن اللغة العربية تتفق مع العقيدة العربية أو لا تتفق معها؟
ما قيمة المطابقة بين اللغة والعقلية على مستوى الإتيان الأدبي أو العلمي؟
ما دور اللغة في التصورات التي يمكنها هذه اللغة أو تلك بشأن بعض التحولات؟

إلى أي حد يمكن أن نقول بأن اللغة العربية مثلاً هي التي فرصت على العنقة العربية التي تتحيل الحزن دائماً في صورة رجل له قمران وديل، وأن الموت يأتي في صورته شح رجل يرتدي لباساً أبيض؟

هل هناك تطابق بين قوعد اللغة واحصائيات النوعية للشعب الذي يتكلمها؟

2 2 همبولدت⁽⁸⁾ (1767-1835) اللغة تخلق الأمة والأمة تخلق اللغة

إن الرومانسية والمثالية لفنيس عثر عليهما هيردر ورددهما غيره من كتّاب

(8) بالنسبة إلى أعمال همبولدت لا توجد حسب علمي لموضع ترجمات عربية كاملة، هناك بعض للمعرب سي ترجمها أحمد شاكر النكلاوي في إطار ترجمته لكتاب أعلام المفكر اللغوي، ج 1، الفصل الثاني عشر، حول همبولدت وسرع المعوي، =

«مفكري ألماب خلال لقوب اثامن عشر، بدعنا فقتهما مع ويديم فون همبولدت ب موافقه لمعتقده لعلاقة لغة بالامة و لغته هي في الواقع استمرار لأفكر هيردر لتدفعه وتدفعو له يقدم رجل الفكر والسياسة الألماني العيلسوف ويديم فون همبولدت بعض التوضيحات بشأن التساؤلات سدعه وغيره، معبداً صوعه في سؤال أعم وهو

هل يمكن أن نقول بأن خصوصيات لغة ما مرآة الأمة التي تتكلم بها؟

ب الأمر كدبت باللسنة بي همبولدت فكر لغة معبر أعلى وأمثل عن لدّهته أو العقلية الوطنية إياها باللسنة إلى لشعب بمثابة مرآة تعكس باربعه وحركته وأفراحه وهمومه إن أمارات العقيدة (لدّهية) الوطنية تظهر جنباً من خلال التهجيات والخصوصيات اللسانية من أمثال وحكم ويؤكد همبولدت أن ثقافته تأتي من الشعب، وأن اللغة تعبر وتكتب دهبته، الشعب وروحه فيما يتعلق بأهم ما لديه من خصوصية ووعيّة. إن اختلاف اللغات يسعى أن يشرح على ساس أنه خلاف بين العقلية ويسدو أن فهم همبولدت لعلاقة اللغة بالخصوصيات الثقافية والروحية لأمة من الأمم ليس هي وقع الأمر سوى مدد لأراء هيردر لتدفعه وبصورته لعلاقة اللغة بعقيدته الشعب الذي تتكلمها، بل يمكن لقوب بأن موقف همبولدت يبدو لك أكثر بظرفاً وأقل موضوعية

تتلخص بطريقة همبولدت في عدد من المبادئ الأساسية يذكر منها

لغة شكل داخلي خاص بها مستقل عن العالم يحدد إدراك العالم لدى المنكلم ونظمه

= د. نكتات جديد بمشاهدة بيروت، 2004 ص 223-240، ودفعه لفرسه يمكن الرجوع إلى المصدر ذاته

G De Humboldt *De l'origine des formes grammaticales* (1822). suiv de Lettre a M. Abel Remusat, (Sur la nature des formes grammaticales 827 Bordeaux. Collection Ducros. 969

W. von Humboldt *Introduction a l'œuvre sur le Kawi*, Paris, Aux éditions du Seuil 1974 1836

ويصنّف هذا كتاب مقالات بهمبولدت وكتبه مدحّر لغة بكوي لدي نشر بعد وفاته سنة 1836

- استعمال مفهوم الأمة بدل مفهوم العشيرة اللغوية

الرؤية المثالية في تناول القضايا اللغوية

استحضار النُعد الاجتماعي التاريخي (الفوميّ ساميّاً) لمسألة العلاقة بين اللغة والمكر

توطيف مفهوم المجال الحيوي (نظرة عرقية عنصرية)

الاستغلال السياسي لإشكالية العلاقة بين اللغة والمكر من منظور ثقافي

يبتعد همبولدت عن مواطنه هيردر فيما يتعلق بتفسير لاختلافات، الحاصلة بين اللغات. فإذا كان هيردر يردّ خلاف اللغات للتعبيرات التي يعرفها الشعوب أو للغات على مستوى الرماد والمكان والبيئة، وما يطرأ عليها من عوامل بعيدة، فإن همبولدت يفسّر هذا التعبير بأنه نتيجة اختلاف في العقلية كما يظهر من استعماله لمفهوم الحيوية الذي يعني القول بوجود شعوب أرقى دهباً من شعوب أخرى

وبرى همبولدت أن اللغة تحلق أو تساعد على خلق تصوّر العالم الخارجي؛ لأن هذا العالم لا يمكن معرفته إلا بواسطة اللغة، وفي غيابها فإن وجوده لن يكون سوى تركم أو سديم. إن اللغة هي التي تجعل من هذا العالم الموجود في ذاته en soi عالماً لنا نحن إن اللغة تحول العالم من عالم موضوعي إلى عالم مختلف ندركه بواسطة الفكر فاللغة ليست معطى متاهياً ولا حاداً، وإنما هي حركة وصيرورة وطاقة يقول همبولدت إن اللغة في ذاتها ليست بدءاً تَنَ Ergon ولكنها نشاط Energeia في مرحلة الإنجاز ولذلك فإن تعريفها لن يكون، لا تكوينياً⁽⁹⁾

يفوم تصوّر همبولدت على فلسفة مثالية نعتقد بإمكانية اللغة/الفكر في خلق العالم الماديّ وهي مسألة ليس من السهل قولها أو رفضها بصفة قطعية. هذا بعد المثاليّ يدمجه همبولدت في إطار اجتماعي تاريخي، انطلاقاً من أطروحة صاغها لسلفه هيردر، والمتمثلة في أن معرفة العالم تتم من خلال اللغة وحدها.

W. Von Humboldt: Introduction à l'œuvre sur le Kawi, p. 83

(9)

ويؤكد همبولدت المطابقة بين عقيدة الشعب واللغة والوحد بينهما؛ لأن للشعب يفكر كما يتكلم ويتكلم كما يفكر. إن اللغة تُشكّلُ شعب وتكوّنه، وهي أساس كل فكر جماعي، إن هناك تمازجاً بين اللغة والشعب، فاللغة تحلق الشعب والشعب يخلق اللغة⁽¹⁰⁾ ولدعم الطابع لاجتماعي لعلاقة اللغة بالعقيدة، يؤكد همبولدت على التاريخ وأهميته في اللغة، وهي مرة أخرى فكرة هيردر المتمثلة في كون اللغة بعدّ مستودعاً لتجميع تجارب الشعب ونحريتها. وبهذا المعنى نصير للغة عبر تاريخها مرآة جماعية للشعب الذي يتكلمها، لا لأن اللغة تسمح بالحديث عن الماضي المشترك وحسب، وإنما وبالحصول لأنّها تعكسه بطريقة معنّية

ويؤكد همبولدت شكل صريح مفهوم الحيوية⁽¹¹⁾ محاولاً بواسطة أن يبرهن روحياً على التوحد Identification بين لغة والأمة والمماثلة بينهما. إن الأمر لم يعد يتعلّق باعتبار دور البيئة مثل لمّاح في تشكيل اللغة (ومن خلالها «عقلته»)، بل إن همبولدت سعى جاهداً إلى الترسير «عزقي» لبيان دور اللغة في تكوين الخصائص الطبيعية وذهنية والعقيدة للشعوب المعينة. إن اللغة ضرورية وقيد في الوقت ذاته، إن لها صورة داخلية *Forme interne* نحرياً على الحديث بطريقة معينة، وعلى بصوّر «العالم الخارجي» من خلال اللغة ذاتها، وليس من خارجها. إن الفرق بين اللغات يكمن في اختلاف هذه الصور الذاتية وخصوصيتها بالنسبة إلى كل لغة على حدة، وليس في اختلاف الأصوات أو الصيغ الصرفية أو لألفاظ⁽¹²⁾

من المؤكد أن كثيراً من الآراء الواردة في تصوّر همبولدت كما هي تصوّر هيردر قبله - قد يكون مطابقاً لواقع بعض الثقافات ولعقائدات واللغات، كالكقول بأن للغة مرآة الروح الأمة وعقيدتها وأنها ذاكرة للتجارب ومستودع لها ووسيلة لنقل تجارب الماضي إلى الحاضر إلخ - إلا أن نظرية همبولدت بأمورها تبشر

(10) Adam Schaff *Langage et connaissance*, p 22 note .

(11) سيسعمل هذا المفهوم بكثرة في الأدبيات الألمانية منذ القرن الثامن عشر عند غير همبولدت مثل نيتشه Nietzsche يبلغ أحياناً قمة استثماره الأساسي عند اندريه مع هيردر A Hitler

(12) W. Von Humboldt *Introduction à l'œuvre sur le Kawi*, p 23, et suivantes

من جهة ثانية سوع من المذهبية العرقية حين يشيد بحيوية ودباميكية الشعب ندي بتكلم الألمانية مقرأ صراحة بنفوق لعصر الجرمانى؛ وبأحقته في الحياة فس غيره من الشعوب التي تتكلم لغات غير لجرمانية إن «نظرية همبولدت إذ في أولى بداياتها وفي مبادئها الأساسية نظرية عصرية في جذورها وحسب ما يرى همبولدت هناك شيء ذهني وآخر روحي وثالث عصري كلها تختلف باختلاف الأمم (أو الشعوب والأجاس) وهذه الأشياء هي التي تجعل لاس شعرون عن أنفسهم شكل حلاق بالطريقة التي يقومون بها في الأصل ويستمررون ضمن حدود معينة بفعل ذلك من خلال تاريخهم وتبدو نظرية همبولدت في هذا المجال صبيغة من صيغ الحتمية المصرية»⁽¹³⁾

وفي إطار التساق لتاريخي بمفهوم المجال الحيوي، يمكن القول بأن هـ لتصور بسم عن نظره عرقية شعوبته، أو عصرية لسانية، واستغلال سياسي معصوح للمسائل اللغوية سواء دخل ألمانيا أو خارجها

داخلياً، بعكس نظرية همبولدت نظرة سطحية للعلاقة بين ما هو اجتماعي وما هو وطني قومي. إنها نظرة رسمية تخدم مصالح الفادة استباستس وأهدافهم وهي تقدم لشعب الجرمانى المتكلم بالألمانية (بروسيا الكبرى) في صورة مثالية تتجلى من خلالها الجرمان وكأنهم شعب متحارب في معته وعقبه لتي صاعته اللغة لا يعرف أي نوع من الصراع الطبقي بين مختلف شرائحه

وعلى المستوى الخارجي شكّل بصور همبولدت خطاً سياسياً موحهاً بحيرن ألماني بعن صراحته أهلية الجرقي الجرمانى وتفوقه على سواء من الأحاس لا في مجال اللغة فحسب، ولكن في كل المجالات المعرفة لأخرى، مما سمح ببرير طبعي مرعوم لتتوسع السبسي وسيطرة لجرمان على غيرهم وأهنتهم في حكم الآخرين ولا يحق على أحد أن هذه لفكره ستكون حاصره بقوة عند هتلر في الثلاثينات من القرن العشرين؛ ناهيك عما ستؤدي إليه من وبلاات الحروب وأثارها المدققة على إسانية القرن العشرين

(13) أعلام الفكر اللغوي، ج 1، مرجع سابق، ص 229

2 3 فرضية وورف - سابير¹⁴

هناك اختلاف بين الآراء السابقة عند هيردر وهومولدت وما سيعرض له الآن على الأقل من حيث لإطار المنهجية لعدم فقد ظهرت آراء هيردر وهومولدت حول علاقة اللغة بالفكر من الوجهة الثقافية والاجتماعية، من منظور يعنى عليه الطابع الفكري لعدم سدرج بصفة عامة في ما كان يستقى بعسفة اللغة وبحركته أهداف سببته واصحة بحكم طبيعة الظروف التي ظهرت فيها هذه التصورات، علاوة على الأدوار الفكرية والسياسية التي لعبها أصحابها (كان هومولدت وزير دولة)

أما ما يعرف بفرضية سابير وورف Sapir-Whorf¹⁵ فهي وإن كانت تعالج

Adam Schaff *Langage et connaissance* p 83-13.

(14)

وهي هذه الصفحات تحصيل دقيق وعميق لأفكار سابير وورف وعلاقتها بصورت هيردر وهومولدت لسببها

15. سبب هذه الفرضية إلى عدم التسامي والأوروبوئوحي إدوا سابير 884-1434 بمصدر لأشروبوئوحي والتعوي في بوعاد، ويعد سابير أحد أقطاب مسدات حديثه، ووجه من أشهر لأشروبوئوحيين في الولايات المتحدة في بداية القرن العشرين على مستوى التسبات كـ. تبدأ في صوغ بعض التصورات التي لم تكن بعيدة عن أفكار سوسير وقد عرض ذلك في كتابه اللغة (1923) مؤكداً لطابع اللاشعوري للغة وعلاقتها بالنظام الثقافي في صورته الشموية أم وورف (897-1941) فمخصص في تكيمب من معهد ماينشتوسس الشهير في أميركا مع دروس سابير يصبح مساعداً له بجامعة ييل Yal؛ وحاول أن يبحر مبادئ الآراء لأشروبوئوحيه ونسبته التي كان سابير يقول بها في مستوى العلاقة بين اللغة والفكر وقد تعاون وورف مباشرة مع بنات لهندو أميركية لكي يتقن العديد منها ويعلمه في تقديم آراء سابير وورف على مصادر اللغة

Edward Sapir *Le langage* Paris, Payot, 1923

La linguistique. Paris, Editions de Minuit, 1968

وهو مجموعته من المقالات التي جمعت بعد وفاته

Anthropologie Paris, collection points). Editions de Minuit, 1967

Benjamin Lee Whorf *Linguistique et anthropologie* Paris, Denoël Gonthier, 1956, 1996

وقد طبع هذا الكتاب بعد وفاته ويمكن لأقرب أكثر من 100 سابير وورف سارجوع إلى مصدر اللغة العربية

لقصايا نفسها لمرئطة لعلاقة النعة بالعالم الخارجي وبالمحيط، فإنها تدرج في إطار الأشرولوجيا كعلم حدث قائم في ذاته يعتمد لتجربه و لوصف لمحدد للأحداث المدروسة وتحديداً دراسة الجانب الثقافي المتمثل في العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية ونصورات الزمان والمكان وموضعه الأشياء في العنصر الخارجي عبر لغة يطورها سايبر في الدراسة لمشاكل الجوهرية في الثقافة الإنسانية؛ هذه معرفة الآليات، المسببات السايبرية ولديكروية تكشف أهمية مترتبة كلف كس السلوك الاجتماعي أكثر تعقيداً. إن النعة دليل رمزي على ثقافة⁽⁶⁾ إلا أن هذا لا يعني أن سايبر وورف لم يتعرفا إلى آراء أسلافهم فقد أقر سايبر أنه اطلع على آراء همبولدت⁽⁷⁾.

ورداً كان هيردر وهمبولدت وغيرهما من لعلاسة والمفكرين يحيلون في تحليلاتهم على لغات معينة هي اللغات الهندو أوروبية وعنده والألمانية خاصة؛ أي لغات ذات حمولة ثقافية وحضارية محددة ومعروفة في الزمان والمكان، فإن سايبر وورف ومن هذا حذوهم يعتمدون في تصوراتهم وأبحاثهم اعتماداً على معطيات من لغات طبيعية نختلف شكلاً ومضموناً عن اللغات لأوروبية إن تعاملهم المباشر وممارستهم للغات حديثة مثل لغات اليهود الحمر في أميركا يسر لها أي بعد حضاري أو ثقافي معروف هو الذي قددهم إلى هذه التصورات الجديدة. لاحظ سايبر أن اللغات الهندية الأميركية أي لغات شعوب أميركا تقدم مصوراً للعنصر الخارجي يختلف كذاً عن التصور الذي تقدمه اللغات الهندو أوروبية يصح معه ترجمة بعض النصوص من هذه اللغات من باب المسحيل

إد. كان هيردر وهمبولدت قد فسرا العالم لموضوعي (الخارجي) تفسيراً

= - أعلام الفكر المعنوي مجموعة من المؤلفين، ج2، الفصل الأول سايبر ص 21-41، الفصل الرابع، وورف ص 8-100، ترجمة أحمد شكري بكلاوي، دار الكتاب الجديد نسخة، بيروت، 2006

- سعيد الحامي اللغة والحطاب الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لدار لبيد، 993 في هذا الكتاب مقال سايبر مدخل لتعريف بالغة (ص 7-28) والغة و أدب (ص 29-40) مترجمتان عن كتاب سايبر اللغة، الصادر سنة 1923

Edward Sapir *La linguistique*, p. 135

(16)

Adam Schaff *op.cit.*, p. 90.

(17)

مثبتاً ورومانسياً، فإن تفسير سابير يسير في اتجاه حر؛ حيث يقدم نظرة مادية صرفة مؤكداً علاقات التفاعل بين اللغة والثقافة ولواقع يرى سابير أن الإنسان يتكون في العالم الخارجي ليؤثر بعد ذلك في «طريقة التي تتصور بها المجتمع انعدام لحارحي (الواقع) بمعنى حر، يبقى لعالم المادي موجوداً سوء عش فيه الإنسان أم لا، وسواء تصوره عن طريق اللغة أو لم يتمكن من تصوره إن للغة نظم شكل كبير جميع تفكيرنا مساهمة بذلك في تكييف طريقة تصورنا لهذا لعالم الموضوعي»⁽⁸⁾

وفي هذا الصدد يقدم سابير تعريفاً خاصاً به للغة سي على أساسه تصوره الخاص بعلاقة بين اللغة والمجتمع إن اللغة في نظره «أكثر من تقنية بسيطة سوصل»⁽⁹⁾، إنها أداة قوية للتنشئة الاجتماعية Socia lisation في استغلال عن الوظيفة الحرفية للوظيفة⁽²⁰⁾، بل إنها بحسب تفسير سابير نفسه «قوة تنشئة الاجتماعية والوحدة وهي أقوى العناصر المساهمة في نمو الفردية»⁽²⁾ فحينئذ لا يمكن أن نوجد حارج المجتمع⁽²²⁾ إذ إن العلاقات الاجتماعية لا يمكن أن توجد من دون هذه الأداة⁽²³⁾ ويسمح سابير من كل هذه المسائل، أن اللغة هي الدليل القاطع على التصامن الذي يجمع بين مستعملي اللغة نفسها «إن للغة - يقول سابير - أداة قوية تنشئة الاجتماعية، وبدون شك لأقوى، ونحن لا نريد أن نقول بأن لعلاقات الاجتماعية الواقعية لن نوجد إذا لم نوجد للغة، نكتب نريد أن يؤكد أن امتلاك لسان ما يشكل بالخصوص علامة قوية على انضمامه إلى الجماعة تربط بين أفراد المنكلمين بهذا اللسان» ووصل به هذا لاستنتاج مثل ما ذهب هردر وهمولدت إلى أن اللغة تدعب دوراً حاسماً وأولياً في تجميع الثقافة وتخريبها، لنقنها بعد ذلك إلى لأجيال المقبلة

أما وورف فيذهب مذهب همولدت مؤكداً أن انعدام لحارحي دونما تدخل

(8) Ibid. p 60

(19) Ibid. p 43

(20) E. Sapir *La linguistique* p 42

(21) Ibid. p 44

(22) E. Sapir «La parole en tant qu'élément de personnalité» in *Anthropologie* p 6

(23) E. Sapir *La linguistique*, p 42-43.

النظام اللغوي (اللغة) ليس إلا فوضى وتظل معرفته مرتبطة باللغة. إن العالم الموضوعي يوجد فعلاً، ولكن ليس من الممكن إدراكه علمياً لأن معرفته دور اللغة⁽²⁴⁾ وتأثير هذه التماذج اللاشعورية وعلى رأسها اللغة له أثر كبير وعميق في سلوك الاجتماعي⁽²⁵⁾ وعبر كتاباته لعديدة التي حرّرت بأسلوب واضح يفهمه جميع القراء وليس فقط كبار العلماء ودوي الاختصاص، فإن سابر ظل يعيد تأكيده على دور اللغة لمقال وتأثيرها في المحيط الاجتماعي والثقافي وبعث في النص التالي ما يؤكد وصوح رؤية سابر لهذه المسألة التي لم تكن عذرة أو مرسطة بحسابات نظرية ومهجية فقط وإنما كانت قناعات شخصية يقول سابر «اللغة دليل على موقع اجتماعي، واللغة تكيف بمؤة كل فكر حول انتشار كل ولسيروت اجتماعية. إن الأفراد لا يعيشون في عالم موضوعي ولا في عالم النشاط الاجتماعي بالمعنى العادي لهذه العذرة، ولكنهم يحضعون بدرجه كبرى لمتطلبات لتسار الحاضر لدي أصبح وسيلة لتعبير عن مجتمعهم وليس صحيحاً الاعتقاد أنه بالإمكان الاتصال بالواقع دون اللجوء إلى اللغة في الواقع، إن العالم الواقعي في جزء كبير منه، قائم لاشعورياً على عادات لسانية للمجموعه لا يوجد هناك لسان متطابقان تماماً لممكن أن نعتبرهما تمثيلاً للواقع الاجتماعي نفسه. إن العالم التي نعيش فيها جميع المجتمعات هي عوالم منفصلة وبسبب عالماً واحداً فقط تحت أوسم مختلفة»⁽²⁶⁾

وقد حاول وورف أن يحدد في نعات الهود الحمر التي كان يتصها ما يدعيه بالملموس أفكار وقناعات أساده سابر. وقد حصل له هذا عبر تحديده لتقريب نسات اللغات الهودو - أميركية كاشفاً بذلك عن دور اللغة في تحديد للعالم الخارجي وإدراكه ويتفق وورف وسابر على افتراض أساس مفاده أن المعرفة لتي يملكها شعب ما عن العالم تحدد بالنسبة إلى لونه، أي أن تصوّر العالم الخارجي لا يمكنه أن يتم إلا عبر اللغة ونوسطها فاللغة تساهم بشكل فعال في خلق التمثيلات التي يملكها لأفراد عن العالم الخارجي في إطار حصاري معين،

B. I Whorf *Linguistique et anthropologie*, p 12

(24)

E Sapir *Anthropologie*, p 40

(25)

E. Sapir *La linguistique*, p 34.

(26)

وفق الشروط المادية لحاضته لكل مجتمع، وهو ما يؤكد الدور الطبيعي لدي
سببه اللغة في حياة الأفراد والمجتمعات والثقافات، بل حتى في بصور الأنماط
لفكرته الرقبة مثل التفكير العلمي إن التصورات التي مروود بها الثقافة العربية
عن الآخر تدب في حاجه إلى إعادة نظر، وقد كنت لثقافة نظماً للمحار لستي
ولأحاسيس ورؤية لأشياء وموضوعاتها في العلم الخارجي، وعلاقة انكمم بكل
هد، قرباً وبعداً، أله وعربه، فإن ذلك لا يمكن أن يتم إلا من خلال اتعنه
وبواسطتها. وفي هد السياق يدعو وورف إلى ضرورة التحلي عن الأحكام
الحاضرة أو المسبقة عن الحصادات الأخرى إن إحدى المراحل المفصلة بالنسبة
إلى الفكر العربي تكمن في إعادة النظر في حلقة تفكيره، بل في حقيقة أي
تفكيره⁽²⁷⁾ إن نظره الأحادية البعد التي يمارسها العرب في رؤيته الآخر على
مستوى احصاري يجب أن يعاد فيها النظر؛ لأنها بسبب شمولية، والثقافة
عربية تمت، من خلال اللغة بتحليل مؤقت للواقع وفي عيب أي تصحيح.
فبها يعتبر هذا التحليل بهيئة⁽²⁸⁾؛ ذلك أن ما يسمى بالفكر العلمي *pensee*
scientifique ليس إلا تخصيصاً لنسب الهندو أوروبي من نوع عربي الذي وقد
يس مجموعة من لجذبات *dialectiques* المختلفة فقط، وإنما خلق لهجات⁽²⁹⁾
غرب من خلالها العرب ما يعتمد أنه حقيقة و لموضوعية؛ لأن جدلية العلوم
تشب في انقبات الضروف لبعض السباب للنسبة عدلاً ما تعرض في مؤذ الثقافة
لهندو - أوروبية التي سعت منها كل علوم⁽³⁰⁾ إن لتصحيح لوحيد لدي بتعين
أن علوم به الفكر العربي مجاور هد الموضع يكمن في أن جميع الأسس الأخرى
(غير الأسس الهندو - أوروبية) بعد آلاف السنين من لتطور المستمل وصلت هي
الأخرى إلى تحليلات مختلفة ولكنها منطقية (معقولة) أيضاً⁽³¹⁾ فمن ناحية
تحليل انحوي الضروف، فإن تطبق مبادئ التحليل المتنوع بالنسبة إلى الأسس

B. L. Whorf *Linguistique et anthropologie*, p. 85

(27)

Ibid. p. 80

(28)

Ibid. p. 84

(29)

Ibid. p. 84

(30)

Ibid. p. 180

(31)

لهندو - أوروبية كتحليل الجملة إلى موضوع ومحمول لا يصدق بالنسبة إلى الألسن الهندو - أميركية، ففي لغة مثل الثوتكا يكون إسناد محمول ما بمثابة تكوين الجملة برمتها التي لا يمكن تقسيمها إلى أجزاء للدلالة على الموضع أولاً ثم المحمول ثانياً، بل إن الجملة الواحدة السبطة تعبر عن مجموعة من العمليات أو الوقائع⁽³²⁾.

يعتبر سايبر أن معجم لغة Lexique معينة هو المظم المركزي لتجربة الشعب الذي يتكلم اللغة فالعلاقة بين التجربة والتصورات الحارجية لا تتعدى إطار المعجم، ولا علاقة لها بالأساق الدعوية الأخرى (كالتركيب والصرف والضوت). إن عنصر المعنى في صورته المعجمية هو وحده الذي يجعل اللغة حاصلة للثقافة ومعنى هذا، أن تطور الثقافة وتطور اللغة لا يسيران بالضرورة شكل متوازن ومتساوٍ وليس من الممكن أن تكون بينهما علاقة سببية (cause à effet)؛ لأن اللغة تتطور ببطء إذ، ما قيس تطور الثقافة⁽³³⁾.

يطلق كثير من الباحثين على آراء كل من وورف وسايبر اسم النظرية اللسانية النسبية Linguistique relativiste أي أن كل لغة هي رؤية حاضه للعالم الحارجي. إن معرفة العالم الحارجي ليست معطاة كلياً وموضوعياً باستقلال عن الأفراد والمجتمعات، ولكنها تتحدد من خلال كنهه تصور اللغة لهذا العالم الحارجي. إن إدراك العالم الحارجي يظل مرهوباً باللغة المتكلم بها، وذلك بحسب قدره كل نسق لغوي على تصور هذا العالم الحارجي ويعرف تصور وورف وسايبر أيضاً بالاحتمية اللسانية déterminisme linguistique باعتبار أن اللغة هي التي تحتم عند تحديد الفكر وتقدم لنا بالضرورة هذه الصورة عن العالم الحارجي وليس تلك.

لكن هذه التصورات على أهميتها وحاديثتها الفكرية، تطرح عدة تساؤلات. إن تصور وورف وسايبر يعترض عدم إمكانية وجود عدة شعوب محتلمة تتكلم اللغة نفسها، لكن كيف نفسر أن شعوباً مختلفة لا تتكلم اللغة نفسها يكون لها رؤية موحدة للعالم الحارجي، وأن كثيراً من الشعوب التي تتكلم لغة واحدة لس لها الرؤية نفسها للعالم الحارجي؟

Ibid, p 176

(32)

E. Sapir, *La linguistique*, p. 75 et p. 81, Paris, Editions de Minuit, 1969. 1956.

(33)

الفصل الثالث

التعريف السيميولوجي للغة

1. اللسانيات والسيميولوجيا

ينظر علماء السيميولوجيا إلى اللغة ⁽¹⁾ La langue في أبسط تعريف له على أنه «نظام من العلامات لمعبرة عن أفكار» ⁽²⁾، وإذا أعمق النظر في هذا التعريف نجد أنفسنا مضطرين مبدئياً لإدماج اللغة البشرية le langage في عدد كبير من الأنظمة التي لها القاطع اتقواسي نفسه، المتمثل في نقل معلومات معينة أو التعبير عنها بكيفية أو بأخرى مثل الكتابة وأجدية الصم والكتم وقاموس السير وقاموس الملاحة اسحرية وشيفره مورس Morse ودليل الحرائط والرسم البيانية ونظام لاتصاف الشلكي والأسلكي ولغات إعلامية والرمحية والنات الاصصاعية من لغة المنطق والرياضيات ولغة الطيور والتمل ولغة لحصوت ولغة الورود والعبور وانلقومس لدبية وكل أشكال الآداب والمحملات، فهذه جميعها أنظمة توصل بالاصطلاح والعرف ووظفتها الأساس نقل أفكار بواسطة رموز»

يقترح سوسير لدرسه هذا النظام اتقواسي العام، القائم على العلامات signes علماً جديداً يسميه لسيميولوج Sémologie مكون وظيفته ادراسة

(1) يحصر مصصص لساني يعادل به مفهوم La langue عدد دو سوسير، سما يستعمل مصصص لغة سماس لمفهوم Le langage حول صيط هذين للمفهومين يمكن الرجوع إلى فصل المنلق بمادة اللسانات وموضوعها

(2) F. de Saussure Cours de linguistique générale, p. 34. Paris, Payot, 1974. 1916

العلامات في حصص المجتمع» يقول دو سوسير «يمكننا أن نتصور عمداً بدراسة حياة العلامات داخل المجتمع بشكل جزءاً من علم النفس ودينامي من علم النفس لعامن سيميولوجيا»⁽³⁾ وقد اعتبر سوسير أن اللسانيات بوصفها دراسة علمية بلغة ليست سوى جزء من السيميولوجيا باعتبارها دراسة العلامات والرموز بصفة عامة، وبالتالي فإن لقوانين العلمته التي سيكشف عنها السيميولوجيا ستطبق أيضاً على اللسانيات

أما رولان بارت R Barthes فقد عكس لعلاقة التي أشار إليها سوسير بين اللسانيات والسيميولوجيا معنواً أن السيميولوجيا جزء من اللسانيات، لأن كل نظام تواصلية غير رموزية، لا يمكنه أن يكون إلا لغة language وعلى هذا الأساس، فإن لمصطلح والأرباب والإشهاد والسيميولوجيا لا يمكن التعبير عن طبيعتها السيميولوجية إلا بواسطة اللغة يقول رولان بارت «من المؤكد أن الأشياء والصور والصورات يمكنها أن تدل على [شيء ما] وهذا ما تفعله بكثرة، ولكن ليس ذلك أبداً بشكل مستقل. إن كل سبق سيميولوجي يمتزج بلغة والعديد من الأنظمة السيميولوجية لا يمكنها أن ترفى إلى مستوى الأسبق مروراً باللسان ومن الصعب أن نتصور نظاماً من الصور أو الأشياء يمكن لمدلولاتها أن توجد خارج لغة يجب أن تفتل منذ الآن إمكانية عكس افترج سوسير يوماً ما، إن لسانيات ليست جزءاً ولو كان متميزاً لعلم العلامات لعامن إن السيميولوجيا هي لجزء من اللسانيات الذي يتكفل بالوحدات الكبرى الذاتية في الخطاب»⁽⁴⁾

ويعترف بويسس Bayssens السيميولوجيا بأنها «دراسة الإحراء ب لتواصلته، أي لوسائل المستعملة للتأثير في الآخر والمطور إليها بهذه الصفة من طرف من يريد التأثير فيه»⁽⁵⁾

ويم يحدد سوسير في المحاضرات ما يعبر اللسان من غيره من أنظمة

(3) F. De Saussure *Cours de linguistique générale* p. 34

(4) Roland Barthes «*Elements de semiotique*» in *Communications* n°4, Paris, Aux editions du Seuil, 1966, p. 2

(5) إريث بويسس السيميولوجيا والتواصل، الناشر مجموعة البحث في بلاغة وأسلوبية، 2005، الناشر إبيضاء (ترجمة جواد بس)، ص 14

التواصل وتولي البحث في الموضوع كثير من التباين من بينهم لأرجسيتي لويس بريو L. J. Prieto، ويريك بوسن ورولان بارت الذين جعلوا من البحث التيمولوجي محالاً معرفياً هاماً، كان له الأثر الكبير في الترسات الأدبية وغيرها لكن علماء التيمولوجيا محدثون حول هذا الموضوع ولعل ما فيه التباين الفرنسي أندريه مارتنيه Andre Martinet يستحق كل الاهتمام النظري⁽⁶⁾ «إن نطق ساد يجب أن يحفظ به للدلالة على كل أداة للتواصل لمتنقط اردواجي» ويعد لنطق المردوح double articulation في نظر مارتنيه، حدّاً عاصلاً بين اللغة البشرية وغيرها من أنظمة التواصل. يقوم مارتنيه عن هذه الخاصية النوعية للغة البشرية «إذا عبرت التنقط لمردوح نواة مركبة، وناقى لخصائص مميزات نوعية هاشية، فإس بهذا المفهوم نجعل الإنسان في مأمن من جميع أشكال التواصل المسهمة التي لا يمكن حصاعها للتفطيع المردوح» ومع ذلك، فإن التعريف لساد a langue، يدفع إلى طرح العديد من الأسئلة المهمة المتعلقة بطبيعته للغة البشرية le langage كما تتداولها ومن بين هذه الأسئلة

- كيف يمكن التمييز بين ما هو لغوي، وما هو غير لغوي؟
- إذا كان الإنسان نظاماً من العلامات، فهل يكون كل نظام من العلامات لساناً؟
- ما السمات المميزة للغة البشرية من غيرها من الأنظمة لتواصلية؟
- ما السمات المشتركة والمختلفة بين مجموع هذه الأنظمة؟
- هل يدخل لغة الحيوانات في إطار التيمولوجيا؟
- هل يعد كل نظام من العلامات ذات العلاقة الاعباطية لساناً يدخل في محور البحث اللساني؟

استعملت كلمة لتيمولوجيا عند لغويين في اسدنة عند جون لوك John Lock (1632-1704) سنة 1690 حين حددها بأنها معرفة لعلامات، وهو المعنى الذي كان تدل عنه الكلمة في العصر اليوناني قرياً «ترتيب علامات في

A. Martinet. *Langue et fonction*, Paris, Denoël Gonthier 1969, p 43

(6)

الفكر» وفي عصر لحديث أحياء المصطلح نفسه الفيلسوف والرياضي الأمريكي شارلر ساندروز بيرس C-S. Peirce (1874-1914)، الذي أطلق مصطلح سيميائية Semiotic على «علم العلامات» وعرفها بأنها نظرية للعلامات أو النظرية العامة لتمثيل يقول بيرس «إن المنطق في معناه العام ليس إلا سماً للتبينية وهي لتعليم شبه الضرورية أو لضرورة للعلامات»⁽⁷⁾، وبالتالي فإن اشتمالها لإنكسبته Semiotic هي مقابل اللفظ الفرنسي Semologie الذي وضعه سوسير وليس لمنطق بمفهومه العام عند بيرس إلا اسماً آخر للتسمو طبقاً إلى التسمو طبقاً نظرية شبه ضرورية أو نظرية شكلية للعلامات «تقوم عنده برصد طبيعة العلامات بكيفية مجردة وعامة» وفي هذا لإطار كان تفسير بيرس للعلامة ومكوّنات الأساس وهي المصوّر Representation ولتركيبة Grund ولتفسير Interpretant والموصوغة Objet وتمكّن بيرس⁽⁸⁾ من تقديم نصريح عميق للعلامات في مختلف جوانبها لتصورية والإدراكية ككيفية شاملة فلّ نظيره في كتابات سيميائية أخرى

واستلزاماً من أفكار بيرس، حاول شارل موريس Charles Morris في بداية القرن العشرين وضع نظرية عامة للعلامات بكل أشكالها وصورها وتجلياتها المحتملة عند الكائنات الحيوانية أو البشرية، سواء كانوا مرادى أو جماعات، أصحاء أو مرضى، وسواء أعلق الأمر بالعلامات الدلالية أو بالعلامات غير الدلالية وتعمم مصطلح التسمو طبقاً يشمل في النصف الثاني من القرن العشرين كل ما له علاقة بوظيفتي التواصل والتعبير مشملاً هو الشأن عند سيوك Sebook وعتير إيكو Umberto Eco⁽⁹⁾ أن مجال الدراسات التسميائية العام يشمل سائر الظواهر الطبيعية والثقافية عند الإنسان باعتباره علامات تقوم في عمقها على التواصل

وسجلاً بعض لأدبيات الفرنسية إلى استعمال مصطلح Sémiotique لتجميع

(7) C. S. Peirce *Écrits sur le signe* Paris, Aux éditions du Seuil, 1978, p. 120

(8) عمريد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى

C. S. Peirce *Écrits sur le signe* p. 120-191

(9) Umberto Eco. *La structure absente* Paris, Mercure de France, 1972, p. 4-35.

بين تسمينين مع توسع مجال البحث في علامات التعبير أيًا كانت طبيعتها سواءً مما هو تعبير تلقائي وعموي إلى ما يتطلب إعمال الفكر والذهن عن طريق تقنيات الببان والصور لغوية كما هو الحال في الآداب والصور. وقد سارت الدراسات السيميائية الحديثة في اتجاهين بارزين انفراد كل منهما بمسوى معين من دراسة لوقائع لسيميائية، وهذان المستويان هما

- مستوى أنطولوجي يتعلق بدراسة ماهيات لأحداث السيميولوجية من حيث وجودها لظاهري وعلاقاتها باموجودات الأخرى التي تشبهها أو تختلف معها ويعبر بيرس أنمر من دشن لدراسة العممية الحديثة لهذا المستوى

- مستوى إجرائي يهتم بدراسة فاعلية لعلامات اللسانية ووظيفتها في الحياة لعممة، أي دراسة لعلامات في عمميات لاتصال ونقل لمعلومات وبعد سوسير أنمر من بدأ دراسة هذا المستوى في إطار ما أسماه بالسيميولوجيا التي حدد موضوعها في دراسة حياة العلامات في حصص لمجتمع ونلتفي سيميائيات سوسير ويرس في مبدئين أساسيين هما⁽¹⁰⁾

• ليس هناك فكر بدون علامات؛ أي بدون مساعده العلامات اللسانية التي تفهم بقل هذا الفكر و بدون العلامات لن يكون بمقدورنا أن نميز بين فكرتين بكيفية واضحة وثابتة

• القول بأن سر في اللغة لا الاختلاف Difference، فالعلامة القائمة نفسها أو المستفاد منها غير موجودة، وإنما هي موجودة بالخاص على غيرها مما يوحد معها. وهذا المبدأ يمكن أن نطلق عليه مبدأ اسمعه Pragmatisme

2. الوقائع السيميولوجية les faits sémiologiques

يميز في مجال السيميولوجيا بين أنماط استو صلية اللغوية وعبر اللغوية (أوقائع استمولوجية) كالية⁽¹¹⁾

(10) Deidale La theorie du signe de Peirce, Paris, Payot, p 40

(11) لتفصيل أكثر حول مجمل بواع سيميولوجية لي درسها سيميائيات يمكن الرجوع إلى

الأمانة Indice / index أو ما يطلق عليها أيضاً (المؤشر) استثنائي⁽²⁾ وهي واقعة أو حدث سيميائي يعتبر لا إرادياً عن فكره مباشرة أو ينبع رساله message يمكن إدراكها مباشرة مع عدم اليقينة في التواصل / لإخبار information

لأرض مبتلة ← أمانة عن سقوط المطر

وهي في نظر لويس بريسو ثلاثة أنواع⁽¹³⁾

• أمانة تلقائية indice spontané ويعرف بريسو الأمارات بأنها « لأحداث التي تقدم إشارات دون أن تكون قد أتجت لهذه لعمدة، أو أن الأمر يتعلق بأحداث طبيعية، أو أنها أحداث أتتها لإسناد بكيفية لا إراديه، أو بعبارة أخرى غير عمدة للإشارة إلى أي شيء»⁽¹⁴⁾

• أمانة تلقائية مفتعلة indices faussement spontanés

• أمانة قصدية indices intentionnels

العرض symptôme (الجمع أعراض)، وهو علامة تعتبر جزء من

U Eco *La structure absente* Paris. Mercure de France 1972, p 172 et suivantes.

- Alain Rey *Théories du signe et du sens* Lectures 2. Paris, Klincksiek. 1976, p 3-38

Bernard Toussaint *Qu'est ce que la Sémologie* Toulouse. Privat. 1978, p 32-59

- بالنسبة إلى تعريف هذه الأحداث السيميولوجية عند بريسو يمكن لاطلاع على ما جاء

في

- سيرا دسم السيميوطيقا حول بعض المفاهيم والأبعاد، ص 26-34؛ تشارلز بيرسو،

تصنيف العلامات، ص 37-143، ترجمه فريد جينوري عروب، صمم مدخل

بديسموطيقا، ح.، إشراف سيرا دسم وبصر حامد أبو زيد، منشورات عروب، 1986

انصاف، شعوب، 1986

(12) إريك بريسس السيميولوجيا والتواصل، ترجمه حواد مسر، لشار مجموعة البحث

في البلاغة والأسلوب، إصدار لبيضاء، 2006، ص 5، 20

(13) Louis Pre to *Permanence e. Pratique Essais de sémologie* Paris, Edmons de

Mout. 1975, p 5

Ibid p 15-6.

(14)

المدلول عليه، أي المرجح الموجود في العالم الخارجي حَقَقَ امرئص دلاله على وجود نعض بالحسم ولا وجود في العرص للعلاقة بين الدال والمدلول

- الإشارة Le signal حدث سيميائي مرتبط بلحظة رمية معينة يعبر إراديًا عن رغبة في التواصل وسعدم العلاقة بين ما ترمز إليه للإشارة والواقع حين يكون على شاطئ البحر، بشكل رفع العلم لأحمر إشارة إلى خطورة البحر (رسالة انتهاء الساحة خطرة)، أما العلم الأسود فيشير إلى كون السباحة ممنوعة ومعلوم أن بحوث لأعضاء مثل اسد وأرأس إشارة للتعبير عن موقف معتنه في المجتمع للمادة/ الرفص/ الفصول/ التردد/ أمر شخص بالقدوم أو الذهاب

الرمز Le symbole وهو إشارة تعبر عن علاقه ضيعية (عرفية مع ذلك) بين الصورة الرمزية وما تدل عليه في لعالم الخارجي (الميراث رمز للعدالة، حمام رمز للسلام) وقد تكون العلاقة بين الرمز وما يدل عليه في الواقع علاقة مباشرة أو قابلة لأن تدرك شكل مباشر

رسم الشوكة والمعلقة متقاطعتين معبق على واجهة سابه رمز لوجود مطعم
الرأس العظمي الأسود رمز للخطر أو الموت أو بوجود تيار كهربائي مرتفع اسوتر عمر محمي

الأيقونة Icône حدث سيميائي يكون فيه لعلاقه بين الدال والمدلول علاقه مشابهة ومفارب، كدلاله الرسمين الهندسيين 'O' على لدائرة و - على لحطين المتساويين

العلامة اللسانية Le signe linguistique حدث سيميائي صوتي أو كتابي يحدد اعتباطًا arbitraire في ظل عروف اجتماعي محدد سلفاً للممثل على شيء موجود واقعي أو خيالي أو تصوري وللعلامه اللسانية وجهان

- دال Signifiant وهو المادة الضوئية أو الحرفية (الحرف المكتوب)

- مدلول Signifié وهو الجانب التصوري للمعوي الذي يحمله الدال لصوتي أو الحرفي المكتوب. وداخل العلامة يميز بار هيلل Bar Hillel مطورة آراء الفيلسوف الأميركي تشارلز ساندز بيرس بين العلامة التمث sign type

والعلامة لورود *signe occurrence* أو علامة لاستعمان فالعلامة المبط هي العلامة خارج أي تداول أو استعمال، بل هي عبارة عن مدخل معجمي موضوعي مستقل عن الفرد وهي محدودة العدد ومن سمات العلامة الاستعمان، فهي علامة مبط موضع في تركيب وساق معين يختلف باختلاف لسباق والاستعمال والعاصر لأخرى الموحودة معها، أي أنها عندما تُستعمل في سياقات أخرى مع عاصر أخرى تقلل البعض منها ولا تقل البعض الآخر⁽¹⁵⁾

وهذه السمة الهامة التي تطع لعلامة للسيميائية تسمح بها بالدخول في لحظات والتألف مع وحدات أخرى وهو ما يسميه اللساني الفرنسي إميل بيميسست *Emile Benveniste*⁽¹⁶⁾، الدلالة (من دل) *La signification* واللغة البشرية وحدها تملك هذه الخاصية الدلالة التي تسمح بالتوسع والتعدد واقتصاد والشمولية في التعبير عن الأحداث والمتطلبات

واللغة البشرية أحرر نظام مكون من علامات لسانية بالمعنى الذي أورده سابقاً إلا أن مفهوم العلامة بوجهها الدلّ ولمدلول قد يستعمل تجاوزاً للتعبير التقني أو الإحصائي عن مكونات كل الوقائع السيميولوجية السابقة حتى ولو لم ينوهم في هذه الوقائع أي محتوى صوتي أو مكتوب، بل قد يصح الحديث علامة مرئية (لصورة) أو سمعية (موسيقى) لها دلّ ومدلول وثمة شبه اتفاق عام على أن نحن لأحداث، السالفة الذكر هي موضوع الدراسات لسيميولوجية والسيميائية، سيما العلامات اللسانية موضوع اللسانيات السيوتية الأوروبية

يتسم اسم السيميولوجي (عدا اللسان الشرقي) بمصائص معنه حدها اللساني الفرنسي بيميسست⁽¹⁷⁾ كما يلي

(15) Alain Rey *Theories du signe et du sens* p 4, 42

(16) Emile Benveniste *Problemes de linguistique generale* Paris, Galimard. 1966, tome I p. 127 et suivantes

(17) بتصرف عن

Emile Benveniste «Sémiologie de la langue» in *Problemes de linguistique generale* II p 57 et suivantes.

Mode opératoire	- لكيفية الإجرائية
Domaine de validité	مجال لصلاحية
Nature et nombre de symboles	طبيعة الرموز وعددها
Type de fonctionnement	- نمط الاشتغال

يمكن أن تمثل للسمات السابقة انطلاقاً من تطبيق حدث سيميولوجي بسيط هو علامة الإشارة الضوئية (الأحمر والأخضر).

1- الكيفية الإجرائية تتمثل لطبيعة العملية للأصواء المستعملة في دسول لسيير في كونها طبيعة مرئية يمكن للسائقين وراحين على السوء مشاهدتها ودراسها مباشرة وعباب الضسعة المرئية أو تعطيل أحد اللوين؛ أو هم معاً لسبب من لأسباب بعني بكل بساطة عباب الوظيفة التي يقوم بها الصواءان الأحمر والأخضر؛ وهي وظيفة تنظيم السير والمرور داخل المدار لحصري

2 لكل سق أو حدث سيميولوجي مجاز يجري فيه ويكتسب منه قيمته وصلاحيته العامة. إن اشتغال لضوء في قسول السير مهمته تنظيم السير والمرور داخل مجال لحصري وليس خارجة؛ وبالتالي فإن القيمة التي تسد إلى لضوء الأحمر أو الأخضر تنحصر في مجال تنظيم السير ولا تتعداه ولتكون الأحمر ليس له أي قيمة أو دور خارج مجال تنظيم السير في المجال لحصري وهو ما يحدد صلاحيته ودوره

3 وبما أن هذا الجزء من قانون السير يقوم على لوين (أحمر أخضر)، فإن عدد الرموز هو أيضاً اثنان إن علامة مرور بواسطة الصواء تشكل سقاً ثنائياً وليس ثلاثياً باعتبار اللون استقلالي مرحلة تنقلية بين اللوين الأحمر والأخضر (وصفه الاساء)، ولأن التعارض الأساسي الذي يقوم عليه الصواء نفسه، هو استقابل لحاصل بين اللوين الأحمر والأخضر فقط، وليس بين اللون الأخضر ولون آخر أو بين اللون الأحمر وغيره من الألوان عدا الأخضر. إن هذا التعارض هو ما يشكل طبيعته هذين اللوين الرمزين

4 يتمثل نوع الوظيفة في لعلاقة اموجودة بين هذين الرمزين [الأحمر والأخضر]، إذ لكل منهما وظيفة محددة هي التي تمثل قسمته الرمزية ودوره داخل

المضطومة الموجود فيها والوظيفتان هم وظيفة مسائل أو اختلاف
 Differentiation إنَّ لعلاقة بين اللونين الأحمر والأحمر في قاموس استير وليس
 حارجه هي علاقة تبادل Reciproque ويوجدان في توزيع تكاملي كما مضى،
 بحيث لا يمكنهما أن يوجدوا معاً في الآن نفسه؛ أي إذا ظهر أحدهما اختفى
 الآخر وهكذا ، وبالتالي لا قيمة للوحدهما إلا في علاقته بالآخر إنَّ
 لتقابل بين الأحمر والأحمر يعني الأوامر التالية

أحمر ← طريق مسدود (المرور غير مسموح به)

أحمر ← طريق مفتوح (المرور ممكن)

ولغة قاموس السير نحن أمام ثنائية قف/سر

نصفه عامة فإن لتعريف لسميولوجي يطر إلى اللغة الشرية على أنها سوس
 تواصلية ه هدف محدد عينة لإحباط ومن أفكار كم هو الحال بالنسبة إلى
 الأنظمة التواصلية الأخرى التي ننظم بشكل معي وتشكل سماً توصلت يمكن
 من خلاله التعبير بطريقة اقتصادية وسهبة عن معلومات محددة

3. خصائص اللغة البشرية

3 1 من التعبير إلى التواصل

عندما نسعى لتحديد مفهوم اللغة تحديداً شاملاً ووظيفياً أو وظائفها يتعين
 علينا بدايةً تعريف بمفهومين أساسيين مرتبطين بجوهر اللغة في أبعدها الفردية
 وجماعية وهم التعبير expression والتواصل communication والتعبير
 والتواصل تحدان ماهية اللغة وبكروسان عملياً وجودها الفعلي ومن الممكن أن
 نفهم التعبير والتواصل على أنهما وظيفة واحدة وموحدة بحسب الطبيعة التي تُسد
 إليهما ومع ذلك لا ند لنا من التمييز بينهما ولا من يكون بمقدور تمييز
 خصائص الفعل للوعي الشرية من غيره من السلوكات الدتة⁸

التعبير Expression وظيفة طبيعة وعامة تتجاوز حدود ما هو لوعي بمعنى

مدفوق يشمل كلّ التظاهرات الدلّية وغير الدلّية، لمُعَبَّرَة بكن لأشكال والوسائل عن مختلف الأنشطة لجسدية أو الفكرية أو العاطفية مفردة أو مجتمعة ويكون لتعبر نشاطاً رمزياً عفوتاً أو مقصوداً، رادتاً أو لا ير دتياً لبان حالة ذهنية أو شعورية أو موقف عاطفي مما يحتلج داخل الذات والحسد والفكر إزاء العالم الخارجي وإزاء الذات المعبره نفسها⁽¹⁹⁾

قد يحصل التعبير بأسط الوسائل وأقلها (لالفعالات الثقافية، الإشارات الحسنة) إلى أكثرها تنظيمياً وإتقاناً وتعصباً كما هو لشان في اللغة والأداب والصوت والإشارة باليد أو برأس تعبير، ولانتسامة تعبر، ولضحك تعبير، وسكاء تعبير، ولتنجته تعبير، ولقصّة والرواية والشعر تعبير، وسظم حفل أو مهرحان ثقافي أو ربصني أو فكلوري تعبير، العادات وتقاليد تعبير، احترام ونون السير تعبير، والانتفاضة الفلسطينية تعبر وهنم جرّاً وحين يكون تعبير بعوتاً Expression Linguistique فإنه يتوسل باللغة المكتوبة أو المسطوفة المؤسّسة دلالة عن طريق تماسق لعلامات اللسانية وحدها وترانطها

أم التواصل فهو تعبير موخته إلى لغير فهم وثؤون بالضرورة بين مجموعة من الأفراد تتواضع على دلالة لوحدات السانية ومعديها وطريق استعمالها في إطار مجتمع لعوي محدد وبفهوم لتواصل على وسائل سانية بالذرة الأولى، وهو ما يميز اتواصل الإنساني من غيره من أي تواصل لا مقصود بواسطة إصدار لأصوات تلفظية⁽²⁰⁾، ولكنه قد يحصل أيضاً بوسائل أخرى كالرسم والحركة (الإشارة) والكتابة وهو ما يجمعه تعبير فتاً أو غيره ولا تحصى لعلافة بين الشعر ولتواصل، ومع ذلك لا يسعى الحنط بينهما فكل تواصل تعبير وبكن ليس كل تعبير تواصلاً ولحوارية ولتفاعلية والتبادل اللعوي أساس التواصل، بما لا يتطلب التعبير ضرورة حضور لآخر ومشاركته كشرط لتحقيق التعبير

اتواصل أساس حياتنا فمن السؤار عن الأحوال إلى تبادل المشاعر والأفكار وستعرص الأحبار ووجهات النظر تنص وسواصل مع لآخر وبهذا يكون لتواصل هو كل عمية تبادل المعلومات والآراء وأفكار والتجارب ونقلها

Ibid. p 40

(19)

Ibid. p 39 et aussi p 43.

(20)

من شخص إلى آخر بقصد التفاعل والتأثير المعرفي أو الوجداني أو الإحساس شيء أو الارتفاع بمستواه الجمالي أو القيمي أو الترفيه عنه أو إقناعه وبالتواصل يتم توزيع الأنشطة المختلفة في المجتمع في مظاهره وبناته لطبيعية وثقافية متنوعة إنه خاصية إنسانية، فهو يتم بين البشر وحدهم. وبطاقة من كون اللغة مظهره اجتماعية، فإن التواصل الاجتماعي شكل من أشكال الوجود الاجتماعي مع الآخر ويكشف لتوصل عن لاستعدادات الفردية والجماعية في كيف لحياة العامة وارتباط الأحداث اللغوية بالأحداث الاجتماعية يرجع أساساً إلى كون طبيعة الإنسان تتضمن شيئين

قابلية التوصل Communicability

قابلية الاجتماع Sociability

وهما مظهران أساسيان في لُعد لفرادي والاجتماعي للإنسان يصعب الفصل بينهما، أو تحديد أيهما أسبق في الوجود وينبغي أنه خارج الشبهة المفقته والمشاركة (اللسان الحاص بمجتمع معين)، لا يمكن الحدث عن أي قلبية اجتماعية أو بوضعية

وليس التواصل بالأمر لجديد دلسية إلى الإنسان، إلا أن لأوضاع عامة والملاسات التي سادت بعالم منذ بداية القرن العشرين وما ارتبط بها من مظاهر التحضر والتطور العلمي والتكنولوجي أعطى التواصل عبر وسائله المتنوعة (نقمة- الإعلام بجميع أنواعه- الهاتف- الكمبيوتر- الإنترنت)، مكانة خاصة بحيث نمت نظير أساليبه وبقية شكل مدهل حتى بات العام فريه (التشبه لمرشد مكمول)، ولا يوجد اليوم ميدان من ميادين الحياة لا يعرف بوظيفته التواصل

وقد نجد من يطلق لفظ اتواصل غير اللغوي communication non verbale على كل سلوك إنساني أو حيواني يمكنه أن يؤول على أساس أنه إشارة، لكنه ليس بالضرورة تواصلًا رغم أنه قد يكون محققاً بالإخبار⁽²⁾

لا ينحقق التواصل على الوجه الأكمل إلا بوجود بعض لمكونات الأساسية وهي

أمرس مصدر الرسالة عمية التواصل
 - الرسالة وهي الموضوع أو المحتوى (الأفكار) المراد إيصالها،
 لوسيلة وهي لطريقة أو اقناة التي تنتقل بها الرسالة
 لمستقبل وهو الجهة أو لشخص لدي توجه له الرسالة ويستقبلها من
 خلال إحدى أو كل حواسه المختلفة (السمع والبصر واللمس)
 وترتبط وظائف التواصل بحاجات الدس المادية وغير المادية على السواء،
 فليس ناسحر وحده يحيا الإنسان، والحاجة إلى التواصل والإحبار، برهان على
 لتطلع لك من في أعماق الفرد إلى حبة أفضل يثرنها التعاون مع الآخر من
 فالتس بتطلعون إلى تحقيق نمو دوانهم من ثقافة، وحرية، وستقلال، واحترم
 الكرامة الإنسانية وكل م يعكس التطلعات غير المادية التي يسم السعي إلى
 بحقيقتها من خلال التواصل، فصلاً عن إشباع حاجاتهم المادية وتشكل وسائل
 اتواصل بالنسبة إلى ملايين البشر، الوسيلة الأساسية للحصول على الثقافة وجميع
 أشكال التعبير لحلاق، كما أن لتواصل دوراً حاسماً في تدبير شؤون التعلم
 والمعرفة وتنظيم الذاكرة الجماعية للمجتمع

يرتبط لتواصل بمفهوم هام في الدرس الدعوي عموماً وفي السبماتيات
 واستكوسيات وبطرية لتواصل بصفة خاصة هو مفهوم الإحبار information
 ومثما يتم التمييز بين التعبير والتواصل رغم التداخل الحاصل بينهما، يعين تمييز
 التواصل من الإحبار ليس الإحبار هو اللغة وإن كان أساساً يقتضي التواصل⁽²²⁾

يسع الإحبار من حاجة لفرد والجماعة إلى تدبير لآخر م بحالذ الذات من
 رغبات وأحاسيس متنوعة وكما في اللغة نفسها، هناك نوع من عدم التوازن بين
 ككشذات البشرية، سواء فيما يتعلق بالمعلومات المتبادلة أو بعدم اتوازن في
 لتب أو المقاصد التواصلية لمرد بتعبير عنها ليس هناك مماثلة أو تشابه
 مطبق بين أفراد مجتمع لعوي معين فيما يتعلق بالمعلومات التي يودون تبادلها

وفي مستوى إدراكها إن عدم التوارد بين المنكلمين في قدرتهم الدعوية وعدم
استدقة ومستوى الفرق لديهم في إدراك وفهم الرسائل الدعوية تعذ كنها حصائص
مميّزة للمعل الدعوي عند الكائنات لشريّة

مبدئياً عندما يتحدث شخص (أ) و (ب) فإن الأول يصل شيئاً بممكنه هو
ولا يمكنه لثاني، أي يعرفه هو ولا يعرفه الثاني إن هدف الإخبار أن يصف
بدقة وصسط كل ما يجب أن يفعل لإبراره وإقضاء كل ما به علاقة باللايقين⁽²³⁾
incertitude

لكل ما طبعه هذا لإخبار؟ هل يمكن اعتبار بقّي يعرف أو إبقاء خطب
أو رساله بمثابة إخبار أم أنها وسائل تحوي على لإخبار؟⁽²⁴⁾ هل الإخبار هو ما
يكون مكتوباً بالمدد على ورقة، التلغراف أو رسالة أي المعطى الموضوعي، أم
أنه ما يوجد في وعي المستقي بعد قراءة لتعرف، أي تحريرة أدبيّة الناحية عن
القراءة؟

الإخبار مدسة إلى العديد من علماء النفس ليس لا هذا ولا ذلك! به بس
لا مده، ولا حالة فكرة ذهنيّة، المكسمة انهابيّة مثلاً تمكّسي من حصول على
حمية من المعلومات الأساسية حول محيطي مكانه، سنّه، حالته لنفسه ووعيه
وأشياء أخرى، لكن رسالة الأساس في لمكلمه في مثلاً أصلاً إلى إخبار
أبيضاء عبر المطر في لساعة الواحدة روالاً⁽²⁵⁾

ولمصطلح الإخبار دلالات

إخبار إشارة information du signal أي كونه هذه السلسلة من الإشارات
أو لعلامات مختلفة عن غيرها بحيث يكون المتلقي قادراً على التمييز بين
علامتين لعوتين أو أكثر يحتفظ بكلمة إشارة signal بالنظر إلى طبعها لتقني
اعام المستعمل عند تقني لتواصل والإعلام ولا سيما في الأدات الأميركية
(لعوتاً تعادل نقطة إشارة كلمة لعلامة اللسانية (Signe linguistique)

J Hörmann *Introduction a la psycholinguistique* p 6. (23)

Ibid, p 61 Est-ce que c est une information ou content de l' nformation? (24)

(25) لمرجع منه

إخبار دلاليّ *information semantique* ويتعلق الأمر بالمعنى الذي نحمله هذه الإشارة أو تلك التي يترتب عليها تأويل *interprétation*. معيار المعلومة لدلالية هي ما يتبدله شخصان، بحيث أن المتلقي لم يكن يعرفها من قبل⁽²⁶⁾

ب. الاختلاف بين تشخيص إشارة معينة وتحديد نواحيها وطيبتها وأوليتها؛ أي تحديد معناه هو الفرق الحاصل بين الإخبار الإشاري والإخبار الدلاليّ تكون الإشارة مواصلة *signal communicatif* إذا كانت هذه الإشارة تحمل خبراً من أمتكنم يفهمه السامع ويتحدد الإخبار فيما يكون له معنى بالنسبة إلى المرسل وتظهر قصيدة التواصل من جديد باعتبارها شكل دعة لمتكّن في نقل ما هو غير معوم للمتلقي فالإخبار هو كل ما له معنى بالنسبة إلى المتلقي وهذا ما يحدد قيمته⁽²⁷⁾ ليس هناك إخبار دلاليّ إلا إذا ساهم لتواصل في إضافة معلومات جديدة عندما أدخل لبث وأن مبلّث الثبات وسألني أحد أفراد العائلة أيها الضيف؟ فإن هذه الرسالة لا تحمل لي أي معلومة لأنني لم أكن في حالة اللامبالاة واللامبالاة يلازم التماس الرسالة وتقاس درجة الإخبار على أساسين

موقعه ومكانه في انشاء التواصل

محتواه الإخباري؛ أي المعلومة التي تحمل

ب. كميته الإخبار *Quantite de l'information* أو المحتوى الإخباري رسالة مرتبطة بكمية للآيقين التي يمكن للرسالة أن تضيفها من دهر المتلقي

تحديد كمية الخبر أي المحتوى الإخباري يُلاحظ تناسباً لعكسي بين المحتوى واحتمال لورود *occurrence* بمعنى أنه كلما كان ورود إشارة معناه متوقعاً بنسبة عالية قلّ خبر الإشارة. وبعبارة أخرى ارتفاع درجة ورود الإشارة يقلل من نسبة التحديد الذي تحمّله يكون الإخبار معدوماً أو صفر *nul* عندما يكون احتمال إشارة معناه من درجة 1 أي ورودها متسأ به 100%، كما أن الإشارة التي يمكن تحديد محتواها الدلاليّ عن طريق السبقي لا تحمل خبراً أي تحديد (بالمعنى السابق)

J Lyons. *Elements de semantique*, p 40

(26)

Ibn, p 34

(27)

ويمتد علماء الإحبار أن قيمة المفاجأة *valeur de surprise* هي التي تحدّد كميّة الإحبار، فكلّما كانت قيمة لمفاجأة لغز ما كبيرة كانت الإشارة دالة أكثر؛ أي تحمل كميّة أكبر من المعلومات الجديدة. إن جملة «الرجل عصّ الكلب» ذات قيمة مفاجئة أكبر من قيمة نظيرها «الكلب عصّ الرجل» بحكم إحراج غير المألوف الذي تحمله الجملة الأولى⁽²⁸⁾.

لكن ما يهم نظريّة الإحبار من وجهة النقيّة وهذا هو أصلها الفعليّ (نظرية الاتصال عند شانون وويبر 1949 Shannon and Weaver مثلاً) ليس هو ما يهمّ الباحثين، الآخرين في علم الدلالة و«نيكولسانيات» وما يهمّ لمهندسين النقيّة في التواصل هو خبر *information* الرسالة وما بهمّ الآخرين هو دلالتها

2.3 مميزات اللغة البشرية من غيرها

الأنظمة التواصلية التي ذكرنا بعضاً منها سابقاً لغات بالمعنى الضواريّ للكلمة تشترك مع اللغة البشرية في حملة من السمات والخصائص النوعية ومنها أولاً الإحبار *information* أي نقل حملة من المعلومات والإحبار

ثانياً الموصفة *Convention*؛ أي الاصطلاح على إسناد جملة من المعاني والدلالات لمواقع حتى تقوم بعض الأدوار والوظائف المصوّطة بها في إطار مجتمع أو عشيرة معيّنة. وهذه السمة تنطبق على اللغة والصورة ولا يقودات وغيرها من أنظمة التواصل الاصطناعية الأخرى

ثالثاً الاعتباطية *Arbitraire* حيث لا يوجد أيّ رابط مهمما كانت نوعيته بين أوجه الحدث التسميائيّ؛ أي من جهة الدّل المرئيّ أو المسموع أو المكتوب و لمدلول وهو ما يعبر عنه من تصوّرات أو دلالات، ومن جهة ثالثة بين الحدث بوجهيه الدّلّي والمدلوليّ والشيء ذاته الموجود فعلاً في العالم الخارجي

مبدئياً تشترك كل الأنظمة لتسميولوجية في القدرة على التواصل والتعبير غير أن لتواصل في اللغة البشرية لا يقف عند حدود لإحبار المحايد أو المفارّ، بل يسعى إلى البراعة الأكيدة في مشاركته الآخر الذي هو المتلقي مع فعل

التواصل والتأثير فيه وانتظار جواب منه، سواء أكان إردياً أم تلقائياً أم الأنظمة السيميولوجية، فإنها لا تصل إلى هذا المستوى من التعاضلية فالآداب والفن وأنواع العلمية (رياضيات/كيمياء) لا تستجيب لمواصفات التواصل اللغوي ولا يحقق التواصل الذي تقوم به اللغات الطبيعية

ماد يميز اللغة البشرية إذن؛ من غيرها من أنظمة التواصل؟ ليس من السهل الإجابة عن هذا لسؤال نعم هناك إحساس تعاضلي وموضوعي بأن ثمة فورق فعلاً بين اللغة البشرية واللغات الأخرى أو ما أسماه البعض أشبه بنوعات quasi langage. نظراً إلى الاختلاف الذي يلاحظ حول مفهوم اللغة نفسه كمفهوم بقي وحوار صيغة الوقائع السيمبائية وخصائصها العامة وما تتميز به، وأخيراً بالنظر إلى الكيفية التي يحصل بها التواصل ولتعبير سواء بواسطة اللغة بشرية أو بواسطة أنظمة أخرى

يذهب البعض إلى اقتراح قصيدة (نية) لتواصل intention de communication باعتبارها معياراً أوتياً للتمييز بين لغة الطبيعة واللغات الأخرى. لكن الملاحظ أن هذا المعيار المباشر في لغة البشرية موحود فعلاً في الأنظمة لأخرى بكيفية غير مباشرة فشمرة، الملاحاة في البحار أو مجاز لطيران أو امورس Morse أو غيرها تتضمن بكيفية غير مباشرة قصيدة و صحة في لتواصل بالدرجة نفسها الموجودة في لغة البشرية؛ أي أن ثمة طرفاً آخر يوحده هذا التواصل أو بقصد إلى خلق حسر معين مع المتلقي للتأثير فيه الشيء نفسه يصدور على الخطابات الإشعاري بالصورة مثلاً⁽²⁹⁾

قرب من هذا المعيار ما يراه بويسس من كون اللغة البشرية تشكل نظام تواصل مباشراً، بينما اللغات الأخرى تعتبر أنظمة تواصل تعويضية substitutifs أي أنها مترجم وحدات الصورة لمكونة لها إلى سوي دلل فكل أنواع الكتابة Ecriture و فونون امورس والملاحاة السحرية والجوية و لغة الصم السكم كلها أنظمة تعويضية بهذا المعنى⁽³⁰⁾

(29) G. Morin, *Clefs pour la linguistique* Paris. Editions, Seghers. 1968, p. 37-38

(30) نظر تحليل إريث بويسس في كتابه السيميولوجيا والتواصل عديده هي لدرجات التي تناولت موضوع خصائص اللغة البشرية قياساً بالأنظمة =

في الأدبيات اللغوية الحديثة عدة اقتراحات بشأن ما تتميز به اللغة الطبيعية من غيرها من الأنظمة الشيمائية من خصائص؛ وهي خصائص لم تكن في يوم من الأيام موضع إجماع اندارسين في هذا المجال، نظراً إلى اختلاف وجهات النظر والسياديين التي يشتغل لهاحثون فيها ودون أن نعي أن ما نفعه من اقتراحات لدى بعض الدارسين هو أفضل مما لدى غيرهم، نعرض بعض الخصائص المميزة للغة البشرية⁽³¹⁾

اللغة تسو من الأصوات التي يكسبها الإنسان سهوله، تنظم في تسو فونولوجي خاص بكل لسان على حدة وما يحتاج إليه هذا اللسان قد لا يحتاج إليه لسان آخر

اللغة سدوك إرادي تلقائي، سما بعلب الجانبات الاصطناعي على باقي الأنظمة التسمولوجية التي يطلق عليها مجاوراً مصطلح اللغة، فاضحت والكاء واشغال ليست تعاد بالمعنى الدقيق

- خطية اللغة Lineante أي أنه لا يمكن إصدار أكثر من عنصر واحد في لمرة الواحدة على عكس الموسيقى مثلاً ومعنى هذا، أن تدفع العاصر والترتيب الذي تظهر فيه له قسمة أساسية في تحديد الخطابات والتالي، تتوصل المرمع تحقيقه

تحديدية اللغة Discretion تكون اضطرب (النعوي) دائماً محدداً والضوت إقارب وإقارب ولا يمكن أن يكون لاثين معاً وكذا سوسير أول من نه إلى هذه الحادثة المهمة وكل عنصر نعوي آتياً كانت طبعته بمع في نقطة رمية محددة بالقياس على غيره من العاصر، فلا يمكن أن نجد أكثر من كلمة واحدة في الوقت ذاته وعلى عكس اللغة البشرية ليست الانتسامة (لغة شيمولوجية)

= لشمائنة لأخرى ومن بين هذه الدراسات التي رجعت إليها نذكر ما يلي

Yuer Ren Chao *Langage et systèmes symboliques*, p. 14. Paris, Payot

1970. 1968

G. Moulin *La linguistique*, au XX^{ème} siècle, p. 28-39 et p. 45-60.

J. Lyons *Elements de sémantique* p. 62-74

(31) محيي الدين محب انتاح السق اللساني، مرجع سابق، ص 16-22

حظية، والانتسامة نسامات بحيث يمكن أن يكون لها عدة دلالات في الوقت نفسه

وكان شارل هوكيت Charles Hockett أكثر النسابيين اهتماماً بخصائص اللغة لشرية التي جمع منها ما ظهر متفرقاً عند غيره من الباحثين. وخصائص اللغة لشرية كما عرضها هي

لاعاطية

- الشائيه وهي أن اللغة تتشكل من الضوت والمعنى وهذه الخاصية فريدة جداً مما أسماه مربييه التلقظ المردوح

الإنتاجية وهي تقاس ما تتميز به اللغة الشرية من بداع وحلق أي القدرة على إنتاج وتأويل ما لا حصر له من لجمل

القناع التحديدي

مدالية

- لا ينقد أي تحديث عن أشياء عدته أو غير موجودة واقعياً

التبادلية أي إمكانية لبادل بين السامع والمتلقي في الوقت نفسه (التواصل)

- لاستردادية feed-back وهي القدرة على سترجاع الكلام لتدقيق وتدكره

التخصصية أو لإثارة

انقل لشعبي أي لا تتصل اللغة بالوراثة أو بالعريزه وإنما بالتعلم

قابلية التعلم learnability

رد فعل reflexe

إمكانية استعمال اللغة لتصلب لأحر أو للثمويه أو لنكد Prevacation
وما شابه ذلك⁽³²⁾

وبحسب مارتنيه André Martinet من خاصيّة التلغظ المزدوج double articulation أخذ العاقل بين اللّغة البشريّة وأشكال التعبير الأخرى يقول مارتنيه إذا اعتبرنا التلغظ المزدوج نوعاً مركّبة وباقي الخصائص المتميّزة للّغة سمات هـمشتيّة؛ فإما بهد، المفهوم سيجعل اللّغة (الشّريّة) في مأمن من جميع أشكال التواصل لمهمة التي لا يمكن تحييدها إلى مسويين من التلغظ و للّغة الطبيعيّة في نظره هي المنظومة اتواصلته الوحيدة التي تميّز بصفة نوعيّة أساسيّة هي لتلغظ المزدوج، إن لفظة لغة يجب أن يحتفظ بها للدلالة على كل أداة تواصل تلغظ اردواجياً ومعنى التلغظ لمزدوج أو القوون أو الجملة يحلّل إلى مستويين مستوى أوّل هو مستوى لتلغظ، لأوّل Première articulation حيث يحلّل القول إلى الوحدات الأساس التي تكوّنه و لسي هي وحدات لها دلالة في دهب، يسميه مارتنيه الموييمات Monèmes

مستوى التلغظ الثاني Deuxieme articulation وفيه تحلّل الموييمات إلى وحدات صغرى ليس لها دلالة يسميه الموييمات Phonemes وهي وحدات صوتية ليس لها معنى في دهب⁽³³⁾

3 3 وظائف اللّغة

ستعمل بعض الوظيفة للدلالة على العناية التي يروم المتكلّم بحميتها من خلال نشاطه اللّغوي، وبعبارة أوضح فإن وظيفة اللّغة هي الهدف الذي تستعمل من أجله اللّغة في مقام توصي معيّن والواقع أنّ هناك اختلافات نظريّة كثيرة لا مجال بحصرها حول وظيفة اللّغة، وهي اختلافات ناتجة عن خلاف لعدد نظريّ ولعكريّ الذي يُنظر من خلاله إلى قصاب اللّغة بصفة عامّة وبتعريف، ودي يُعطى للّغة بصفة خاصّة

تُسد إلى لّغة عدة مجموعة من الوظائف والدراسات الفلسفيّة وفكريّة اعلمه جعلت وظيفة اللّغة نقل الوقائع faits وعندها أرسطو مرارة للتفكر وأصبح إشكاليه الوظائف في لعصر الحديث من أربز لعصاب التي تدولها

(33) André Martinet *La linguistique synchronique* Paris. PUF, 1974. p 7 et suiv

André Martinet *Fleminis de linguistique generale* Paris, Armand Colin, 1974

المفكرين على اختلاف مشاربهم لكن لسلوكيات يرفضون إعطاء أي دور أو وظيفة خاصة بلغة باعتبارها سلوكاً مثل باقي السلوكيات البشرية الأخرى

وقد مرّت بأنّ عالم النفس يباحيه يحدد وظيفة للغة الأساس في التمثيل Representation وقد كان للفلاسفة والمطبعة وكلّ مهمّة بالغة تعريف لوظيفة للغة كما يرونها من خلال اختصاصهم ومجالهم الفكري وما يقدمه من فرصيات التي بدفعون عنها اللغة عند أرسطو مرةً للتفكير وهي عند المصاطفة أداة للاستدلال إلخ

بمعنى المدّرس لللساني بين وظيفة أساسية ووظائف ثانوية للغة تتمثل الوصفية الأولى في كون اللغة وسيلة للتواصل وهو ما يهتم لللساني في الترجمة الأولى أما الوظائف الثانوية فهي محمل ما يسده المدارس في مجالات معرفية أخرى من وظائف إلى اللغة كالقول بأنّها وسيلة للإبداع أو لفعل الأفكار

إنّ هذا الرأى يذهب شارل باري Charles Barry حسب أنّ «الذمة التي سكتها جميعاً ليست في خدمة العمل الحاضر ولا في خدمة العصر إنّها لا تهدف إلى مثاب منطقي أو مثال أدبي إنّ وظيفتها الأساسية ليس بناء القياسات المصطنعة أو لخصوع للأورار والتفصيلات الشعرية إنّها بساطة في خدمة الحياة الاجتماعية لا حياة لأفراد وإنما حياة المجتمع»³⁴

ويؤكّد اللسانيون لوظائف ألفتها دراسة اللغة باعتبارها وسيلة للتواصل وبالتالي فإنّ الأساس في تحليل اللساني هو الكشف عن الخصائص والسمات التي تجعل عميّة التواصل أمراً ممكناً

ولعلّ أشهر نموذج في تاريخ اللسانيات تمّ فيه تحديد وظائف بلغة بشكل مميّز ومصنوع هو النموذج الذي وضعه رومان ياكسون Roman Jakobson (1897-1982)³⁵ وهذا النموذج في موقع تطوير لم يرد عند بوهرل Bühler من

Charles Barry *Le langage et la vie* Genève, Droz, 1965, 1925, p 14 (34)

Roman Jakobson. *Essais de linguistique generale*. Paris, Editions de Minuit (35)
1963 p 213-218

وظائف أصناف إنبها ياكسون بعصر الأفكار التي أهررتها في منتصف القرن
لعشرين نظرية لتواصل theorie de la communication عند شون وويهر
اعلافاً من اسية العامة بعمية اتواصل بين السامع والمتكلم عند ياكسون
لمكوّنات الستة التي تقوم عليها بية التّحاطب وهي

- 1 المرسل [المتكلم] Destinateur
- 2 المستقبل [المتلقي / السامع] Destinataire
- 3 لرسالة [الخطاب] Message
- 4 لاتصال Contact
- 5 المرجع Referent
- 6 الشفرة code

يبحث المرسل رساله إلى مستقبل بحيث يكون لها مرجع تدرج فيه ويشمل
مجموع الأشياء التي يتم الحديث عنها وبكي مركز لمستقبل هذه الرسالة بحيث
أن يكون هناك اتصال بينه وبين لسان، وهو عباره عن قدة فريائة (لأصوات
النغونية) ويتم لاتصال بواسطة شفرة مشتركة هي اللغة ويقدم بمودح ياكسون
لوظائف على الشكل التالي

المرجع

الخطاب

المرسل المستقبل

الاتصال

الشفرة

وبري ياكسون أن كلّ مكون من هذه لمكوّنات يمكنه أن يمدّ بوضيفة
معينة وعلى هذا لأساس يستطيع الحصول على ست وظائف رئيسية متنوعة
الأهميّة بحسب المكوّن الذي يتمّ الاهتمام به أثناء اتواصل، وقد يؤدي خطاب
نفسه عدة وظائف في اوقت ذاته. ووظائف الست هي

الوظيفة التعبيرية *Fonction expressive* يكون محورها المرد المرسل من خلال ما ينتجه من عبارات تدل على حاله النفسية ومشاعره لأفعاله ولجمل مثل «أنا سعيد جداً» و«مسرور لكوني فرت بالسباق بعد أن غابت كثيراً وتحملت، اه كانت لحظة جميلة، أنا سعيد، لا أجد ما أعبر به عن فرحتي»¹ تعبر بوضوح عن حالة صاحبها لنفسه

الوظيفة التأثيرية *Fonction conative* وتتركز حول المستمع؛ وتشمل كل أساليب لثناء والأمر والطلب؛ وكل ما يُراد به لتأثير في المستمع لحمله على فعل شيء، أو بصوره (هي الوظيفة التي تنظر إلى اللغة على أنها أداة لتحقيق حمة من المعارب الفردية)

الوظيفة المرجعية *Fonction référentielle* وتتمحور حول الأشياء الموجودة في العالم الخارجي التي يتحدث عنها المحطات كما في «الندى جنة» «السماء صافية» «الحز ممطر» «اللغة مرتفعة الثمن»

الوظيفة اللاحية *Fonction phatique* (من الشغوى) وتقوم أساساً بدور المحافظة على التواصل والاتصال بين قطبي عملته المحطات واسمررها (هل تسمعي؟ هل فهمت؟ اسمع ما أقول نعم، نعم، أسمعك، فهمت، أنا أعرف حدة ما تقول)

الوظيفة الماورائية *Fonction metalinguistique* وتتمركز حول لشرة؛ أي لغة ذاتها كما هي الحال عندما يتعلق الأمر بالتعريفات اللغوية أو بمعجمية وتحديد المفاهيم حيث تتكلم اللغة عن نفسها أو تصف نفسها مثلاً القاعده لتحوته (لمتداً اسم مرفوع يقع في أول الكلام) مثال و صح لهذه الوظيفة وهذا يصدق على لغة لعدم تصفه عدمه

الوظيفة الشاعرية *Fonction poetique* وتتمحور حول محطات نفسه وينظر من خلال هذه الوظيفة إلى الخصائص لجمانه والفتية لتض النعوي أياً كانت طبيعته

ويمكن تصوير هذه الوظائف على الشكل التالي

إحالية

نفسية _____ تأثيرية

شاعرية

لاعية

إن نموذج باكسون رغم ما يقدمه من إحصائيات في مجال تحديد وظائف اللغة بالقياس إلى غيره من النماذج السيميائية وعبره يطرح مع ذلك جملة من التساؤلات وهو يعتبر التوصل عملية بسيطة شبه في سبيلها العامة نظام نظرية التوصل Theorie de la communication التي وضعها شانون و ويتر في نهاية الأربعينيات والسبعينيات كان له أثر كبير في الستينيات وعشرهم، عبر أن نموذج باكسون لا يقدم أي معايير صورية لتحديد الوظائف المعروفة، فما سبيلنا سوى بعض المؤشرات اللغوية لتقنية وإدلائية العامة المرتبطة بهذه الوظائف ومهم يكن فإن اعتبار لغة وسيلة أو أداة للتواصل أو للتعبير عن الفكر أو نقل الأفكار يوحى وكأنه من الممكن تصور أي وجود مستقل لغة خارج ماهية الإنسان نفسه

في ظل ازدهار النظريات الحديثة في التواصل والإعلام (نتيجة مبنية في وسائل الإعلام الجماهيرية تليفزيون/ سينما من خلال مظاهرها المتعددة، الإشهار بصورة) ذات من المؤكد قدره على التحكم في التواصل لتكييف ما يمكن توجيهه للمتلقي كيفية تكون قدره على قناعه والتأثير فيه بشكل ملموس أو كما يقال يصنع رأي عام وفق مفاهيم محدده ولعابات معينة سلفاً نعم أصبح من الممكن التحكم في قيمة المعلومات و لكمية المراد منها وبالتالي أصبح السطر موجهاً إلى «كيف» كيفية إحصائية ستمتد أصولها من تقدم العلوم الأخرى وفي مقدمتها السيميائيات

الباب الثاني

اللّسانيّات تاريخ وتطوّر

الفصل الرابع

تاريخ اللسانيات: أي تاريخ؟ لأي لسانيات؟

1. في تاريخ اللسانيات

ليس لمبحث في اللغة وما يرتبط بها من فصايا معرفة شيئاً حَسِداً في الفكر
لإنساني فهو قديم قدم اللغة نفسها فمبدأ أن وَحد الإنسان، وَحشاً وَحد، وَحد
معه تفكير حول اللغو ولغته ومبدأ وعي الإنسان أهمية اللغة ودورها في حياته
العلمية والخاصة، طرح بصيغة تلقائية حملة من الأسئلة الهامة منها
ما أصل اللغة؟

ما أقدم لغة؟

كيف وصلت إلينا؟

ماذا لا يتكلم الناس جميعاً اللغة نفسها؟

ما علاقة الكلمات بالأشياء المتحدّث عنها؟

كيف نحصل التفاهم باللغة؟

لقد انتبه الإنسان إلى هذه الأسئلة لعديده والعربية في الوقت ذاته ووصل به
لإعجاب إلى درجه التقديس وتأليه، فجعلها مفتاح الكون بدي عرش فيه،
وشعره بملك كثير من الأسرار لمحيطه به، فربطها بقوة لعبية والممارسات
لتحريره، وبالظفوس النسيية والشعائر الاحتفالية المحلقة⁽¹⁾ وتيسر بقوش

Julia Kristeva *Le langage ce, inconnu. une initiation a la linguistique* Paris, (1)
Seuil, Collection Points. 1981 1968.

و لآثار افنديه رعة الإنسان في تحسيد مطهر لعته، كما هي النحان في الكتابة
المصريّة القديمة وفي غيرها

هدا الوصع الأولي لتفكر اللعوي يجعل كتانة تاريخ الفكر اللعوي شبنأ
صعباً تُطرح معه جُملة من الإشكالات المسهجة والطرقة فكتنة لتاريخ عمومأ
هي كتانة دابة، سطلق من إطار وأدوات معرفية محدعة في الزمان والمكان عن
الموضوع المؤرخ له، إن مؤرخي كل حقبة يدونون التاريخ ويهتمونه بطلاق من
وجهة نظرهم، وهو ما يعني أن يكتب التاريخ كما يريد أو على الأقل كما
يفهمه ويتصوره، إنه نوع من الإسقاط إننا نحلو التاريخ لذي نقوم بكتنته
بحسب نمط تفكيرنا⁽²⁾ وبهذا المعنى فإن كتانة التاريخ قرءه حديثه لمعطيات
قديمة، بضرر مشكل حدود قراءة الآراء والتصورات اللعوية القديمة وتأويلها

والدراسات التاريخية عالباً ما تُنظر إلى الفكر اللعوي القديم بعيون الحاضر
وتصوراته مقتصورة على الحواش التي سدو متصفة على نحو خاص بالمقاربات
والأفكار الحالية أو تندو عبر متصفة بها. وتنعكس استطران معاً تصوراً معنوطاً
تاريخ علم معين، حيث يتم النظر إليه بوصفه مقدماً مطرداً حياً وغير مطرد أو
محرراً أحياناً، نحو هدف محدد سلفاً من قبل لوصع الراهن للعلم⁽³⁾.

وبأسيساً على ما سبق، فإن كتانة تاريخ لدراسات اللعوية القديمة انطلاقاً
من موقف سادي حديث، تعني بكل بساطة رفض كثير من حواش التفكير اللعوي
افنديه، خاصة ما يتعلق بشأ اللعة، والقول بأقصيه بعض اللغات على أخرى
لاعبارات غير علمية، والاهتمام ببعض المستويات اللعوية دون غيرها، ومعالجة

(2) G. Mounin *Histoire de la linguistique des origines au XXIeme siecle*, Paris, PUF 1968, p. 7

توحد ترجمه عربية لهدا كتاب الأساسي في تاريخ الفكر اللعوي بعنوان تاريخ علم
اللغة منذ نشأتها إلى القرن العشرين، ترجمه بدر ندين الدسم، منشورات جامعة
سوريه، دمشق، 1972

(3) روبرت موجر تاريخ علم للغة، ص 20، ترجمه أحمد عوض، عالم المعرفة، قم 227
لكويت، تشرين الثاني نوفمبر، 998، وهو ترجمة

R. H. Robins *Breve histoire de la linguistique de Platon a Chomsky*, Paris, Seuil, 1976, 1967

بعض القصايا بطرق معينة وقد أدى هذا الموقف كثير من الباحثين اللغويين
محدثين إلى رفض لمكر اللغوي لقديم جملة وتفصيلاً لكن هـ لا يعني
لتفصيل من أهمية المكر اللغوي القديم اندي كست به مواقف سديمة في كثير من
العصا اني وقف عليها بعمق ودقة، وإن لم تكن أسسه المنهجية واضحة دائماً
شكل كاف

ولا شك أن ابتكار الحظ والكثرة عند لمصريين والأكدس والسومريين
والعسقيين ثم اليهود هو في ذاته ابتكار حصري هام، وهو أيضاً مثال على
لمستوى الذي بدعه اللغوي في هذه الحقبة الصادرة في عمق التاريخ، رغم
أن مصادر التاريخية القديمة والحديثة لا تتحدث عن وجود كتابات لغوية حفيضة
هائم في داتها، لا أن هذا لا يعني انعدام تفكير لغوي. والمستوى حصري الذي
بلعه سومريون (4000 سنة قبل الميلاد) والأكدس (3600 سنة قبل الميلاد) ثم
المصريون (2600 سنة قبل الميلاد) في مجالات لإدارة والتشريع والمكر
والهندسة والعمارة والصناعة والاقتصاد وما يتطلبه من تنظيمات وصنعة، كل ذلك
لا يمكن تصوّره من دون معرفة دقيقة ومصنوعة بالوسيط اللغوي لقادر على جعل
هذه الشبكة من المعارف متدولة بين الأفراد والمؤسسات القائمة بذاك، ومشاعة
بين أجيال المتعاقبة، وبالتالي لا يمكن أن يتصور مثلاً، بيم هندسة بناء
الأهرامات والآثار التي عاصرتها أو بُنيب قديها أو بعده من دون وجود بحوث
لغوية متطورة تمكن من مسيرة هذه اللغة وند ولها في مختلف المسويات، وتكون
قادرة على التعبير عن المحالات الفكرية والصناعية والاجتماعية المجتمعة

وقد مرت الكتابة الإنسانية ثلاث مراحل أساسية هي⁽⁴⁾

مرحلة الكتابة التركيبية *Ecriture synthétique* ويعود تاريخ هذا النوع من
الكتابات التركيبية إلى لحية الأولى للبشرة في سيبيريا وآلاسكا ويهود أميري

(4) Patrick Guelpa *Introduction à l'analyse linguistique* Paris, Armand Colin, 1997

ويمكن الرجوع في موضوع تطور الكتابة عند الإنسان إلى جورج بول - معرفة اللغة
لمجلد 2، ص 2-30، در لوفد لمب لطبعه ونشر، الإسكندرية ط 1، 1995

منذ 5000 سنة قبل الميلاد، وتتمثل في مجموعة من الرموز التي تمثل أولاً بأسرها فهي كتابة أفكار *Ecriture ideographique* لأنها ترمز إلى أفكار محددة.

مرحلة الكتابة التحليلية *Ecriture analytique* عرف هذا النمط من الكتابة مع السومريين والمصريين والفينيقيين، وفيها أصبحت الكتابة قادرة على أن ترمز إلى شيء أو فكرة ترمز محدّد يمكن كلمة شكل محدد وحيد وثابت يحدد موقعه في القول الواحد.

مرحلة الكتابة الصوتية *Ecriture phonetique* وهي الكتابة التي نتعامل بها اليوم في حلّ اللغز لعالمية والتي سم فيها التحرّر من سواها التسليم من الكتابة وتسمّى الكتابة الصوتية باقتصادها في عدد لوحات الصوتية والصرفه والاستقلالية في الوظيفة التركيبية والدلالية عكس ما كان متداولاً في الكتابة التركيبية والكتابة التحديدية وتعدّ الكتابة الصوتية مرحلة حاسمة في تطوّر الفكر لشريّ نظراً إلى ما كان لها من أثر يحدّي في نقل التراث الإنساني من المحنة إلى الإنسانية كما شهد على ذلك انتقال التراث الهندي واليوناني والعربي الإسلامي خارج حدود المناطق التي ظهر فيها هذا التراث.

وقد كان للكتابة أثر يحدّي في التمرس اللغوي وهو ما أشار إليه ألفاسي بروسني أنطوار مبييه Antoine Meillet فثلاً إن أولئك الذين أوجدوا الكتابة وأنقشوها كانوا من فحول اللغويين وهم الذين أبدعوا علم اللغة⁽⁵⁾ ذلك أن درج الكتابة ودراسة الطرق المتبعة في الكتابة ذو صلة وثيقة بالبحث في طبيعة اللغة وبنيتها⁽⁶⁾ فاحترار الكتابة أدى بسادهاة إلى تفكير في اللغة، لأن هذه الطبيعة أثرت عاصراً اللغة الشعبية ثم فصلت عباراتها على الأقل إلى سم نقل مبرداها⁽⁶⁾

2. العلوم وتاريخها: أية علاقة؟

نظراً إلى ما تطرحه إشكالية التاريخ للعلوم من قضايا منهجية لاسيّما في

(5) نقلاً عن جورج مونود علم اللغة منذ نشأتها إلى القرن العشرين، ص 15

(6) مرجع لسابو نفسه

لمستوى الإستيمولوجي، فإن الرجوع إلى أرسية معرفة عامة يمكن اعتمادها أساساً لتحديث عن تاريخ الفكر اللغوي أمر لا مفر منه، من شأنه أن يساعد انقاري على مثل وإدراك بعض القضايا المبهجة التي يثيرها التاريخ للمعلوم بصفة عامة، ونتائج لمتربته على تاريخ الفكر اللغوي بصفة خاصة إن كثيراً من الكتابات المتعلقة بتاريخ الفلسفات العربية وعربية على سواء لا يمكن استيعابها إلا بالنظر إلى مثل هذه المنطقت الإستيمولوجية والإشكالات المرتبطة بها

إن البحث في تاريخ العلوم ليس بالمسألة الهينة هل من ضرورة نظرية ومهجة لتاريخ العلوم؟ سؤال لا يحظى من التهمة العلمية لحدثة بجمعاء العلماء أنفسهم، سواء أعلق الأمر بمختلف لمحات العلم، أم بالتاريخ أو بالصفة ويثبت البحث في تاريخ العلوم أن العلوم لا تنشأ بين عشية وضحاها، بل إنها مجموعة من المراحل المتعاقبة يأخذ بعضها من بعض. هذا التصور لشأ العلم يوصف بالاسمري، أي استمرار العلم وتطوره عبر مراحل تتصل فيما بينها أحداً وعطاء ملأاً ويبدأ لتصل إلى درجة التصح

ومثل هذا التصور لاسمري نجد الموقف الذي يقول بالقضية من من أجل الفكر العلمي وترغم هذا لانه الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار Gaston Bachelard الذي يرى أن العلم أو الثورة العلمية الحقيقية لا شأ ولا يتحقق إلا إذا قطع كل الأواصر المعرفية والتصورية والمهجة التي تربطه بعلوم عصره الذي سمى «إن تاريخ العلم هو أحطاء العلم إن تاريخ العلم ليس تاريخاً للعلم، بل هو تاريخ ما ليس العلم يتاه، وما لا يريد العلم أن يكونه، وما يعارصه العلم تاريخ العلم هو تاريخ اللاعلم»⁽⁷⁾

وسواء أعلق الأمر بالتصور الاسمري أم بالصفة، فمن الوصح أنه يسعى التمييز بين ما يسمى بدايات العلوم Commencements وأصولها Origines، فليس هما الوصح للإستيمولوجي بصفة. فمن لعلوم ما تكون مرحله ما قبل لعلمية Pré-scientifique من قبل ما هو قبل تاريخي Pré-historique وبالتالي لا

(7) محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، ج ١، دار نشر المعرفة، اندار

ليبهاء، 1976، ص 50

قيمة له، ومن العلوم ما يشكّل تاريخها جزءاً أساسياً منها، يساعد العلم على تجاوز نفسه ويدفعه نحو التطوّر والتقدّم. فالتأريخ لبدایات علم من العلوم قد يكون ضرورياً بالنسبة إلى بعض العلوم، وقد لا يكون كذلك إطلاقاً بالنسبة إلى أخرى ويحصل أن كل تجديد وتقدّم وتطور يقتضي بالنسبة إلى بعض العلوم تجاهل المرحله ما قبل العلمیة، سيما نظر المرحله الماضیه حاصره في ذاكرة بعض العلوم واستمراره في الحاضر والمستقبل، مثله هو الأمر في جواس عديدة من البحث اللساني الحديث

إن «تاريخ العلم» من حيث إنه مجموعة من المبادئ والتصورات العامة المتحكمه في تناول لظواهر الظهيرة، ومن حيث إنه طريقة عمل خاصه في التحليل لمكريّ يُحيل على لتطورات الحاصلة في صوغ المبادئ العامة للممارسة العلمیة والمعتقدات التي «عترضتها». وتاريخ العلم بهذا المعنى، هو العلم ذاته إلى حد ما، لأنه يعود بنا إلى أصول المدارس العلمیة لفهمها بکيفية أفضل وأعمق من أجل توصیح شروط إنتاج المعرفة العلمیة ذاتها، «والعلم بالمعنى الواسع به تاريخه شأنه في ذلك شأن الناس، وشأن المفاهيم العقلية والأخلاقية والعلماء في كل جيل لا يبدوون من فراغ، ولكنهم يعملون من خلال وعلى أسس الوضع الذي ورثه عنهم وورثه لعلهم بوجه عام في ثقافتهم وفي عصرهم»⁽⁸⁾

إن نظرة العلماء بخصوص موضوع التاريخ للعلم تختلف من زمان إلى آخر ومن حقبة معرفية إلى أخرى فقد يصبح تاريخ العلم هو تاريخ لمعرفة الإنسانية نفسها، «إن تاريخ العلم هو في أي واحد تاريخ لمعرفة بشرية وتاريخ الرجال الذين يتعلمون معرفة العالم» () «إن تاريخ العلم هو في كل شيء تاريخ فهم العلم»⁽⁹⁾. وتاريخ العلم ليس تاريخاً موحداً، ولكنه أصناف وأنواع ليس لها محال الخوص في تفاصيلها⁽¹⁰⁾. وبكفي القول إنه تاريخ مشعب يشمل روايات متعددة نصت في مجملها في حصص البحث عن الأسس العلمیة والمهتة التي قام عليها العلم في مرحلة من مراحله، أو التي استندت إليها نظرية من لنظريات

(8) روسو، موجز تاريخ علم اللغة، مرجع سابق، ص 19

(9) انجبري، مدخل إلى فلسفة العلوم، مرجع سابق، ج ١، ص 52

(10) المرجع السابق، ص 47 وما بعده

العلمية، أو إنها في النهاية صورة ما تقريبية عن واقع ممارسة علمية في مجال معرفي معين

ومع ذلك، فإن هذين الموقعين، «الاتصال والانفصال» يطرحان جملة من الإشكالات الدقيقة المترتبة على العلاقة بين العلم والتاريخ، أو على الأصح بين العلم وتاريخه، تدلّ للعلاقة التي كانت دائماً علاقة توتر واستمرار كل منهما بالأخر إن العلاقة بين العلم وتاريخه تمرر مجموعة من «مشاكل الحقيقة»، وتطرح عدداً من الأسئلة التي لا تحصل دائماً على أجوبة شافية عنها

مى يسعى الربط بين العلم وتاريخه؟

كيف يجب أن يتم ذلك؟

هل هناك نظرية عامة بتاريخ العلوم؟

ما لنتائج العلمية والمهجنة المترتبة على الربط بين العلم وتاريخه؟

- هل يتعلّق الأمر بمفهوم فلسفي إزاء العلم، أم به حسن عملي نحو الفلسفة والتاريخ؟

يتأبّد عدد مشاكل فلسفية ومهجنة تعاقب العلم، كطريقة عامة، والفلسفة والتاريخ، إضافة إلى المحال العلمي الخاص بهذا العلم أو ذلك رياضيات، وفيزياء، وبيولوجيا، ولسانيات كل هذه المعارف مجتمعة في الوقت ذاته وسواء أتعلّق الأمر بالاستمرارية أم بالتطور الظاهري أم بالتحوّلات في مواد العلوم⁽¹⁾، فإن مشكل تاريخ هذه العلوم بطل قائماً تُطرح معه جملة من لمشاكل منهجية وفلسفية والأسئلة الهامة في تاريخ العلوم تتعلّق بالتساؤلات المشروعة حول العائدة المنتطرة من تاريخ علم من العلوم-هو اللسانيات هنا

- أليكون تاريخ علم ما وسيلة لاكتشاف الحقيقة لمصه فقط، أم أنه وسيلة للوصول إلى المنهج العلمي الصحيح؟

Voir La notion de paradigme chez Thomas Kuhn dans Structure de revolution (1) scientifique.

- هل يكون تاريخ لعلم تاريخ انتقال المذاهب اللغوية ونظرياتها، وبنقل المبادئ والنظريات المتنوعة؟

هل يكون تاريخ العلوم تاريخاً في المصادر والتأثيرات المتكررة التي عرفت لها؟⁽¹²⁾

ومن الأسئلة المبهجة والفكرية التي تطرح نفسها بلحاظ، وتتشكل بوجه العمل التاريخي، ما دام هناك حاجة إلى تاريخ اللسانيات أو، بعكس الدعوى القديمة على الأصح، ما يلي

أي سببات مقصده؟

أي تاريخ للسانيات؟

كيف ينبغي أن يكون هذا التاريخ؟

2 1 اللسانيات الحديثة أي تاريخ لأي لسانيات؟

يذكر جورج موبن Georges Mounin أن لفظ لسانيات Linguistique صهر في اللغة الفرنسية سنة 1833، سم استعملت كلمة لسانية Linguiste لأول مرة من قبل ريموار Ramouard سنة 1816 في مؤلفه مختارات من شعر التروبادور Troubadours⁽¹³⁾ ومن المعلوم كذلك أن اللسانيات، لغة Linguistique generale لم تصبح عملاً عاتقاً قائماً في ذاته إلا في ندرته لقرن العشرين مع دروس دو سوسر في 1906 و1911 وعلى أبعاد تقدير مع نشر هذه الدروس سنة 1916 فيقول نطهور للسانيات على يد سوسير، يعني بساطة إبعاد قرون طويلة من النشاط اللغوي في حضارات مختلفة هندية ويونانية وعربية إضافة إلى الجهود الدعوية لفترة ما بعد النهضة لأوروبية

كيف يمكن للدارس أن يتناول موضوع تاريخ لتعكس الدعوى في ضوء الموقفين السالمين؟

(12) جورج موبن، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها إلى القرن العشرين، ص 9

G Mounin La linguistique du XX^{ème} siècle p 5

(13)

إنّ الفكر اللعويّ يشمل مجمل الأفكار والآراء والتصورات التي تمّ إنتاجها في مجال اللغة منذ أمد بعيد، وفي مختلف الدّعات والثقافات. وبهذا المعنى، فإنّ اللسانيات لا شكّل سوى جزء خاصّ من التفكير اللعويّ لممتدّ عبر التاريخ والحضارات الإنسانية الكبرى إنّها أولاً وأخيراً فكر له سماته وخصوصياته سيّميّه من غيره من أنواع التفكير اللعويّ الأخرى كالفكر اللعويّ التاريخيّ والفكر اللعويّ لمصادر.

إنّ إطلالة سريعة على الأدبيّات اللسانية الحديثة سيّير بحلاء وجود هذين تصوّرين في تعامل مع تاريخ الفكر اللعويّ. يذهب بلومفيلد مثلاً إلى القول إنّ «الدراسة العلمية للغة لم تبدأ إلاّ منذ اقرب الماضي فقط عن طريق الملاحظة الواعية والوسعة والتدليّ ليست اللسانيات سوى في بدايتها»⁴، وهو بذلك محدّد ملاد اللسانيات على أبعاد تقدير في بقول التاسع عشر، أي مع ظهور المنهج التاريخي-لمصادر على وجه التقريب.

إنّ موقف بلومفيلد لمتشدّد الذي يُعني الفكر اللعويّ القديم، لا بأحد نه لسانيّ آخر وفي تحده معيار لموقف بلومفيلد لسانيّ، بحاول روسر R H Robins في كتبه الهامّ التاريخ الموجز للسانيات من أفلاطون إلى تشومسكي *Breve histoire de la linguistique de Platon à Chomsky* توصّح طبيعة «علاقة بين تصوّرات اللعوية القديمة والتصورات اللسانية الحديثة» إنّ للسانيات اليوم، مثنها مثل فروع العلم والمعرفة الإنسانية الأخرى، ومثل كلّ مباحي ثقافات الإنسانية، عبّاره عن متاح لمصيّها، وعبارته عن مائة لمستقبلها والأفرد يولدون ويموتون ويعيشون في بيئته تتحدّد فيزيائياً وثقافياً لمصيّها، وهم يشتركون معاً في هذه لسته»⁵.

نعتّر عن الموقف نفسه جورج موبان الذي يرى أنّ أصول لسانيات نصرت في عموم التاريخ لفكريّ ولعمرقيّ لإنسانيّ، «إنّ اللسانيات الحديثة لم تسو فجأة في بقول التاسع عشر كم تفجر لعاصفه في سماء صافية لهد مهدب

(14) Leonard Bloomfield *Le Langage* p 9, Paris, Payot, 1972. (v 1933)

(5) روسر، موجز تاريخ علم اللغة، مرجع سابق، ص 19

لظهورها آراء سابقة في اللغة، على الأقل منذ مصر القديمة⁽¹⁶⁾ إن هذا الكلام ردّ مباشر وصريح على موقف بلومفيلد.

وفي ساق آخر، بوضح موبن فكره السابقة مشيراً إلى هذه القضية في بعده التاريخي والمعرفي مع ما نظرحه مسأله نشأة اللسانيات من اختلافات جوهرية في رؤيا لتحديد تاريخ اللسانيات نفسها يقول «باعتبار تاريخ اللسانيات بحسب وجهة النظر التي قد يتخذها الباحث، وعليه فإن اللسانيات قد تكون نشأت حواسي لفرانكس قبل الميلاد (يشير إلى اللعوي الهندي لشهر بابي Pami)، أو مع بوب Bopp سنة 1816 أو مع سوسير سنة 1916، أو مع مرونسكوي سنة 1926، أو مع تشومسكي سنة 1956»⁽¹⁷⁾

ومعلوم أن الأسماء التي ذكرها موبن تُحيل على محطات هامة في تاريخ الفكر اللعوي قديمه وحديثه، وهي محطات كان لها أكبر الأثر على تطور تدريس اللعوي عموماً وفي اللسانيات بصفة خاصة وبفدر ما يشكّل هؤلاء الأعلام محطات تاريخية نوحى لأول وهنة بالاسمراية على المستوى الترمي المتخصص، فإنها من حيث المضمون النظري للسانيات تعكس أيضاً قطائع بسنيوموخية درره مكنت للسانيات من تجاوز ذاتها وتاريخها في آن واحد

ويلاحظ متتبع تاريخ الفكر اللعوي عموماً واللسانيات بصفة خاصة، أن اللسانيين الذين كان لهم دور الريادة في اللسانيات الحديثة، وشكّلوا بدور شكّ معطفاً تاريخياً حاسماً في تطورها، كان لهم موقف إيجابي إزاء لإرث اللعوي القديم، سيان في ذلك ما تلقوه عن غيرهم من اللعويين أو الذين عاشوا في كنفه من دون نعتة كلياً أو جزئياً هـ م حصل سوسير (1857-1913) وتشومسكي (1928) وهم من أقطاب اللسانيات الحديثة ورؤاؤها من دون مبرع

إن سوسير لذي يُعدّ في نظر جميع مؤرّحي الفكر اللعوي مؤسس اللسانيات، بوصفها علماً مستقلاً له أصوله وقواعده المنهجية ومفاهيمه النظرية،

(6) G. MOULIN *Histoire de la linguistique des origines au XXIème siècle*, p. 32

(17) G. MOULIN *Clefs pour la linguistique* Paris, Seghers. 1968, p. 19

لم يكن مقتنعاً بالآراء التي أدعها رواد المنهج التاريخي في دراسة اللغة وقد اعتمد الأحياء من القرن التاسع عشر، رغم أنه عاش في حصر اللغويين التاريخيين وتعلمد عليهم وبرزع من خلافه، النظري لهما معهم، فإنه يُعز صراحة في «المحاضرات» بقيمة اللغويين القدماء، فاللسانيات هي استمرار لمراحل لغوية سابقة حدها في ثلاث مراحل أساسية هي

لنحو Grammaire بدأه اليونان وأكمته الفرنسيون مع (بور رويال القرن لاسع عشر)، وهو قائم على المنطق إنه ممارسة معيارية

للمدولوجيا La philologie وقد بدأت في لاسكندرية خلال القرن لثالث ق م.

النحو المقارن أو للمدولوجيا المقارنة La philologie comparee وبدأت مع فرنز بوب Franz Bopp⁽⁸⁾

ووصح أن سوسر لم يُنكر القيمة العلمية لأسلافه من يونان ومقاربين وباريحيين بحده غير مره مدكر فضلهم وجهدهم في تطور الذرس اللغوي الحديث، معتبراً أن المدولوجيا مهتة للسانيات لتاريخه فواز أعمار لشدة المقارنين وباريحيين كانت خطوة حاسمة في تاريخ السانيات⁽⁹⁾

أما رائد النحو لتوبيدي شومسكي، فإنه أزع أضل نظريته لتوبيدة لتوبيدة لي كانت ثوره حقيقة على لسانات الوصعة، إلى لقرون لسانه

(8) Ferdinand De Saussure Cours de linguistique generale Paris Payot 1974, 1^{ère} édition 916. p 3

وعد رأى بعض تدريس في التقسيم الذي قدمه سوسر وما أصدره من أحكام في حق كل مرحلة ولاستمر المرحلة المتعلقة بالنحو بأنه تقيل من دور النحو عدم لدى جماعة بور رويال في القرن لاسع عشر وبأن موقف سوسر يتم عن نظرة سادجة إلى تاريخ لسانات وحكمه مشروط برؤية مبسطة لتاريخ العلم للسانات النظر

Andre Joy F. Thurot, tableau des progres de la science grammaticale Discours preliminaire a Hermes 1796. Collection Dacros, Bordeaux, 1970. p 26 note 9

De Saussure: Cours de linguistique generale p 13-14 (19)

وتحديداً إلى القريش السامع عشر والثامن عشر، عصر ازدهار الفكر العملاقي، لا سيم في فرنسا مع ديكارت ورهان بور رويال Port Royal⁽²⁰⁾ كما عدّ تشومسكي اللعويّ والفيلسوف الألماني همولدت مصدراً أصلياً لكثير من أفكاره التوليدية، وعنوان كتاب تشومسكي Linguistique cartésienne 1966 اللسانيات العقلانية أو اللسانيات الديكارتية دالّ على احتفاء تشومسكي بالأصوار العقلانية لظنّه أنّ التوليدية ويذهب تشومسكي إلى لقول إنّ النحو توليدي في حواش عديدة منه تفسير لأوجه الحدس التي يحفظها النحو استفيدي ووقف عليها، وأن علوم النحو استفيديّة القديمة ليست سوى علوم نحويّة توليدية تحولية شكل غير صريح⁽²¹⁾

والمناقل في أعمال رائدي اللسانيات، (سوسير وتشومسكي) يلاحظ أنّ أعمالهم التي شكّلت محطة تحوّل كبرى أو فطيرة إستيمولوجية في تاريخ الفكر اللعويّ كما يفان، ظلّت محتفظة بالكثير من أفكار اللعوية الماوية، على مستوى المفاهيم، والمصطلحات على سواء. فاللغات السوية والتوليدية باعتبارهما تصوّرات حديثة، احتفظت بالإرث المصطلحي والمفاهيمي المعروف منذ الفكر اللعويّ ليوناني. إنّ مفاهيم مثل أجزاء الخطوط (اسم، فعل، حرف)، ومفاهيم الجملة بأنواعها ومكوّناتها، الداخلة على سبيل التمثيل لا الحصر، وهي مفاهيم قديمة شكلاً ومضموناً تمّ الاحتفاظ بها جاهرة في اللسانيات السوية والتوليدية على سواء من دون أي تعريف جديد لها، رغم أنّ اللسانيات الحديثة عملت على تغيير أسباب صحتها وتحديثها من الناحية الشكلية والإجرائية. إنّ تشومسكي على سبيل المثال لم يقدم دليلاً تركيبياً وهداً فقط بروتية أنواع لصنع اني يظهر في قواعد نحوه. إنه يتحدّث ببساطة أنّ المصطلحات اني ورثها من الإسكسريّ (سم- فعل- حرف) هي الأكثر صحة⁽²²⁾

(20) N Chomsky *La linguistique cartésienne* Paris, Aux éditions du Seuil, 1966, 1969

(21) مصطفى علف وحافظ إسماعلي عبدي ومحمد الملاح اللسانيات التوليدية من النظرية المعيار إلى البرنامج الأدبي (قيد الطبع)

(22) حمري مامسون المدارس اللعوية، لتطور والصراع، ترجمه أحمد الكر عس، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، 1993، ص 60.

ولم تسلم اللسانيات المعاصرة بدورها من هذا التفاعل الإيجابي بين مختلف طريقتي النعوتية والاتجاهات المشكّلة لها، وهو التفاعل القائم على التعديل والاحتواء والتجاوز وفي هذا سياق يبدو لكثير من مؤرّحي اللسانيات أنّ اللسانيات التورية مع بلومفيلد ستمرار لتفاليد محدّدة عرفها التحدّد أو لتحده لشباب في نهاية القرن التاسع عشر، وأنّ التحوّ التويديّ عند تشومسكي أسس بدوره على مبادئ تورية وثى اللسانيات في صورتها لتويديّة واللسانيات لتعديّة في صورتها لبيويّة علاقة مباشرة، حيث إنّ اللسانيات المعاصرة تعمل في إطار مبادئ على درجة عالية من التجريد ولصّورة، وشروط مجموع الحقائق والمعطيات التي ثمت ملاحظتها في اللعويّات التعديّة ومن هذا المنظور، فلسانيات المعاصرة ليست علماً قائماً في فراع، بل هي امتداد حتى للعويا لتعديّة⁽²³⁾

من جهة ثانية، ليس بإمكان متتبع تطوّرات البحث اللعويّ أن يُنكر القطع التي أحدثتها اللسانيات مع الفكر اللعويّ القديم فقد تمّ استحقّ عن كثير من الأفكار لفلسفة المتعلقة بأصل اللّعب وشأتها وما شبه ذلك، إضافة إلى ما جاء به اللسانيات من روح بطرية ومهجّة جديدة قائمة على الوصوح والدقّة في أدوب التحليل وتقييمه.

إنّ القطيعة مع الفكر اللعويّ القديم تتجلى في مجمل منطلقات الجديدة التي طرحتها اللسانيات ولتعلقه بتحديد موضوع اللسانيات، وصسط المفاهيم والأدوب الإجرّثة لأساسيّة لمقارنته، علاوة على ابرعه المهجّة في استقلالية لسانيات دابها ولاستعادة من مجالات العلوم الأخرى سوء أكانت علومًا بسانته أم عموماً دفيقة.

يصعب إذن، الحديث عملياً عن كون للسانيات الحديثه تشكّل بالفعل قطيعة دامة مع تاريخها، أو أنّها استمرار له إنّها في صوء لأمنية الساقفة على سبيل التمثيل لا احصر، بمودح فريد في تاريخ العلوم إنها ستمرار وقطيعة في لوقت داته وليس الأمر من داب التوفيق لمصطع بين لمتقديين. إنّ القطيعة

(23) جبرهرد هيليش تاريخ علم اللغة الحديث، مكبه رهراء الشرق، لظهره 1974
2003، ص 150 وما بعد

المائمة على الإلقاء التام للتصورات الدعوية لسابقة أو لخدمة من حدث هي مفاهيم ومصطلحات لم تتم بعد في مجال اللسانيات

وفي جميع الحصرات الإنسانية نجد اهتماماً بالذمة وإدراكاً لمعنى لجوانب أساسية منها، فيما يتعلق بسينتها الضمنية أو السخوية، أو بطسعتها العامة باعتبارها نظاماً للتواصل بين أفراد لمجتمع. إن الحديث عن اللسانات لا يمكن فهمه إلا في الإطار التاريخي للبحث اللغوي الإنساني والشروط المعرفية العامة التي أنتجت في صوء لممارسات اللغوية السابقة ولذليل لو صبح على هذا التدحل الثقافي في محال دراسة اللغة، ما يقف عليه متنوع تاريخ الفكر اللغوي من أوجه التشابه والتقارب بين الفكر اللغوي الإنساني القديم في مختلف الثقافات والحصرات من خلال وصوح مظهر لتفاعل والتأثير المتبادل، سواء أعتق الأمر بشأه المباحث اللغوية والسخوية، أم بالتشابه لكبير في طرائق تحليل اللغوي، أم بالمواقف الفكرية العامة إراء مشاكر لغوية معينة⁽²⁴⁾

3. الفكر اللغوي العربي: أي موقع؟

كيف يمكن لنظر إلى الفكر اللغوي العربي القديم في إطار التساؤلات السابقة؟ وما مكانة هذا الفكر في إطار علاقته باللسانيات العامة؟ من الممكن الإجابة عن هذه لمسأله من راويتين

الزاوية الأولى، وتتعلق بموقف الفكر اللغوي العربي الحديث من نظيره العربي القديم.

الزاوية الثانية، وتتعلق بموقف اللسانيين العرب المحدثين من هذا الفكر

3 1 في الفكر اللغوي العربي

لنستعرض أهم الدراسات التي ساهبت تاريخ الفكر اللغوي القديم باحثين عن مكانة الفكر اللغوي العربي القديم فيها.

(24) نظر مثلاً لو صبح بين البحث لغوي إيهدي والبحث اللغوي العربي لدى أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عبد لهود وأثره على اللغويين العرب، دار لثقافة، بيروت، 1972

حصل بلومفيلد في كتابه *Le langage* الصادر سنة 1933 الفكر اللعوي القديم عموماً بما يفرد الخمس عشرة صفحة، لم يكن نصب الفكر اللعوي العربي منها أكثر من سطرين، أشار فيهما إلى مسألتي

أن العرب وضعوا على أسس قديمة مداواة قلوبهم (إشارة منه إلى تأثير يهود وانيون في العرب) سحواً للشكل التقديدي للغة كما ظهرت في القرآن.

أن اللعويين العبرانيين ساروا على نهج العرب في التأليف والتحليل اللعويين⁽²⁵⁾.

أما موريس لوروا Maurice Leroy في كتابه الاتجاهات الكبرى في اللسانيات *Les grands courants de la linguistique* (باريس 1963) فقد عرّض لمفكر اللعوي القديم قبل ظهور اللسانيات، لكنه لم يُشر إلا من بعيد ولا من قريب إلى الفكر للعوي العربي

ورغم أن كتاب ميلك ييمتش Milka Ivic اتجاهات البحث اللساني Trends in linguistics الصادر سنة 1965⁽²⁶⁾ يعدّ من أهم الكتب التي رصدت نوع من التدقيق والتفصيل تطوّر مسار الفكر اللعوي في مختلف الثقافات قبل ظهور اللسانيات، فإنه لم يحرّج عن المألوف من الآراء الجاهزة والأحكام المسبقة التي كوّن بها الفكر العربي عن الفكر اللعوي العربي القديم

ونُحْتَصِرُ صورة البحث اللعوي العربي القديم في كَوْن العرب قد ساروا في تقاليدهم لتحوّلة على خُطى النحاة واللغويين اليهود والإغريق، وأنه لَمَّا كان نمط اللغة العربية محلياً عن نمط اللغة الإغريقية، كانت الطريقة العربية في معالجة اللغة العربية معيّنة لليونان. وهتم النحاة العرب بلغة القرآن الكريم باعتباره الدافع لأساس لبحث اللعوي العربي للمحافظة على نصّ القرآن، وهو ما

(25) Leonard Bloomfield *Le Langage* p 15

(26) يمكن الرجوع إلى ترجمته العربية التي أنجزها سعد عبد العزيز مصدوح ووفاء كامل

فيدي مؤلف ميلك ييمتش، اتجاهات البحث اللساني، المجلس الأعلى للدراسات،

القاهرة، 1968، ط2، 2000 وكتاب في أصله مكتوب باللغة انجليزية، صدر سنة

1963 ومنها ترجم إلى الإنكليزية 1965

مصر عادة العرب، بل بلغة العرب الضوئي في دراساتهم اللغوية ودع صيت العرب، بحسب المؤلف، في مجال الدراسات المعجمية لتعلقهم لشديد بلعنتهم، لأن اللغة العربية كانت بأسسه إليهم في نظر ميلك يمتش لغة مقدسه شأنها شأن اللاتينية⁽²⁷⁾

ويعد كتاب روسر التاريخ الموجز للسانيات من أفلاطون إلى تشومسكي لصادر بلندن سنة 1967، من أهم ما كتب عن المراحل اللغوية لتسعة على ظهور لسانيات من حيث العمق و لشموله في هذا المؤلف حصص روسر ص 290 صفحة، ثلاث صفحات (ص 101 103) للمفكر اللغوي العربي القديم يحدث فيها

عن للغويين العربيين في لقرون الوسطى

انتشانه انقائم بين تدميس اللغة العربية واللاتينية وما خطبها به من اهمام

دلع

تأثير المنطق لأرسطوي والمفكر الهليلي في النحو العربي

- الإشادة بأعمال علماء الأصوات العرب (وخاصة سيويه) لدس قل عنهم روسر بهم تجاوزوا العربيين في هذا لمصدر، دون أن يصبوا إلى مستوى للغويين اليهود الذين أثروا فيهم شكل و صح⁽²⁸⁾

وفي كتاب تاريخ اللسانيات مدد بشأنها إلى القرن العشرين *Histoire de la linguistique des origines au 20^{ème} siècle* 1968 لجورج مونس، حظي لمفكر للغوي العربي ثلاث فقرات ضمن حديث مطوّل عن المفكر اللغوي في القرون الوسطى وقد ردّد المؤلف بشأن المفكر للغوي العربي حممة من آراء المستشرقين المعروفه في موضوع نشأة النحو العربي وعلاقته بأسحت للغوي الهندي والإعريقي من دون أن يستي موفماً صريحاً من هذه المسألة مؤكداً أهمية الدراسات الصوتية عند العرب⁽²⁹⁾ ويلخص المؤلف سمات البحث للغوي العربي فيما يلي

(27) مرجع سابق، ص 30 32

(28) روسر، موحر تاريخ علم اللغة، مرجع سابق، ص 102

(29) Georges Mounin *Histoire de la linguistique des origines au 20^{ème} siècle*, Paris,

استحو لغريتي شاط دعوي فيولوجي أساساً، لأنه حصر اهتمامه في لغة
انفرد وفي اللغة العربية المكتوبة

إهمال بحسب المتعلق بتطور لغة العربية

تقدس اللغة لغريته كما حصل الأمر ذاته بالنسبة إلى اللغة العربية³⁰⁾

ويرى المؤلف أن للغة العربية مد بصوصها الأولى حتى انقرب العشرين لم
يصراً عليها أي نعر يذكر على عكس م حصل بالنسبة إلى اللغة اللاتينية
مستنحاً أن البهجات العربية المحلية لم يصل في يوم من الأيام لتكون تعاب
وصية قائمة في ذاتها، ومكتوبة مثلاً حصل بالنسبة إلى لغات المحلية التي
تفرعت من اللغة اللاتينية

أم جون بيور John Lyons في كتابه اللسانيات العامة مدخل إلى
اللسانيات النظرية، لصادر سنة 1968 *Linguistique generale Introduction a la*
linguistique theorique مد [ترجم إلى العربية لاروس 1970 باريس]، فعرص
في سبع صفحات تاريخ الفكر اللغوي قبل ظهور اللسانيات العامة، لم بتحو
بصير الفكر اللغوي العربي منها السطرين، ذكر فيهما المؤلف أن استحو لغريتي
أحد عن استبدال وكد له اتصال مباشر بالفكر الإغريقي لروماني في
الأندلس³¹⁾، وأن الفكر اللغوي لغريتي مأثر بالتحو لغريتي³²⁾

وبس في كتاب نشأة الفكر اللساني وتكوينه *Genese de la pensee*
linguistique لأندريه جاكوب Andre Jacob - وهو عبارة عن بصوص لسانه -
أي إشارة إلى الفكر اللغوي العربي القديم³³⁾.

وقد بعثت نظرة المؤرخين العربيين إلى الفكر اللغوي و تحوي لغريتي في
لستواب الأخيره على نحو م يحد عند كريستيفا Juka Krist va في كتابه اللغة
دلت لمجهول *Le langage cet inconnu* (1968) أو عند ألاب راي Alain Rey في

idem p 117

(30)

John Lyons. *La linguistique generale* Paris. Larousse. 1970. p 17

31

Idem. p 8

(32)

Andre Jacob *Genese de la pensee linguistique* Paris. Armand Colin. 1974

33)

النصوص التي جمعها حول نظرية لعلامه واسمعى *Theorie du signe et du sens* 1973 حيث أورد بضاً لاس سبب وقد قدمت كرسيف صورة إيجابية عن الفكر للنعوي العربي عموماً وعن لتواء العرب في الصرء ولكوفة شكل خاص

3 2 في الفكر اللساني العربي الحديث

من خلال إطلالة سريعة على الأدبيات النعوية العربية لحديثه، ومن دور بحوص في التفاصيل والحرثيات، نُشير إلى أن موقف النعويين العرب متباينه بشأن مكانة الفكر النعوي العربي فمن جهة، هناك إشادة قوية بالتراث النعوي، يقدم بحواً وبعة ومعجماً⁽³⁴⁾ إن كثيراً من النعويين العرب المحدثين يعتقدون أنه لا فرق بين النحو والنسبات سوى أن الأول قدم، وأن لثانية حديثة أما المحتوى فهو نفسه في الحالتين وكثيره هي الترسات التي تنسب هذا الموقف

ومقابل هذا الموقف الممجد لتراث النعوي العربي، نجد عدداً من الباحثين العرب على امتداد القرون لعشرين إلى اليوم، يستقدون أسس الفكر النعوي لمهجة مثم حصل بالنسبة إلى النعويين العرب المأثرين بالنسبات الوصية أمثال تمام حسان وإبراهيم أسس وعبد الرحمن أيوب على سبيل امثيين لا احصر الذين يتقدوا أسس النحو العربي من قياس وعامل وتقدير

التقد نفسه بجدة عند اللسانيين العرب لمشتغلين في طر نظرات سانية حديثة مثل النحو التويدي، الذين يعدون الفكر النعوي لقدم غير صامح بمعاصرة قصاب العربية، لأنه أصبح متجاوزاً حملة وتفصيلاً لا أن لجانب السببي في هذه لمواقف يتمثل في كون الذين لا يُميرون بين لتسبات والفكر النعوي القديم سم يُقدّمو أيّ نظور أو معارفة حديثة لمعاصرة قصاب، لعه العربية نعا للتطورات التي حصلت في الدرس النعوي الحديث ولم يتمكن لتحليل للنعوي العربي الحديث بعد من حل كثير من المشاكل التي تعسها العه العربية

أما اللسانيون العرب بمختلف اتجاهاتهم الذين يعسرون لتسبات تفكيراً نعويّاً حديثاً لا علاقه له بالفكر النعوي القديم، فإنهم سم يقدموا بدورهم أيّ

(34) مصطفى عسار اللسانيات العربية احديثة قراءة نقدية تحليلية في لأسس النظرية والمنهجية، مشوراب كلية الآداب، الدار البيضاء، عين اشو، 1998

بدر سدي حدث للاستعدادات التي وجهوها لمفكر اللعوي القديم، فضلاً عن أنهم لم يفتقدوا كُتُباً بعض مبادئ الذرس النسائي الحديث ولم يتجاوزوا في تعاملهم مع النّعة العربيّة حدود معطيات النّحو العربيّ القديم نفسها ولم يتمكّن المفكر النسائي العربيّ الحديث من خلق ثقافة لسانية حديثة فاعلة في المحيط العربيّ فكرياً واجتماعياً، على عرار ما فعل النّحو العربيّ قديماً وحديثاً، ومن ثمّ لم يتمكّن مفكر النسائيّ الحديث من مرء الخبير لمفكرٍ لهماً لدي كد وميران المفكر اللعويّ العربيّ القديم تتمتع به في ثقافة العاقّة والحاضّة

أما لمواقف المتدسّسة للّعويّين العرب امحدثين، فتجلى في كون كثير من الباحثين يُعَبِّرون موقفهم النظريّة إزاء هذا لثراث للّعويّ القديم فهم أحياناً يُهاجمونه، وأحياناً أخرى تُشيدون به، وأحياناً كثيرة يأخذون عنه مباشرة أو بكيفيّة غير مباشرة كثيراً من لمعطيات ولتحالّل يُعيدوا طرّحها بلّغة حديثة لا تخفّ كثيراً عن لغة القدماء إلا بتعديلات طمعه.

ويطلّ الانجاء الأكثر حضوراً وتعوداً في حقل الذراسات النسائيّة العربيّة الحديثة، هو ذلك اشارة لدي يُحاول التوفيق بين المفكر اللعويّ القديم والنسائيات هي إطار ما سُمّي بالقراءة، أي قراءة الثراث اللّعويّ القديم هي صوّء النظريّات النسائيّة الحديثة، وكان المفكر اللّعويّ القديم لا قيمة له، ولا يُمكنُ بقويمه أو إدراكه وفهمه، لا في إطار لجديد وبانقياس على هذ المحدد لدي هو النسائيات أكثر من هذا وذاك، نجد أنّ منهجيّة اقراءه متّعة لدى كثير من الذارسين العرب تعتبر رُتبه العلاقة بين المفكر اللّعويّ العربيّ لقديم وبين النسائيات، إذ يصبح لأؤل مبادئ شكلاً ومضموناً على لثانية، وهو ما يعني أنّ إشكاليّة تاريخ العلم وتاريخ العلوم وتاريخ المفكر يسقط دفعة واحدة، ويصبح من دون جدوى في مفكر اللّعويّ العربيّ وهذ موضوع اخر⁽³⁵⁾

(35) نظر تفاصيل المفكر لئسي العربيّ الحديث في مصطفى عبدال، النسائيات العربيّة الحديثة قراءة نقدية تحليلية في الأسس النظرية والمنهجية، مشورب كبة لأداب ادب اسضاء، عين شوق، 998. وكذلك حافظ إسماعيلي علوي النسائيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، دار لكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2009

الفصل الخامس

اللغويات التوفيقية

تقديم

في ضوء لتوصحات الشافعية المتعنتة بإشكاليته التاريخ لمفكر «إنساني»، سوء في إطار تدرج العلوم أو في إطار للتساويات وحدها، يمكن أن يقدم لأن نظرة عميقة عن المسار الذي قطعه الفكر للوعي منذ المحاولات الأولى «إنسي» حتمت بها ذكوة حصاره للإنسانية لا ينبغي الأمر بسرد رمزي سلسلي مبيء بالتواريخ وأسماء المصادر والأعلام والآراء، والصور «اللعونة» القديمة، وإنما نظرة عميقة تتجاوز حدود الثقافات الدعوية، وتهتم بسمات والخصائص العميقة لمفكر الوعي «إنساني»، بعض النظر عن مصدر لأفكار الدعوة المعروضة، وضعه محيطها الثقافي والاجتماعي إلى تاريخ الفكر للوعي عبر مراحلها العديدة معكس بحلاء ما يلي

لا تنفرد من لاهتمام بالظواهر الملاحظة معانيه إلى الاهتمام بما هو أقل ظهوراً

لا ينقل من دراسة لظواهر المسئلة إلى الظواهر المعقّدة

لتحول من الاهتمام بمبدأ المعصر إلى لاهتمام بمبدأ المجموعات وعناصرها

لتحول من الوصف المباشر للمعطيات القائمة على لملاحظته إلى التفسير لقائم على فرصاته عمقه

وتبعاً لما سبق، ليس تاريخ الفكر اللغوي سرداً نظرياً يعنى نموّ الفكر العلميّ تطوراً طبيعياً للأفكار والتصورات المعرفية من الحس إلى لأحسن أو من النقص إلى الكامل أو من السيط إلى المركّب في هذا السياق، يمكن أن تُقسم مراحل الفكر اللغويّ إلى المراحل التالية⁽¹⁾

المرحلة التوفيقية.

المرحلة المقارنة التاريخية

- المرحلة الوصفية

المرحلة التفسيرية

بصفة عامة، يمكن القول إنّ المراحل التوفيقية والمقارنة التاريخية التي ميّنتي لكلام مفصلاً عنها في المصطلح اللاحقة بعد سابقه لتبديت بمعداه الحديث، فيما تُعدّ المرحلتان الوصفية والتفسيرية من صميم الممارسة اللسانية كما هو متعارف عليها بين المدارس اللسانية بمختلف مشاربها وتوجهاتها.

تُعى المرحلة الوصفية أو ما تُعرف بالسبب الوصفية التي بدأت مع سوسير، بدراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها باعتبارها بنية مستقلة وتُسهدف هذه المرحلة دراسة الظواهر اللغوية بعمقها الأساس المهيمنة التالية

ملاحظه أكبر عند ممكن من الوقوع اللغوية ملاحظة موضوعية

- جميع الوقوع وتصميمها بنية تنظيمها وترتيبها في مفولات وأقسام

متجسدة

وصف الوحدات اللغوية لدالة ولميزة

دراسة لعلاقات لفظة بين مختلف الوحدات في مختلف

المستويات

(1) تصور معبر في التعامل مع الفكر اللغوي يمكن لاطلاع على مقدمة أسريه جاكوب في كتابه

لبحث عن الثبوت الممكن وتحديد القوانين العامة (أساس السيات)⁽²⁾
 وفد لعب سويسر ومن جاء بعده من اللسانيين السويين أوروبين وأميركيين
 دوراً طليعياً في رساء دعائم المرحلة الوصفية.
 أما المرحلة التفسيرية التي دشها نشومسكي انداء من سنة 1957 في كتابه
 لسيات التركيبية *Structures syntaxiques* فتتجاوز الملاحظة و لتصنيف والوصف
 مستهدفة تفسير الظواهر في إطار فرصيات عامة لا تتعنى بلسان محدد، وإنما
 بال لغة اشترية⁽³⁾

1. المرحلة التوفيقية

1 1 في التسمية والتحديد الزمني

تحدد المرحلة لتوفيقية زمنياً في المرة الممتدة من القرن العاشر قبل
 ميلاد إلى حدود منتصف القرن الثامن عشر، لتشمل بذلك بحسب لوثاق
 وانحصرت بموافره مجمل المساهمات اللغوية التي عرفتها أقدم انحصارات
 لإسبانية بدءاً بسومريين والأكديين والمصريين واليهود مروراً باليونان ولعرب ثم
 بقرون لوسطى فمرحلة النهضة لأوروبية الحديثة

يطلق صفة التوفيقية على هذه المرحلة؛ لأنها كانت في نظري، توفق بين
 بحث في اللغة وقصص فكرية أخرى فلم يكن لبحث اللغوي فيها مستهدفاً
 بانه، وإنما كان يعادى أخرى قد تقترب من اللغة وقد تتعد عنها ومرة ذلك؛
 أنه كان ينظر إلى اللغة بوصفها جزءاً أساسياً ومركباً في المحيط السياسي
 ولثقافي والاجتماعي. إن العمل للساني حقيقه مثم إن بحاره قبل بداية القرن
 التاسع عشر، كان إما مكرساً لحلّ المشكلات العملية للغة في مجتمع بعينه،
 وإما أنه كان يحاراً قد تم في إطار هموم فلسفية أكثر اتساعاً، أي هموم غير

(2) EUGÈNE ARCAIM *Principes de linguistique appliquée*. Paris, Payot, 1972 1968
 p 21

(3) نعر كتاب في اللسانيات التوليدية بمساعدة محيط إسماعيلي عوي و محمد انملاح
 (قد طبع)

لسانته باحتصار، يمكن القول إنه قبل القرن التاسع عشر، لم يكن لسانيات وحوود بوصفها مجالا معرفيا متميزاً له منهجته العملية ونظريته العامة، برأسه لأساس⁴ وتعدد العدايات والأهداف المتنوعة من درسه اللغة في الفكر اللغوي التوفيقي بسبب متفاوتة بحسب اللغات؛ وطسعه كل ثقافة على حدة والحوام المؤثرة فيها ومن هذه العدايات سكر

الغاية الدينية؛

الغاية الفلسفية

الغاية الفيلولوجية

2. الغايات

2 1 الغاية الدينية

بعد ليهود من أقدم الأمم التي بحث فصايًا للغة لغة دسية⁽⁴⁾ وقد حصل هذا ابتداءً من القرن الخامس قبل الميلاد فقد كان ليهود يقدرون بعثهم ويمدسونها باعتبارها لغة أول ديانة على الأرض وللغة لتسكريدية لغة كتابهم المقدس (العهدا) هي في اعتقادهم من صنع الإله «إيدرا» الذي أعطى كل الكائنات والأشياء أسماء خاصة بها وترتب على هذا الاستعمال الشعائري للغة الهدية حمله من لمشاكل اللغوية، فقد كانت بصوص الصدا تنقل بكمية شهوة من جعلها يعرف عبر تاريخها الطويل تعبيرات هامة وصلت إلى درجة ظهور عدة هجات محلته تختلف فيما بينها بسبب متفاوتة عن اللغة التسكريدية لأولى التي انحدرت منها، هذا كان هدف لتجاه يهود في معالجة لغتهم اللغوية للتسكريدية، لبحث في الوسائل العملية لكفيلة بالحفاظ على كتابهم المقدس

(4) بس ديب في الثقافة اللغوية العربية الحديثة، بحسب علمي الموضوع، كتاب يورج بليث اللغوي عبد يهود إلا مؤلف، المرحوم أحمد مختار عمر البحث اللغوي عبد ليهود وأثره على اللغويين العرب، بيروت، 1972، وهو على أهنية لا يكفي للاطلاع على التراث اللغوي ليهودي، في حين يتوفر في مكتبات الإنكيريّة والأمانة عدد من المؤلفات القيمة ذات المستوى العلمي لرفع لي تحدثت عن هذه الحقبة بكثير من تعصيل ولغة، وبكثير من الإعجاب والتقدير كذلك

العبد Veda من اللحن و لتحرّف الضوئي، أثناء التراسم (القرء الجماعية) في
 امعاند، إذ لا تكون انطعوس الهدية تامة إلا بالقراءة لجماعة للتصّر بدسي
 قراءة سليمة «وقد قدّم حياة الهند بصالح عاقه لمقارئ كي يتمكن من تصحيح
 نطقه، ووضعوا شروطاً لجودة القراءة تمثل في صحة أعضاء النطق، وسلامه
 شفتين و لأسن و صفاء الحنجرة، ثم هدوء المراح وعدم الاضطراب، والتّباعد
 في حذف لأصوات، و لمعاله في السر و لحظ في النسيم، وأخيراً التخلص من
 بعض المعدات الكلامية القبيحة؛ وتمييز بداية الحديث من نهايته»⁽⁵⁾ هذه
 الأهداف الدينيّة تفسّر ولا شك؛ العناية الفائقة التي أولاها للعوّيون يهود
 للكتاب الضوئي في تداولهم للغة التّسكريتية وتظهر الفهم لعمدية لبحث
 للعوّيون الهندي من الأجددة التّسكريتية التي شبه إلى حد بعيد لكتبه الضوئية
 من حيث قدرتها بمهنية على مطابقة النطق المرعوب فيه بطريقة دقيقة مدعية⁽⁶⁾
 وقد سعى العمل اللعويّ الهنديّ فتمت مع العام بابيني Panini (انقر لحامس قبل
 الميلاد أشهر بحاه الهند على الإطلاق) وقد حدّد بابيني في كتابه، المعروف
 بالمشتر لأه دو ثمانية أجزاء، معايير اللغة التّسكريتية، ووصف كل مكوثاتها
 بدقة متناهية وغير مسوّقه، في إطار تصور سفي يشبه إلى حدّ كسر المقارنة
 سيوتّة الحديثه، وقد أثار تشابه العديد من التّسايبين التّسويين أنفسهم وفي
 مدمتهم بلومفيلد الذي اعتر بحو بابيني أحد أكبر المعالم على دكاء لإسابة⁽⁷⁾
 وتضمن عمله ما يهاه الـ 4000 قاعدة بحويه رُتبت بشكل مسق بحيث لا تفهم
 القاعدة الواحدة إلا بالرجوع إلى سابقتها ونشرت لغة كتابة هذه القواعد
 بالصورّة واستحريد مما جعلها شبه قواعد الحساب⁽⁸⁾ ولكتاب بابيني شروح
 عدده أشهره شرح pantajan المعروف بأعظم الشروح. وبصفة عامة كان الدّرس
 للعوّيون الهنديّ ذو عاية دينيّة سعى إلى بحفيها بكيفية تعليميّة نزوم التّقيين سموحر
 وبدقة في تعبير

(5) أحمد محار عمر، لبحث للعوّيون عبد اليهود، ص 47

(6) مرجع لسدي، ص 22-27

(7) L Bloomfield *Le langage* p 16.

(8) جورج مون، تاريخ علم اللغة، ص 64 و نظر في كتاب أحمد محار عمر، ص 35-36

مقتطعات موجهة من طراء انعويين لمحدثين على عمل بابيني

وجدت العناية الدينية حاضرة أيضاً في الفكر لتعويّ لعربي فقد شكّل القرآن الكريم - كما هو معروف - منطقاً حقيقياً للدراسات التحويّة واللّغويّة عند المسلمين وكان يحوف على القرآن الكريم من جنس شعوب جديدة، بعهد باللغة العربيّة، والعرب المقيمين بالحواسر الإسلاميّة الجديدة دفعاً قوياً للتفكير مليّاً في كل ما يمكن أن يُحافظ على سلامة تلاوة القرآن ومن خلاله لمحافظة على النّعمة العربيّة. وحتى بعد قيام الدّولة الإسلاميّة وشأة لمجتمع العربيّ الجديد، ظلّ النّصر القرآنيّ مخوراً لا محيد عنه لكل الأبحاث اللّغويّة العربيّة لقد كانت لعبة لتهاثيّة من وراء لحن في اللّغة العربيّة المهم لصحيح للقرآن الكريم بوصفه كتاب تشريع ديني وديويّ وعُدّ الحث في اللّغة العربيّة ونحوه مذحلاً للعلوم الدّينيّة والشّرعيّة من فقه وأصول وتفسير للقرآن وأحاديث النبويّ وعمره من العلوم ومن العلماء السّعويّين المسلمين من عدّ الحث في اللّغة العربيّة وحيّاً دينيّاً يقول أبو منصور الشعبي (350 430 هـ) في فقه اللّغة⁽⁹⁾ «من أحث الله تعالى أحثّ رسوله محمدٌ صلى الله عليه وسلم، ومن أحثّ لرسول العربيّ أحثّ العرب، ومن أحثّ العرب أحثّ العربيّة التي بها برز أفضل الكتب على أفضل المعجم والعرب، ومن أحثّ العربيّة عُني بها، وثابر عليها، وصرف همّته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآده حسن سريرة فيه، اعتقد أنّ محمدًا صلى الله عليه وسلم خير لرسول، والإسلام خير لدين، والعرب خير للأمم، والعربيّة خير اللّغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من النّبيّة، يد هي أداة العلم ومفتاح الشّفقة في لتيسر وسبب إصلاح المعاش والمعاد»

وتحصر لعبة والدوافع نفسها في الحثّ اللّغويّ إنّما انحصرت الأوروبيّة، حيث شكّلت النّعمة اللّاتنيّة بصفتها لغة الكسبة مخور عبادة السّعويّين واهتمامهم وكان الهدف من وراء يتّرس لتحويّ واللّغويّ في هذه امرة تعليم النّعمة اللّاتنيّة اندي كان يُعدّ واجباً دينيّاً وكما هو شأن بالنّسبة إلى الثّقافة العربيّة التي ظلّت

(9) أبو منصور الشعبي، فقه اللّغة وسرّ العربيّة، حققه ورّنه ووضع فهرسه، مصطفى السّيف ودرهم الأبدي وعدد لمصطفي شلبي، مطبعة مصطفى بيبي لحبي وأولاده، القاهرة، ط3 ط1 938،

مرسطة بالنص القرآني باعتباره مصدراً أوياً بمعطيات اللغوية للمثناة للغة
عبرته، فإنّ الدرس اللغويّ في أوردون القرون الوسطى عرف لوضع نفسه من
خلال عوده اللغويين والتّحاة المسمّره لخصوصيّة اللّغة القديمة و لا مستاد لها
دعم وهو عد لتحوّله والتّعوّث الممتّحة ومن الأمثلة بي تروي في هذا لسيو
أنّ رئيس دير فرنسيّ في القرن التاسع، كان حرصاً على أخذ لأمانة شي
يسعملها في محاصره عن القواعد من اكتاب المقدّس حتى يتفادى اشتباه
رحاب لدين⁽¹⁰⁾

2 2 العاية الفلسفية

قد بنو لأول وهذه أنّ التراث الفكريّ الذي حلّفه الإغريق لا يصمّر
مكراً عويّاً قائماً في دته هذا لاستتاح صحيح إلى حدّ ما فتمكبر اللغويّ
عد ليونان لم ينسخ قط عن الفكر الفلسفيّ الذي احواه ووحيه، فقد كانت
لغة من لبحث في اللغة خدمة المصداق الفلسفيّة، المتمثلة في طبيعة لأشياء،
مما جعل لبحث في اللغة عموماً وفي اللغة ليونانية خصوصاً، حرة غير منحص
عن بحث في الميديرق و لمطلق والحطه و لجدد وحتى الأدب وكان تعليم
لغة الإغريقيّة والرومانيّة مرتبطاً بتدريس فون الحطه و لكنانه لتدبير لحياة
الساسة والاحمائيّة في كريت الحواضر اليونانيّة والرومانيّة.

ويمكن القول مع بلومفيلد بأنّ الفكر اليونانيّ يُقدّم ب أفضل معرفة عن
للغويات التقليدية، بالرّغم من أن أوسى لكتابات شخويّة لتي وصلت إلى من
يونان تعود إلى لقرن الثاني قبل الميلاد مع ديونوس دو تراكس Dionysius de
Thrax (توفي حوالي سنة 90 قبل الميلاد) وأبولينيوس ديسكوبوس Appolinus
Dyscolus في لقرن الثاني بعد ميلاد⁽¹¹⁾ فيلبي دو تر كس صاحب كتاب

(10) روبر، ماجر تاريخ علم اللغة، مرجع سابق، ص 125 وبعد هذا لكتاب في نظرون من
أفضل ما ألف عن المبحث للغة عند الإغريق و صوحاً وعمفاً نظر من ص 90-9
كما يمكن الاطلاع على ما ورد عند أحمد مومن، اللسانيات لشاة والنظور، ديون
لمصبرعات الجامعية، بجوائز 2002 فبه عرص معصل عن لدر سات المعوّة عند
يهود و يهود و يهود و لعرب، ص 62-10 إلى عصر لتهصه وما بعد، ص 10-62

Leonard Bloomfield *Le Langage*, p. 9

(11)

ولمعرفة على آثار هذا الشخويّ اليونانيّ لدر يمكن الاطلاع على لكتاب لذي =

Techne grammaticke يرجع الفصل في وضع معظم المصطلحات النحوية واللغوية التي استعملها العرب في نحوه التقليدي لوصف اللغات اللاتينية والإغريقية لاحقاً وهي المصطلحات التي تم نقلها إلى اللغات الأوروبية لحية في عصر النهضة وما بعدها

واحققة أن محاورات أفلاطون (427-347 ق م) وكُتب أرسطو (384-322 ق م) في المنطق والحكمة والشعرية (شعرية لأدب) وفلسفة الرواقيين Stoiciens وجذر السوفسطائيين Sophistes تُبنى بوصف مدى ارتباط المباحث اللغوية عند الإغريق بالمباحث الفلسفية التي حاصو فيها وبها عُرفوا واشتهروا وكانت الفلسفة اليونانية عند هؤلاء تشمل مجالات أوسع وأشمل مما نقيته كلمة «فلسفة» في عصر الحاضر، إذ كنت تتضمن البحث في الحدث والعرض والرياضيات والأخلاق والسياسة والمنطق والميتافيزيق والتاريخ الطبيعي وغيرها من المعارف ففكرة الأحاس (genre) التي باتت أولته في كل التحليلات النحوية اللاحقة والمتمثلة في التمييز بين المدكر والمؤنث تعود في أصلها إلى الفيلسوف بيروناغوراس كما نسب إليه راء نحويته أخرى منها تحديد معاني لجمال من إثبات وأمر وبهي وستهام ونمى إلح⁽²⁾

إن نظريته لمعرفة عند أفلاطون (Théorie de la connaissance) كما تُحسده محاوره كراتيلوس Cratyl⁽¹³⁾ تناقض فصايا نرئسط بحملاً بمعرفة لأشياء

Emile Egger *Apollinos Dyscole Essai sur l'histoire des theories grammaticales dans l'Antiquité* Paris. A. Durant Libraire (1854), p 41 et suivantes.

(12) روبر، موجز تاريخ علم اللغة، مرجع سابق، ص 58 وما بعدها

(13) Platon *Cratyle* traduit et noté par E. Chambry, Paris, Garnier Flammarion. 1967 p 430 et suivantes.

يمكن الرجوع إلى هذه المحاورات باللغة العربية ضمن المصادر التالية
أفلاطون محاوره كراتيلوس (في فلسفه اللغة)، ترجمها وهدم لها بدرسه بحبيبه
دكتور عرمي طه، السد أحمد، منشور ب ورره الثقافة، عمان، 1999 (20 صفحه)
أفلاطون محاوره بيروناغوراس، (في السوفسطائيين ولسه) ترجمه عرب قري، د.
فهد بطاعه راسر واتوري، القاهرة، 200، (183 صفحه)
أفلاطون محاوره جورجياس، ترجمها عن انفرنسه محمد حسن طراد، رجمها علي
سامي لشار، الهيئة المصريه العامة للكتاب، القاهرة، 1970

وذكر كها في العالم الخارجيّ في إطار إشكالات علاقة اللّغة بالمفكر وقد حاول أفلاطون من خلال لمحاورة الإحانة عن جُمْلَةٍ من تساؤلات فلسفته المتعمّقة سوع العلاقة القائمة بين لفظ والمعنى هل هي طبيعية أم عسائطية؟ وعمل أفلاطون في هذه المحاورة وفي غيرها على تنقيح آراء سالفه من فلاسفة اليونان (سقراط وبروتاغوراس) والدفع بها إلى مستوى عاب من التحديد والضبط وإلى فلافون سبب التمييز بين لحمل الفعلية ولحمل الاسمية والتمييز بين الأسماء والأفعال وذلك بالنظر إلى طبيعة كل منهما وما يدلّان عليه من حدث أو صفة ودرس أفلاطون كذلك قصصاً لعويّة عدّة تتعلق بالانقراض للعويّ والتدّحلّ العويّ ويطوّر دلالة كلمات ومعانيها وفي أعمام أفلاطون أيضاً أمثلة للعديد من العصاب اللّغويّة التي ناقشها فلاسفة اليونان في حصص بحوث لفلسفة لئوبديّة وللمتعمّقة بأصل اللّغات وكيف وصلت إلينا وأسحت في ظراد الظواهر اللّغويّة وشذوذها⁽¹⁴⁾ وننتقي بعض هذه الإشكالات الفلسفية في كثير من جوانبها مع لعدد من القضايا التي بدولها اللّسانيّون محدثون في إطار الدّرس اللّسانيّ وللسمبائيّ حول العلامة اللّسانية *Signe linguistique* ومع بعض فصاي الدّلالة عمومًا والدّلالة المعرفية بصفة خاصّة⁽¹⁵⁾

ويُعدّ ما قام به أرسطو تطويراً لما قدّمه أفلاطون وعبره من أفكار عامّة حول لّغه وفصاهاها إنّ مَطوّر أرسطو في لواقع نحو خاصّ بصفة لإعريفية والمعارفة المنطقية فلسفته للّغة عند أرسطو بادية بوضوح فهو في منظمه المشهور تُعرّف الاسم بأنه اللفظ الذي لا يدّحلّ برمن في مدلوله، ولا يدلّ جزء منه مستقلاً عن الأجزاء الأخرى، ولا اسم لا يوصف بالصدق أو الكذب إلا بدّ أسد ومعوم أن عبارة لصدق ولكذب تستعمل في لمطق ومحدلاته وليس في تدّرسه تحوته وأرسطو حين يتكلّم عن لإنات ولتفي، فهو يسوهم من وجهة منطقية لا علاقة بها بأنواع النحو المعروفة⁽¹⁶⁾ واهتمام أرسطو بمعرفته الأشياء على الطريفه لفلسفية دفعه إلى البحث عموم في كيوية المفاهيم اللّغويّة

Platon, *Cratyle* traduit et noté par E. Chambry

(4)

Alain Rey, *Théorie du signe et du sens*, tome 1, Klincksieck, Paris, 1973

(15)

(16) بدم حسّان، مذهب البحث في للغة، دار لّغاه، تدّرس لّغاه، 1974-1957.

فقد أقام أرسطو تفكيره في اللغة على أساس فلسفي يحكمه مبدأ أنما عن فعاليتها التصورية والمهجنة في فكر أرسطو الفلسفي والمطقي، هما التعريف واللغة؛ مما سمح به بإعادة النظر في كثير من المفاهيم التي بداولها أسلافه اليونان. فمبدأ التعريف يسمح بتحديد ماهية الأشياء، بينما يمكن مبدأ اللغة من الوقوف على العلل المؤثرة فيها (تعرف الأشياء بعلمها). وتميز البحث اللغوي عند أرسطو كحدث بالتحني عن الحوص في الكثير من القضايا اللغوية ذات الطابع العام التي بحث فيها أفلاطون ومنها الاشتقاق اللغوي وأصل اللغات وتنوع أصوات معاني الكلمات ودلالاتها.

ومن القضايا اللغوية الهامة التي عرفها الفكر الفلسفي ليونيني «المواجهة بين اقتنائين بطبيعته العلاقة بين الكلمة ومعناها» لقد كان الفلاسفة الطبيعيون، ومنهم أفلاطون⁽⁷⁾ يعتقدون أن شكل الكلمات يمكنه أن يدلنا على أصلها وعلى معاني الحقيقية، ذلك أن اللغة انحدرت من أصل يحكمه قوانين ثابتة لا تتغير. إن اللغة منطقية وعقلانية، لذلك فإن العلاقة بين الكلمات وما تدل عليه لا يمكنها أن تأتي إلا على هذا النموذج، مما يُبعد كل اعتباطية في تحديد العلاقة بين الكلمات وما تدل عليه لا يمكن دائماً تتوصل إلى معرفة حقيقة لعلاقة بين الكلمات والأشياء لاسيما في عالم الحواس، واعتبار اللغة جزءاً من العالم لمثالي في نظر أفلاطون إن كلمات اللغة وصعب فلياً لتلني حاجات لإنسان الضرورية في التواصل والاتصال وكان الأبيقوريون يعتبرون اللغة ملكة شبه عريضة عن العقل، شبيهة إلى حد ما بما يكون لدى الحيوان عند ولادته تشبه حاجات الحياة⁽⁸⁾ ودافع أتروفتون بدورهم عن طبيعة اللغة للإنسانية، قائدين إن الأصل الطبيعي للمفردات اللغوية هو كونها محاكاة للأصوات ورمزاً لها وقد جعلوا من الألفاظ طوب اسماء المولد والحلاق لجميع كلمات اللغة⁽⁹⁾ وأما فلاسفة الاصطلاحيون فكانوا يرون أن لعلاقة بين الكلمة ودلالاتها لا بعدو أن يكون

(17) حيث يذهب أفلاطون إلى قول بأن «لا اسم محاكاة لشيء» (Cratylé, p 431 p 452 et p 457)

(18) Emile Egger Apollinos Dyscole Essai sur l'histoire des theories grammaticales dans l'Antiquité, p 62

Idem. p 62

(19)

محزّد اصطلاح بين مستعملي لغة معينة وتبني أرسطو القوالب باصطلاحية اللغة معبراً أن اللغة اصطلاح ونعاقد اجتماعي قائم على العرف وتوافق²⁰

ووقف الفيلسوف أبيقور Epicure (341-270 ق م) موقفاً وسطاً بين لرأيين السابقين معتبراً أن صبح الأشكال اللغوية نشأت أول الأمر طبيعياً، ثم تعيّرت لاحقاً عن طريق العرف والاصطلاح

وتحدثت السلاعة مع استوفسطائين في القرن الخامس قبل الميلاد بعداً دعوتاً متميّزاً حيث تمت دراسة السلاعة وقضاياها من منظور عملي، كيميّة احترافية جعلت منها وسيلة إجرائية وفعّالة للإقناع والتأثير الفكري والاجتماعي والسياسي في الممارس السياسية والأوساط الشعبية وقد جاء على لسان جورجياس في محاوره أفلاطون لثي يحمل اسمه وموضوعها «البيان والحطه والدور الذي يقوم به البلاغي في تحقيق البيان باعتباره من الأقوال» «إني أعني القدرة على إقناع المرء بواسطة لقصة في محاكمهم والشروح في مجلسهم وفي الجمعية الشعبية وكذلك في كل اجتماع يجتمع فيه المواطنون، وتستطيع بهذه القدرة أن تسحر كلاً من الطبيب ومدرّب الأنعام أم بالنسبة لرحل الأعمال الشهير سيدرك الناس أنه لا يكدر من أصل نفسه، بل من أجل العير، من أجل أنت الذي تعرف كيف تتكلم وكيف تقنع بجمهير»⁽²¹⁾ وقد وصل اهتمام اليونان بهذا الصّرف من المعرفة اللغوية أنهم كانوا يؤدّون مبالغ مالية مرتفعة لاكتساب البيان وتعلّمه، السان الذي هو عامل إقناع والقدرة على توليده في النفوس⁽²²⁾ وبهذا أصبح «لستوفسطائي عابداً في جعل الشخص مدهراً في الكلام»⁽²³⁾ ونعزّد هذه الفترة لحقة ذهبيّة بمباحث للسلاعة والحطية وما ارتبط بها من لأساليب الاحتجاجية كالبيان والاستدلال والبرهان⁽²⁴⁾

J Lyons. *Linguistique générale* p 9-10

(20)

(21) أفلاطون محاوره جورجياس، ص 40

(22) لمرجع لسان، ص 4

(23) أفلاطون محاوره مروتاهوراس، ص 70

(24) انظر محاوره جورجياس Gorgias ص 164-284 المصدر المشار إليه سابقاً باللغة الفرنسية،

واندي يضم محاورات أفلاطون كمنه في محند، ص 164-284

وكان للفلسفة الرواقية وعلاصمها (أسس هذه الفلسفة الفيلسوف رسوب في أثينا سنة 308 ق م) دور كبير في تنمية البحث المنطقي وتطويره وقد عُدَّهم روسر⁽²⁵⁾ من أكثر المدرّسين أهميّة في تاريخ العلوم المنطوقة عمومًا، وفي الفكر ليوناني بصفة خاصّة. وحضّر الرواقيون اللغة بكتابات ودراسات مستقّلة، وأصبحت اسمعالم ومنظمة تنظيمًا لم يُنسَوا إليه. وبمضل أعمالهم حقّقت الدراسة المنطوقية نوعًا من الاستقلال والتميّز داخل الحقل الفلسفي، وأصبحت بحث مكثف مركّزة في التسق الفلسفي عمومًا وفي الفلسفة الرواقية خصوصًا ومن أرائهم المنطوقية

تفسيرهم الانطباعي لعميّة المنع عند الفرد في بدايه الأمر يتم الإدراك عن طريق الانطباع، وبعد ذلك يعتر العقل بالكلمات مسفيدة من هذه التجربة الناشئة عن الانطباع. وكلّ الأشياء يمكن إدراكها عن طريق الدراسة الجديسة، وبالتالي يتعيّن أن تبدأ دراسة الفلسفة من التوجهة الصحيحة وهي دراسة الحدل في جانب الذي يبحث في الكلام⁽²⁶⁾

فولهم شائبة الضسعة والمسي وكذلك ممييرهم المواضيع بين المذال والمدلول والمدلول عليه وأقول باعتبارية العلاقة بين المذال والمدلول بشكل قريب جدًا مما قال به دو سوسير في بدايه القرن العشرين

تطوير تفسم أرسطو الكلمة إلى سعة أقسام، فقد أقام الرواقيون توصيح تصنيف أرسطو للكلمات والمقولات المنطوقية بوصيحًا جعلها أكثر دقة وصطًا وديت في اتجاهين

لزيادة في عدد أقسام الكلمات

نقدم تعريفات أكثر دقة لهذه لأقسام وإضافة مقولات منطوقية تعطي حاد من الضرف وتعطي أيضًا جزء من تركيب تلك لأقسام بالكلمة

- وضع مفهوم الحالة الإعرابية، وبفسيما إلى حالات تعنى بالأسماء وأخرى بالأفعال وبعضها الآخر بالضصت ومن سدرج تحتها، كما أنهم جعلوا

(25) روسر، موجز تاريخ علم اللغة، مرجع سابق، ص 41

(26) مرجع سابق، ص 42

بحاجة الإعرابية مميّزاً فاصلاً بين الأسماء والأفعال ونُسب إلى الزواقيين جميع التفرعات لمتعلقة بالأفعال ونفسها إلى أفعال ناقصة وغير ناقصة وأفعال مبنية للمعلوم وأخرى للمجهول وأفعال لازمة وأخرى متعدية⁽²⁷⁾

وجملاً أقام اليونان وبمذهب الرومان صرح الدراسات اللغوية بتقليدية التي طنت وائمة على لتصور واتّهج نفسها في المفاهيم والتجديد في لعصور اللاحقة، فكان أن قسموه إلى نحو وصرف واشتقاق وصناعة معجمية ودراسة أساليب وبلاغة وما رلب هذه الفروع تفصيلها وحرثاتها متعة إلى لوم في درسه جلّ اللغات لعالمته وتعليمها

و بدراسات النوعية ليونته رغم حصص بصورتها ونعتد موضوعاتها وبشكالاتها، وتنوع مصدرها الفكرية، لم تتجاوز مجال اسحت في سياات للسان اليوناني، وناثني، لم يتم التأمل في سياات ألسن أخرى، أو في الطسعة العامة للغة بشرية بهذه مميّزات لم تمكن الثقافة اليونانية من المساعدة في قيام تفكير عام حول لغة⁽²⁸⁾

2 3 العاية الفيلولوجية⁽²⁹⁾

تجنى هذه العاية عند كثير من نعلماء اللغويين القدماء الذين كانوا يرومون من وراء السحت في «نعة القديمة دراسة لتصوص لقديمة بمختلف أنواعها و سحتق من مصدرها للكشف عن حقائق معرفية أخرى لغوية وتاريخية وأدبية وغيرها وللوقوف على طبيعة السحت بمبولوجي ندي ستمر حتى عهد غير بعد من، تتعن توصيح لإطار المعرفي العام لذي ساهم في برور وتطور هد النوع من لشط اللغوي لهام والمعد والمختلف شكلاً ومضموناً عن لسحت انساني حديث بمعد نديق

نقد مميّز اوضع لتعوي اليوناني القديم بتعدد بهجاته بمحلّة سيجة نصا

(27) لمرجع لسبوي، ص 62

(28) I. Bloomfield *Le langage*, p 11

(29) سيمود إلى الحديث عن لعلاقة بين اللسانيات ولغيدولوجيا في الفصل شامن للسانيات تحديد المصططح والمحد

اليونان بالشعوب المستعمرة في كل من آسيا ومصر واحتكاك المجتمع اليوناني بها سياسياً وجارياً وتحتوي اللغة اليونانية نفسها على العديد من المفردات ذات أصول لأجنبية وعرف المجتمع اليوناني أفراداً يتكلمون لغة أخرى إضافة إلى لغتهم الأصلية ولا تقدم لنا الأدب اليونانية لقديمة ما يساعدنا على فهم مدى اهتمام الإغريق باللغات الأجنبية، سوى كلمة *Barbare* التي احتفظت بها اللغة اليونانية نفسها، وهي الكلمة التي تدل في اللغة اليونانية على كل شعوب التي كانت تتكلم لغة غير مفهومة، أي كل لغة أخرى غير اللغة اليونانية.

هذا لتعدد اللهجات اليونانية وحدثت الحروب التي حاصها اليونان ضد الشعوب الأجنبية، سواء دفاعاً عن بلادهم أو رغبة في التوسع. ورغم اعتراف المجتمع والثقافة اليونانيين بالتعدد اللغوي وتنوعه، فقد أصبحت لغة أثينا للغة النموذجية المشتركة *Koine*، لأنها كانت وحدها لغة لتعامل في مرافق الإدارة ولتجاره والتعليم، مقلصه بذلك دور اللهجات المحلية التي كانت في معظمها لهجات منطوقة فقط.

وعملت المصوحات التي قادها الإسكندر المقدوني (أقرن 3 ق م) على نشر اللغة اليونانية خارج محيطها الأصلي ونوحتها وساهم اتوسع العسكري وما صاحبه من تنقل للعادات الاجتماعية وحنكاك لليونان شعوب أخرى في معرض اللغة اليونانية لتعبراب هامة من قبل المتكلمين الأحدث هذا الوضع جعل من اللغة اليونانية موضوعاً للتعليم بحكم أنها لغة لإدارة الحاكمة وبطقت الرأفة في المركز المستعمرة الجديدة في كل من آسيا ومصر وتأمنت لهذا العرض مراكز علمية جديدة أهمها بروجامون في آسيا والإسكندرية في مصر فتم بناء لمدارس وإنشاء المكتبات، واستقر العلماء بهذه الحواضر لفكرنة بجدسه بدرسون يونانية ويعملون على نشرها ومدرسة الإسكندرية التي يسب إليها أول شط فلولوحي معظم أصمت مجموعته من العلماء ما بين عشرين وثلاثين جبلاً من العلماء، واستمرت نسعة قرون، كلها عطاء معرفي وعلمي يشهد لعصر الحديث بعفوية المنتمين إليها ولم تكن المدرسة مؤسسة رسمية ولا حرة ولا مكنه وطنه أو متحصناً، ولكنها كانت مؤسسة حرة ولقاء لعلماء كانوا يشتغلون في

لمؤسّسات العمومية التي أسّسها بطليموس Les Ptolèmes من أجلهم⁽³⁰⁾ وشكّل النشاط الفكري (لشاسبي في مطلقته) المصاحب لما عُرف بالهيلينية *Hellenisme* (بشر الثقافة اليونانية) لبداية الفعلية للبحث الفيلولوجي

وتصحّ لدى كثير من المتعلّمين اليونان «التوعي لمكر بأن لغة لقصاصد لهوميرية في الإلهادة و لأوديسا (وهما الملحمة التي يقلّ بهما ألفا حواشي لقرب السّابع قبل الميلاد) ثم بعد تتطابق مع أي لهجة من لهجات ليونانية في ذلك العصر»⁽³¹⁾. وكان لمحمّتي هومروس أهميّة كبرى في التّظلم التّعليمي والفكري اليوناني القديم، إذ حظيتا باحترام اتّحد لفكرية والاجتماعية في اليونان، وكانت تُقدّم كمودجين للغة ليونانية وأدبها لراقيس، وللأحلاق السّنية والقيم المثلى، ممّا جعل الاهتمام بهذه القصائد قد بدأ في أثينا في القرن السادس قبل الميلاد⁽³²⁾

وفي هذا السّياق، عملت مدرسة الإسكندرية في القرن الثاني قبل الميلاد على إعادة نشر نصوص الإلهادة ولأوديسا لهوميروس، الفنّين أصبحنا «معويّة» صغرتي المال بالنّسبة إلى الأجيال اللاحقة، نظراً إلى التطور والتّغيير المتدرّج عرفتهما بسبب النّزعة اليونانية وأصبحت نصوص المحمّين في حاحه إلى شروح بوضح الوفّاح لتاريخية واجتماعية والحصارية التي تحدث عنها الملحمة وأشهر فلولوحيّ الإسكندرية على الإطلاق هو أريستارخ (Aristarque 216 ق م) 44 ق م) تلميذ بر كس وعكست لدرسات لنعويّة هي كل من برجامون والإسكندرية حرّاً كبيراً من لقصايا لنعويّة التي مدارسها ليونان ولاسيّما ما يتعلّق بالنّقد الحادّ - لكنه قديم في الأدوات اليونانية - بين مصري لقيس في لغة ولمدافع عن لشدود فيها. فقد كان لعويو لإسكندرية فيسيين بامتداد، بينما كان لنعويون في برجامون من دعاة لشدود النّعويّ وترجع طبيعة الحدس بين الفيسييين والشدوديين إلى اختلاف وجهة نظر الفلسفة حول إدراك العالم

(30) P. Matter *Histoire de l'école d'Alexandrie* T1 Paris, chez Hachette. 1840, 818, p. 1

(31) وسرّ، موجز تاريخ علم اللغة، مرجع سابق، ص 39

(32) المرجع لسابق نفسه

احراجي يذهب لإسكسريون إلى أن الطبيعة (وطبعا الأشياء) تحكمها قوانين
مطلقة ثابتة ومتسقة مسببة على قياس الأشياء، وردّ بعضها إلى بعض، بما يذهب
شددويون إلى أن كل ما هو في الطبيعة هو من قبل المصادفة

وتتجمل الدراسة الفيلولوجية في تناولها لنوعين الدراسين الأدبي والتعوي
وكنت دراسة قواعد لغة لونية على عهد علماء الإسكسرية بعد مدحلاً لا
محيد عنه دراسة لأدب الفواعل لنحوته هي المعرفة العملية بالعمليات
كذب الشعر والنثر للألفاظ، ويشتمل على ستة أقسام

أول عن لقراءة الصّحيفة (صوت مرصع)

- الثاني عن تفسير التعابير الأدبية في المؤلفات

الثالث عن تقديم الملاحظات حول أسلوب ومادة الموضوع؛

الرابع عن أصوات الكلمات (etymologie)؛

الخامس عن استساظ أنواع الاطراد القياسي؛

- السادس عن تقدير قيمة التأليف الأدبي الذي هو أشرف أقسام
الفواعل^(٦٦)

وبحلول عصر النهضة الأوروبية الذي أريد به أن يكون فكرت صورته مطبقة
للعصر لوني والروماني لوحصت اعوده القوية إلى لأدب القديمة وبعاتها،
ولاستما يونانية والرومانية بما تنصته من هم بسنة بيلة وبدو عذب، والاهتمام
كذلك بدعت لحضارات القديمة (السكسرية) والعبارة باللعث ذات لحصائص
المختلفة عن اللغات اليونانية وللأنسة مثل اللغة العربية لما تتمتع به من ثروت

ولما كان عصر النهضة الأوروبية هو عصر الرجوع إلى النصوص اليونانية
والرومانية القديمة، وهي لغات الآداب لكلاسيكته والفلسفة لأم، فقد تمّ تقديم
كبار الأدباء يونان مثل هوميروس وسوفوكليس والرومان شيثرون وفيرجيل كما
تمّ بحث وإحياء مفاهيم الفلسفة يونانية لكبرى وتصوّراتها الأساس عند كل من
أفلاطون وأرسطو والعمل على نشرها عدة ظهور الطاعة في نهاية القرن الخامس

(٦٦) لمرجع لسبق، ص ٦٧

عشر وبنيت احرفها بدراسات التعويّة في حياء بهج حديث/قدم هو لتّهج
اعلولوجي لدي ابتداء لعويو الإسكندرية وهم يشرون قصائد الإلياذة والأوديس
ويقعدون للّعة ليونسته في وضعها الذي كات عليه في الفرون اثلاثة قبل ميلاد
مسيح

3. سمات المرحلة التّوْفِيقِيَّةِ

تنصف المرحلة لتّوْفِيقِيَّةِ في عاياتها لمحتله بحمد من السمات بذكر منها

الطّابع الدّينيّ

سطرة المطلق الأرسطي

تدع التّهج المعبريّ

الاهتمام بالّعة لمكتوبه دون اللّعة المصنّوه

اسحت في قصايا لعويّة عقيمة مثل أصل اللّعة وشأها

3 1 سيادة الفكر الديني

إنّ اتّشاح التعويّ في المرحلة التّوْفِيقِيَّةِ كان في خدمة الفكر الدّينيّ، سواء
عند اليهود أو في لثقافه لعربيّة الإسلاميّة أو في أوروبا خلال عصر التّهصّة
وللتّمشين على ذلك، تشير إلى الاعتبارات الدّينيّة التي ربطت نشأة اللّعه وأصلها
في الكتب السّماويّة، وهي المسألة التي شعت بأن اللّعوّيين بمحتف مشاربهم
بتّقاوية حقنة غير قصيرة

في الفكر التّعويّ لعربيّ، ذهب كثير من التّعويّين المسمين إلى القول بأنّ
تّعه إلهام من الله وبسبب اصطلاحاً، وذلك انطلاقاً من الآية لفرنيه ﴿وَعَلَّمَ
بَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وبرزص أحمد بن فارس في كتابه الصّاحبي في فقه اللّعة
وسن العربيّة⁽³⁴⁾ كلّ ما قبل أو تحريج آخر غير ما ذهب إليه من إلهام اللّعه من
لّته بدعوى وجود نصّ قرآني صريح في موضوع نشأة اللّعة وسرّب صدى

(34) أحمد بن فارس، الصّاحبي في فقه اللّعه وسن العربيّة، تحقيق أسد أحمد صبر،
القاهرة، 1970

مباحث الفكر الإسلامي ومواقف الفرو الإسلامية من أشاعرة ومعتزلة إلى المباحث الدعوية نفسها فامتلات كتب النحو واللغة بالمصطلحات المفهية والفلسفة على السواء ومعروف أن مفهوم «أصول النحو» مستمد أصلاً من محار الفقه الإسلامي. ولا نحتج الوقوف طويلاً عند تأثير الفكر الإسلامي في ثقافة الدعوية العربية القديمة لوجود أدبيات كثيرة في الموضوع⁽³⁵⁾

وحصل الأمر نفسه في أوروبا خلال القرون الوسطى؛ إذ سادت الآراء الدعوية لمي امترجب بالأفكار الدينية امترجاً وثيقاً، ومن ذلك قولهم بأنّ اللغة العبرية هي لغة الجنة، وبالتالي فهي أمّ اللغات، وأنّ جميع اللغات تنحدر من أصل واحد هو العبرية وكان الفكر لدي ساد أوروبا عموماً خلال القرون الوسطى حتى عصر النهضة والمعروف بالسكولاستيكية scolastique بموم على فلسفة دعوية مادنّها لدين المسيحي وآراء أرسطو وتصوّره بما وراء الطبيعة⁽³⁶⁾ وتعذّ الفلسفة الدعوية السكولاستيكية دعماً واصحاً للعقيدة المسيحية من خلال تبيان وشائج لقراءة بين العقل والدين، وهو ما مرر بمصوح عند كبير فلاسفة السكولاستيك توما الأكويني Thomas d'Aquin الذي بحث فصايًا دلالتة هاتمة بدعم العلاقة بين العقل والحقيقة، وذلك بتحليل سية لحقيقة من خلال اللغة اعتماداً على المعنى باعتباره أداة موضوعية للوقوف على حقيقة الأشياء معروفة حقيقة تتجاوز حدود المدرك والمحسوس⁽³⁷⁾

3 2 اللغة والنحو والمنطق

وكما ساد الفكر الديني، ساد لمسطق الأرسطيّ جميع مباحي التفكير الدعوي، فعبت على بحيلات استجابة الدرس ربطوا بين النحو والمسطق الذي اعتبروه أداة لا عى عى في التحليل لتعوي لغة فتقسيم الجملة ثنائياً إلى جملة فعلية وأخرى اسمية، وهو التقسيم الذي ورثه الدرس الدعوي عن أرسطو، يعكس

(35) بدم حنّ، الأصول لإستيمولوجية للفكر اللغوي العربي، دار لشعة، لدار لبصاء، 1980

(36) Claude-Gilbert Dubois. *Mythe et langage au seizième siècle* Bordeaux, Collection Ducros, 1970

(37) Alain Rey: *Les théories du signe et du sens*, tome I

تصور علماء المنطق ومعالجهم لمكونات القصيدة بمعناها الفلسفي وكان علماء لغة في المرحلة التوفيقية يعتقدون بإمكانية اعتماد مقولات المنطق الأرسطي وتطبيقها على جميع لغات باعتبارها مقولات فكرية عامة مشتركة بين البشر تتطابق واسيات للغة بصرف النظر عن اللغات المتكلم بها. هذا هو الحو هو نفسه في جميع اللغات، وتطبيقاته، ومهما كانت درجته الاختلاف بينها فهي اختلافات عرضية وسطحية لا يمكن الاعتداد بها. إن النحو يقوم على قوانين العقل والمنطق وهي القوانين المشتركة بين جميع البشر ومن أمثلة التأثير المباشر للمنطق في الدرس اللغوي التوفيقية وفي غيره أن اللغويين عدوا الجملة قضية منطقية بالأساس والمسد والمسد إليه فيها موضوعاً ومحمولاً كما في المنطق ويطلق على لحنه بشكل عام مصطلح «قصيدة»، وهو مصطلح منطقي في الأصل ويتحدد معنى الجملة في المنظور المنطقي بأنه شيء يمكن أن يكون صادقاً أو كاذباً في موقف معين ويقابل مفهوم القصيدة أيضاً في الدراسات اللغوية القديمة والحديثة على السواء مصطلح الخبر *statement*³⁸.

ولا يريد أن نعرض هنا من جديد مسألة فكرية أثارت نقاشاً مستفيضاً في الأدبيات لفكرية العربية ولأجسية حول علاقة النحو العربي بالمنطق الأرسطي، سواء في الأدبيات العربية، أو في غيرها. ونحن حين نثير موضوع العلاقة بين النحو العربي والمنطق الأرسطي لا نثيره في إطار الصراع الحتمي فكرياً وسياسياً بين لشرق والعرب؛ أي بين الحضارة العربية للإسلامية وغيرها من الحضارات وهو صراع يهدف إلى حصر لحوات لمعقدة لهذه العلاقة في جانب واحد ليس له أي قيمة منهجية يمثل في معرفه «من أحد؟»، «عمن أخذ؟»، مثلاً درجات بعض الدراسات العربية والاستشراقية المتعصبة أن تفعل

لهذا تناهت آراء الدرسين⁽³⁹⁾ إزاء موضوع العلاقة بين النحو العربي والمنطق لأرسطي بين ثلاثة مواقف

(38) تمام حنّان، مباحث البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء 1975-1997، ص 4.

(39) الأدبيات العربية في الموضوع عديدة ومتعددة القيمة، ومن أبرزها علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، دار الثقافة، بيروت، ط 1، 1975 =

الإقرار بتأثير النحو العربي بالمنطق لأرسطوي مشأه وبطوياً في أشكال
والمصموم

رخص أي شكل من أشكال التأثير جملة وبفصيلاً، وأن النحو العربي
إبداع عربي محض

التأرجح بين الموقفين

لموضح أولاً أن العلاقة بين النحو العربي والمنطق الأرسطي من منظور
الأصالة أو التأثير ليس لها أي قيمة معرفية أو منهجية يذكر. نحن نرفض كل دعوة
فائمة على ربط أصالة النحو العربي باللسانيات وبطورتها على النحو ما يقوم به
اللسانيون العرب المحدثون الذين يحاولون إعادة قراءة النحو العربي في ضوء
اللسانيات إن أصالة النحو العربي غير مرتبطة بالنسب باللسانيات الحديثة، وإنما
بالإطار الفكري والتاريخي الذي ظهر فيه هذا النحو والنحو العربي له مرجعيته
لأصيلة الخاصة به، التي يعطيه مكانه الإنسانية في حصن تاريخ الفكر الدعوي
اعترف بذلك الذارسون العربون أم سم معروف⁽⁴⁰⁾.

ما بهم الباحث في تاريخ لعلاقة بين النحو العربي والمنطق الأرسطي هو
تحديد سبب مدى تأثير الفكر المنطقي باعتباره مفهيم ومنطقي التفكير في الأسلوب
التحليلي والبرهاني المعمد في الترمز لنحوي العربي هذا الجانب المنهجي
لهام لعلاقة لتحليل النحوي بالمنطق هو ما أدركه بوضوح تمام حسام
قنلاً «أما النحو العربي، فإن أثر المنطق فيه يبدو من حاسين شين

أولهم جانب لمعولات وتطبيقاتها في التفكير لنحوي العربي

ثانيهم الأقيسة والتعليلات في لمسائل لنحوية⁽⁴¹⁾

= فتحي عبد الفتاح السجني الترجمة لمطبعة في النحو العربي، مطبوعات مهد،
الكويت، 1982

تمام حسام لأصول لإبستمولوجية للفكر النحوي العربي، دار الثقافة، دار
بغداد، 1982

(40) نظر كتاب، اللسانيات العربية الحديثة دراسة في المصادر والأسس النظرية والمنهجية،
مشور ب كنية الأدب، غير انشوا اندر انشاء، 1998

(41) تمام حسام، منهج البحث في اللغة، دار الثقافة، دار انشاء، 1975، ص 7

ولا يحصى على أحد أن اللعوتيين وانتحاء العرب نظروا إلى اللغة العربية بظرفه المصاطقة والملاسة، فوجدوا لها أصلاً وفعلاً تطبيقاً بفكرة لحوهر والعرص وإلى هذا بمطلق ترجع فكرة أصل للكلمة «صرفياً» فهي تحليل عماء لضرف العرب يكون أصل «قام» هو «قوم» و«صام» هو «صوم» وأصل «يخاف» «يخوف» وهكذا

وعلى المصوار نفسه كان لعوتو وحدة أوروب في القرن التاسع عشر وم بعده يحاولون وضع نحو عام لجميع اللغات، لأنها مهما خُتعت تلتقي في كونها تحصى بالمفولات الأرسطية نفسها التي تُشكّل قاسماً مشتركاً بين جميع لشر

أ ديكارت

ساهمت الفلسفة لعقلانية خلال القرن التاسع عشر في تحويل أنظار للملاسة والمفكرين إلى قصص اللغة باعتبارها أشكالاً معرفية أولية في كل تفكير سوء تعلق الأمر بمهية الوجود أو الإنسان وكان أبرز هؤلاء الفلاسفة اهتماماً بقصص اللغة من وجهة نظر فلسفية لفيلسوف الفرنسي ديكارت (1596-1650) الذي أثر بشكل واضح في مرحلة فكرية برمتها

بمطلق ديكارت في تعامله الفلسفي مع اللغة من إشكالية معرفية جوهرية تتعمق بطبيعة العلاقة لقائمة بين اللغة والفكر، وهي إشكالية تعود في أصولها الأولى إلى الفكر اليوناني، على نحو ما نجد في محاورات أفلاطون (346-427 قبل الميلاد) المتعلقة بسمية الأشياء الموجودة في العالم الخارجي وعلاقة بين الأسماء والأشياء لمعبر عنها (محاورة كريسوس)

وقد وقف ديكارت في تناوبه لتأقنني وفلسفي من اللغة موضعين مختلفين⁽⁴²⁾

أولاً من حيث أنها وسيلة غير دقيقة، لا يصلح بتفكيرها لأنها غير قادرة على الوصول للإنسان إلى التعبير بكل أمانة عن جوهر مصامين بعقل البشري في حوائج الاستدلالية والمنطقية الضارمة والدقيقة، وما يبطئ من حساب مصطنع

Pau, Michel Philip: *Initiation à la linguistique et aux sciences du langage* Paris. (42), Ellipses, 1995 p. 3 et suivantes

مصنوع وسندلال عقلائي دقيق كان ديكارت، وهو يحاول تحديد معالم لحظات العقيدة والمنطقية، يحلم بلعه مثالية خاصة حيث الاستدلال وحساب شيء واحد. ولا يختلف ديكارت في هذا الموقف كثيراً عن الفلاسفة امثالين بعده (امثال ديكارت 1623 1662 ولايسر 1646-1716) الذين شككوا في قدرة اللغات الطبيعية على اتمام بالتعبر عن افكار، علاوة على ان اللغات الطبيعية تنصت عدداً من الظواهر غير الواضحة مثل عدم الدقة والانساس الدلالي وغيره من الظواهر الملارمه للغات الطبيعية التي لا تساعد على تعبير منطقي دقيق عن الواقع الموضوعي المادي أو المحرّد فيس واقع الحقيقي والوعي بهد لواقع، تعد اللغة وسيطاً بحسب، أو على الأقل تعبر، كنه لأشياء المدركة أكثر مما يكشفها⁽⁴³⁾

ثانياً تعد الظاهرة لتعوبة في دينا عند الإنسان موضع تقدير وعجاب كبيرين من قبل ديكارت وبعد تأكيده على أهمية العقل عند الإنسان باعتبارها آلة عاقلة يمكن استخدامها في كل أنواع «تجارب»⁽⁴⁴⁾ بتبني ديكارت إلى أنه بقصر العقل (الفكر) ممكن للإنسان أن ينصرف نوعي تام حيث تعبر كانت أخرى عن الفهم بذلك بقول ديكارت «إن هذه الأعضاء (عبر العقل) هي حاحة إلى وضع خاص بكل عمل على حدة ويسح عن ذلك، أنه من مستحيل أخلاقياً، أن يكون في آلة ما من تنوع الأعضاء ما يكفي لجعلها تعمل في كل ظروف الحياة، على نحو ما بعضنا عقبت للعمل»⁽⁴⁵⁾ ويخلص ديكارت إلى حقيقة مكشورة انحرى «جوهرية بين الإنسان والحيوان

بالنسبة إلى ديكارت، إن هذه الآلات من تقدر مطلقاً على أن تستعمل الكلمات أو أي إشارات أخرى نؤلفها كما بفعل سحر سحر الأحرار

Idem p 23

(43)

(44) ريسه ديكارت مقال من المنهج، قسم الخامس، ص 299 وما بعدها، من الترجمة العربية لنصر لفرسي *Discours de la methode* في قام بها محمود محمد انحصري ور جمعها وقدمها محمد مصطفى حلمي انجته المصترية لعدم ديكارت، القاهرة طبعة 3 عد لكتيب المشهور ألف أصلاً باللغة اللاتينية سنة 1644 ثم مرجم إلى فرنسية سنة 1647 (انظر مقدمه الترجمة لعرية)

(45) لمرجع السابق، ص 260

بأفكارها»⁽⁴⁶⁾ ربما تتمكّن بعض الكائنات غير الإنسان من نطق بعض الأصوات، لكنها من تتمكّن إطلاقاً من قدرته على تنويع الألفاظ «لتحقيق إحاطة مطابقة لكلّ ما يقال لها في حضرتها مثلاً يستطيع أن يفعل أعين الناس»⁽⁴⁷⁾

إنّ للغة عند الإنسان بانية إلى ديكارت من مميزات الحس الشري وقد عثر عن موقفه من طبيعته النّعة بكلّ وصوح قائلًا «مما يستحقّ الذكر، أنّه ليس من الناس الأعياء والملاذ حتى دور استثناء للهاء منهم، من لا بقدره على تأليف كلمات محتلمه، وأن يركبوا منها كلاماً به يجعلون أفكارهم معهومة وبالعكس ليس من حيوان آخر مهمّ كان كاملاً ومهما نشأ نشأة سعيدة، يستطيع أن يفعل ذلك»⁽⁴⁸⁾

وبلاحظ ديكارت أنّ الفترة على اللغة أو على لأصبح على للعو (من نعا نعو) ليست مرتبطة بوجود الحهور الناطق عند الإنسان فبعض الكائنات غير الإنسان تكون قادرة هي الأخرى على إنتاج أصوات معيّن حتى ولو كانت قبيلة إن العمعو (طائر) والبعاء يستطيعان أن تنطق مثلاً أيّ نطق يشهد أنها تعي ما يقول⁽⁴⁹⁾ وما يُميز اللغة عند الإنسان في نظر ديكارت هو «نشاطها الوثيق بالعقل» إن معرفة الكلام لا يحتاج إلا إلى شيء من العقل حدّ قليل⁽⁵⁰⁾ والعقل في حدّ ذاته هو مصدر المعرفة وأساس كلّ إدراك؛ وبالتالي فهو أسمى الحواسّ المادّية ومستقلّ كلياً عنها. وقد كان ديكارت بهذا الموقف متّفاً إلى لقول بفطرية النّعة Inneisme التي بعد من الأفكار التعويّة لي كان لها تأثير قوي في مسار التّرسّ التعويّ منذ القرن التاسع عشر إلى اليوم.

ب نحو بور رويال

ارتبط الدّرس المنطقيّ بالدّرس التحويّ حتى أصبح غير ودين للامفصار، وأصبح الرّؤية الفلسفيّة لعمليّته مع بداية القرن التاسع عشر عاملاً حاسماً في

(46) المرجع السابق، ص 259

(47) المرجع السابق، ص 260

(48) المرجع السابق، ص 261 262

(49) المرجع السابق، ص 261

(50) المرجع السابق، ص 26

تصوّر لعمل التحوّي وصياغة القواعد وقد وجدت أفكار ديكرت في موضوع تمثيل الإنسان باللغة وارتباطها بالعقل محالاً رحيماً في بعض الأوساط الفكرية والتعميمية على نحو ما نجد عند ريسان نور رويال مع صدور كتبهم الدّاع لصيّت التحوّل العام والعقلي Grammaire générale et raisonnée سنة 1660 لدي كتبه أرنولد Arnauld ولاسلو Lancelot⁽⁵¹⁾

ونحو نور رويال نموذج واضح لتأثير الفلسفة العقلانية ديكرت واسطو الأرسطي - في الدراسة اللغوية خلال القرن السابع عشر. وسدرج هذا التصوّر التحوّي في إطار المقاربة الفلسفية لمطبعة لتحوّل عند مدرّسي دير نور رويال الهادفة إلى البحث في اكتشاف حواش مطبوعة بين السبب والمطبعة والسبب اللغوية وبالتالي العلاقة لوثيقة بين التحوّل والمطو.

إن اللغة ليست أكثر من تعبير مطوّق عن الفكر يجب أن تكشف التحوّل عن مختلف تجلّياته. هناك من فهم ما يدور في ذهن ضروريّ لهم أسس التحوّل⁽⁵²⁾ واللغات رغم اختلافها على مستوى القواعد لصرفته والتركيبية، تشترك في كونها تحتوي على سبب منطقية عمدة مشتركة. من هذا لمطلق لفلسفي سعى نحاه نور رويال إلى وضع نحو عام Grammaire générale لجميع اللغات، لأنها مهما اختلفت، تلتقي في كونها تخصّص للمقولات الفكرية العامة نفسها المسمّنة من منطق أرسطو وتُعَدّ المقولات التي يقوم عليها التحوّل في كلّ اللغات قواسم فكرية مشتركة بين جميع البشر يعرّف عنها اللغات بصيغ مختلفة شكلياً فقط. هذا لطابع عدم لبحث اللغويّ عند نور رويال يفسر بـ استعمالهم العنوان لمرعيّ لكتبهم لتحوّل لعدم والعقلي فيحتوي على أسس من الكلام ولأشياء المشتركة بين اللغات كما تتجلّى هذه المقاربات التحوّلية في تعدد العام والكوبي من خلال الإشارة المتعددة في نحو نور رويال إلى اللغات باعتبارها معطيات عامّة تتجاوز حدود لقواعد لتركيبته الحاضرة بهذه اللغة أو تلك، ولإحالة المتكررة على قواعد العقل والفكر لإسانيّ عمومياً باعتبارها نحل على

Arnauld e' Lancelot Grammaire générale et raisonnée Paris. Republicat ons (51)

Paulet 1969 Introduction de M. Foucault

Arnauld et Lancelot Grammaire Générale et raisonnée, p. 22

(52)

مبادئ فكرية عامة عقلية معرفية عند لكاتس، بصرف النظر عن خصوصية كل لغة على حده فاللغات نتاج عقلي حالص، وهي في مظهراتها السطحية «متعددة، إنما تعكس أنماطاً مختلفة لسه عقلية ومطقية واحدة

ويبدو تأثير ديكارت في نحاة بور رويل واضحاً في تأكيدهم على تفرد الإنسان بالقدرة على اللغة، رغم ما يبدو من تشابه بين اللغة البشرية ولغة الحيوانات (فكره ديكارت) إن الجانب المادي للكلام، وهو الأصوات، مشترك بين الإنسان وبعض الحيوانات. «فهي الكلام ما هو مادي وهو مشترك على الأقل في جسه لصوتي بين الإنسان والبيعا»⁽⁵³⁾ ما يعبر فعل اللغة عند الإنسان، هو «الجانب الروحي *Spirituel* للكلام، لأن أكبر مريد الإنسان، بالقياس إلى باقي الحيوانات لأخرى، وهو من أكبر البرهين على وجود العقل هو الاستعمال الذي يقوم به للدلالة على أفكار»⁽⁵⁴⁾ ولا يخرج موقف بور رويل عن الموقف الفلسفي لعقلاني عند ديكارت المتمثل في الارتباط الوثيق بين العناصر الثلاثة أي هي الإنسان والعقل واللغة وتشكل هذه العناصر من مبادئ اثنين

أولاً لعقل يولد مع الإنسان

ثانياً اللغة تولد مع الإنسان⁽⁵⁵⁾

وتتميز اللغة في نظر بور رويل بالتوليد والاقتصاد فهي من الناحية المادية اخترع مذهب يتكوّن من أصوات قليلة تمكّن من التعبير عن تنوع لا متناه من كلمات⁽⁵⁶⁾ واللغة عندهم، كما هو الشأن عند ديكارت صورة تُعبّر عن العقل، وبما يُشكّل نتاج من عدة أوجه الساء المنطقي العام الذي يمكن أن تُردّ إليه اللغة في جميع مظاهرها والتحو العام أو الفلسفي لا يهتم بسبب اللغات بل ينظر إلى ماهية اللغة في لدهن الشري باعتبارها حركة للفكر والعقل، ويبحث في لمبادئ المنظمة الكبرى التي تقوم عليها «لغات الشريّة. إن التحو حسب بور رويل معرفة بما يجري في لدهن، ذلك أنه لا يمكن فهم مختلف لدلالات التي

Grammaire generale et raisonnee, p. 23.

(53)

Idem, p. 23

(54)

(55) صالح الكشور: مدخل في اللسانيات، ندر العربية مكتب، تونس، 1986، ص 40

Grammaire generale et raisonnee, p. 23

(56)

تتضمنها الكلمات إذا لم يفهم جيداً قبل ذلك ما يدور في ذهنه، لأن الكلمات لم تتكرر إلا لتعريف بالمفكر وبأفكاره⁽⁵⁷⁾. ولما كان الأفراد في حاجة إلى العلامات (الكلمات) ليسجلوا كل ما يدور في أذهانهم من أفكار، ويوثقوا التعبير عنه، وأهم ما يمكن أن تتميز به هذه الكلمات هو أن نطاق ما يجري في ذهن من عمليات فكرية ومن هنا، فإن دلالة اللفظة دلالة عن الفكر⁽⁵⁸⁾ وللقائم بهذه المهمة، يحتاج إلى ثلاث عمليات عقلية هي التصور والحكم والاستدلال

إن تصور الأشياء *Concevoir* هو تسليط النظر أو الفكر على الأشياء الموحودة، سواء أكان هذا لتصور مادي، أم معنويًا خالصاً. والتصور المادي ما تعلق بمعرفة الوجود الخارجي الواقعي، والتصور المعنوي مثل التعرف إلى الماهية أو الزمان أو المكان، أو الله أو المدة ومن التصور ما يتعلق بالتصور المجردة مثل الأشكال الهندسية (مربع/دائرة) أو عندما أتصور حصاناً أو إنساناً أو كتاباً

أما الحكم *Jugement* فهو لتأكيد أن ما تمّ تصوّره من أشياء هو كذلك أو ليس كذلك. فعندما أتصور «الأرض» وأتصور مفهوم ما هو «كروي الشكل» يُمكنني أن أؤكد أن «الأرض كروية الشكل». ومن قيم الحكم (الإثبات النفي/لا احتمال)

والاستدلال *Raisonnement* هو الاستمادة من حكمين سابقين للوصول إلى حكم جديد فعندما أخكم أن الفصيلة محمودة من جهة، وأن الضير فضيلة من جهة ثانية، يُمكن أن أخصل على الاستنتاج الضير محمود⁽⁵⁹⁾.

وفي ضوء هذه العمليات الأساس في كل تفكير عقلي سليم، فإن أبرز تمييز لما يدور في ذهن هو التمييز بين موضوع الفكر *Objet de la pensée* وشكل الفكر أو كونه *Forme /manière de la pensée* وتبعاً لهذا قسم نحاة نو. ويون العلامات اللغوية إلى صنفين أساسيين

Idem, p 24

(57)

Idem, p 23

(58)

Idem, p 23

(59)

العلامات الدّالة على الأشياء والموضوعات التي يتصوّرها الدّهن

العلامات الدّالة على شكل أفكارها وكيفيةها.

فالعلامات التي تدل على الأشياء هي الأسماء - أدوات لتعريف -
لضّمائر - المصادر - الحروف والظّروف.

بيّنا يندرج ضمن العلامات التي يعبر بواسطتها عن الشّكل أو الكميّة
الأنواع النّحويّة الأفعال Verbes - الرّوابط Conjunctions - الحوالب
Interjections

إنّ هذين الضّعفين معاً يتميّاان إلى العمليّة الدّهنيّة الأولى التي يقوم بها
لفكر ولتمثّل في التّصوّر، لأن الأمر يتعلّق بما يتصوّره ويدركه من أشياء
ومفاهيم.

وبعبارة أخرى فإنّ موضوعات أفكارها إمّا أشياء مثل الأرض، السّماء،
وسمى عادة الجواهر Substantifs وإمّا كميّيات أشياء مثل الصفات أبيض، عالم
ولتي تسمى عادة العوارض Accidents والفرق بين هذين التّوعين من الكلمات
أنّ الأولى تكون قائمة بذاتها في الحطّات، بينما العوارض ترتبط دائماً بعبرها
وتتعلّق بها⁽⁶⁰⁾.

وبذلك يصحّ التحليل التّحويّ عند بور رويال دراسة للمقولات التّحويّة في
علاقاتها بالمقولات المنطقيّة

ج كوندياك (1714-1780): اللّغة أداة للتحليل

بالرغم ممّ يسبب عادة إلى نحو بور رويال من اهتمام بالغ بعلاقة اللّغة
بلفكر - ولا أحد يشك في هذا - فإنّ السّادة les messieurs (وهو لقب كان
يعطى لمعكّري دير بور رويال) لم يحرجوا عن حدود العمليّات لتصوّرية الأساس
المتعلّقة المعروفة في المنطق بالقضيّة - الحُكم jugement عند بور رويال تقدّم
القواعد لمشاركة بين البشر لتكوين الحكم لسليم على الأشياء المادّيّة الملموسة
أو التّصوّرية. لقد أريد أن يكون التّحوّ ناعاً للمنطق في كبريات عمليّاته الدّهنيّة

التي تتيح للعكر ولوح التفكير التسليم وهي التصور والحكم والاستدلال ومن ثم فإن لعلاقة بين النحو كصناعة للكلام والنحو كمجال يتصوّر لبحث في أسس هذه الصناعة من أجل تفسير عقلائي تهدف إلى إرجاع لقواعد النحو إلى مبادئ أحدهما لغوي محض يكون كصلاً بأن يفسر لنا كيف أن هذه القواعد النحوية تسمح لنا بأن نقول ما نقوله، ومن جهة ثانية يجب أن نعرف لماذا نحضع اللغة بهذه القواعد على وجه التحديد وليس سلك، وهذا يقتضي أن نرجع هذه القواعد إلى «مبادئ» التي تؤسس لها، أي التي تجعلها ممكنة الوجود وقابلة لتحقيق.

إن ارتباط اللغة بالمنطق يحصر بالنسبة إليهم في ربط أو حل أفكار في هذا اختيار من الحمل الحكم التي تسمح لنا بتجنب الخطأ الذي يمكن أن يقع فيه فكر، ومن هنا، فإن التحليل العقلائي للغة في علاقتها بالمنطق عند بور رويان، لا يسجدور عنية ما يجب أن تتصوّر لفصا Propositions في إطار ما تسمح به قواعد لمنطق حتى يتمكن من لتفكير الصادق والحقيقي وبذلك هم يرق التحليل اللغوي عند بور رويان إلى إقامة علاقة حقيقية وشاملة بين لغة والمعرفة

وقد حاول الفيلسوف الفرنسي كوندياك Etienne Bonnot de Condillac⁶

تجاوز هذا لتقص البين في تصور بور رويان، فتناول مسائل نهتم بمتدبير في علاقتها باللغة بصفة عامة «لأن لعلاقة بين النحو والمنطق ليست سوى حاة خاصة من علاقه أوسع بين اللغة والفكر» ثم يكن كوندياك وهو من أتباع

(61) عمن في هذه الفقرة على مؤلف كوندياك متعلقه باللغة وهي

E. B. de Condillac. *La logique ou les premiers développements de l'art de penser* Paris. L'Esprit Libraire du Palais Royal. 1780, p. 4-5.

وبرمر «المنطق»

E. B. Condillac Oeuvres complètes. Tome *Essai sur l'origine des connaissances humaines*, Paris. 1798 1746

ولاسيما القسم الثاني منه والمنطق باللغة ولصالح بدء من الصفحة 257، وبرمر به في بحث «أصل الأحاسيس»

E. B. Condillac *Principes généraux de Grammaire pour toutes les langues*.

Paris, 1798. 1769 وبرمر به «النحو»

فيلسوف إنكترال كبير جون لوك يعطي الفكر ومن خلاله العقل وجوداً أولياً كما يقول بذلك بورن وبارن وهم أتباع الفلسفة العقلانية. ومن المعلوم أن تصور كوندياك يقوم على مبدأ الحس *Principe de sensation* الذي هو أساس معارف الإنسان (أصل الأحاسيس، ص 19) والحس في ذاته ليس معرفة ولتتعارف مثلاً إلي مظهر طسعي أو إلى نوحه رتبة تحتاج فيه أولاً إلى حس الرؤية لكي يتغير تعينه، لأن رؤية الأشياء تتطلب مشاهدة هذه الأشياء في تناوع مرتب وممهيح فالحس بهذا المعنى هو التحصيل، وهو ليس شيئاً آخر غير ملاحظة صفات موضوع من لموضوعات في ترتيب معين لتعطيها في الذهن ذلك لترتيب المتناوع الذي توحد فيه (المسطق ص 19) فالحس هو مبدأ المعرفة ولكن التحصيل هو الأساس الحقيقي للفكر ورافعة له، وهو الذي يسمح لبشرية بشكر العلوم (أصل الأحاسيس، فقرة 67، ص 111 و المنطق، ص 107) لكن ما هو دور اللغة في كل هذه النصباء لفلسفته المجردة؟ اللغة إلى كوندياك أصبحت للغة شرط ممكن الفكر، فلا فكر بدون لغة، فهي التي تسمح بسابع لأفكار وترتيبها في الزمان وعلى عكس ما تقول به العقلانية من وجود قسبي أولي لفكر منظم يذهب كوندياك إلى أن اللغة ليست تقطيعاً بسيطاً لفكر منظم له وجود مسبق، بل إن وجود الفكر حاصص بوجود للغة، إذ لا يمكن لأفكار التي نود التعبير عنها في شكل أحكام أن تكون بها أي وجود محدد ما لم يجد المرء الكلام المناسب ما يريد لتعبر عنه وبهذا يصبح للغة دور آخر غير دور التواصل أو تدبير مسائل التدكر ومساعدة الذاكرة (موقف لوك) (النحو، ص 61-62 وما بعدهما)، بل إن اللغة دور تقطيع وتحليل سامعي الذي سبق الحديث عنه إنها أداة تحليل ومعرفة تقوم بوظيفته تحصيلية، لأنها تتيح لنا الانتقال من فكرة إلى أخرى ومن حكم إلى آخر، ومن معرفة إلى معرفة إن اللغة تمكننا من التجريد والتعميم بواسطة التسمية *Dénomination*، وبدون تسمية لا يمكن أن نحصل على أفكار تجريدية، وبدون تجريد لا يمكن أن نمك لا لنوع ولا الجنس أو غيرها من المقولات (المسطق، ص 29-34، و ص 107) وإذا كنا غير قادرين على إدراك هذه المفهولات، فلن يكون بمقدورنا أن نستدل على شيء وفي هذا المعنى ربط كوندياك بين النحو العام والنحو الخاص فالنحو هو العلم الذي يدرس مدنى

مصحح التحليل وقواعده وعدم يدرس النحو القواعد؛ فإن هذا المصحح يكون موجهاً لجميع الألسن ويطلق عليه النحو العام، وسنفي لنحو نحاصر عدم يدرس القواعد التي يتبعها هذا المصحح في هذا الشأن أو ذلك إن دراسة النحو هي دراسة للمصاحح لبي أنعمها الأفراد في تحليل الفكر (النحو ص 66) - عدم الكلمات، ومن هذا المصطلح فإن كل ما يمتص معرفة الشيرورة لني قطعنها المعرفة الشيروية يرتبط أشد الارتباط بالبحث في اللغة عند الإنسان. والنحو بحسب تعبير كومدياك هو القسم الأول من صاعة لتفكير الذي يمكنا من كشف عن مادي اللغة لذلك يجب أن نلاحظ كيف نمكر بحثاً عن مادي التفكير في تحليل اللغة نفسها، لأن تحليل لمكر جاهر في الخطاب و قائم فيه بسب متفاوتة حسب الألسن وحسب الدين يتكلمونها، وهذا ما يجعله يعتبر لألسن مصحح تحليل، ومن ثم يجب أن نبحث عما هي العلامات وما هي قواعد هذا المصحح (النحو، ص 4)

ولقيت الرؤية المثالية و لعقلاية نقصبا، لغة و لنحو عدد ديكارت كثيراً من المؤيدين لها قديماً وحديثاً لقد أحد بها الفيلسوف الفرنسي دومارسي Dumarsais 765، في القرن لثامن عشر، وكذلك الفيلسوف الإنكليزي جيمس هاريس James Harris الذي جعلها مبطناً لكتب هام يسير في المنحى نفسه⁽⁶²⁾ مؤسساً بذلك ما عرف بالنحو الفلسفي والنحو الفلسفي ليس بحثاً في فلسفة النحو، بل هو عدم يحاول اعتماد أصول عامة مستمدة من تحليل معين لتفكير بشري فد بأحد شكل بحث بالنظر إلى نحو ما لغة، فيكون بذلك هذا النحو نحو فلسفياً⁽⁶³⁾

وتميزت، المصطلحات اللغوية في الحقيقة لني تدب ظهور نحو د. رويال والمعروفة بالسكولاستيكية Scolastique بهيمه مطلقة للمصطلح الأرسطي ونقل

James Harris: *Hermes Recherches philosophiques sur la grammaire universelle*, (62, Paris. Imprimerie de la République. 1796. trad. Fr de Hermes: on Philosophica Inquiry Concerning Universal Grammar Londres, 75 2eme ed., 1765. reimpr. Londres. Scholar Press, 1968

(63) صالح النكشو، المرجع السابق، ص 55

كثير من المفاهيم المسمّية المتعلقة بنظرية المعرفة وعدم الدلالة لمطقتي إلى حصن الدرس التحوي وللّغوي ومن المفاهيم المعقولة إلى الدرس اللّغوي، يمكن أن نذكر معنى Sens والإحالة Reference والتعيس denotation والدلالة signification والاقتضاء supposition ولما صدق extention

وفي سياق أفكار ديكارت، دعا الفيلسوف الألماني لايسر (1646-1716) إلى استخلاص عن - اللغة الظّسعة في عمليات الحساب والاستدلال العقلي محاولاً إنشاء لغة اصطلاحية تكون بعيدة عن عموم لغة الطبيعة والتدسها، وعدم دقّتها في التعبير عن قصص المنطق والفكر العلمي المحرّد⁽⁶⁴⁾.

وفي لعصر الحديث جعل تشومسكي صاحب نظرية النحو الثوليدي من أفكار ديكارت وبنو روس وحيمن هاريس مصدراً أساساً من مصدريه لدراسة على عقلانية اللغة ولتأكد على خصوصيتها الإنسانية⁽⁶⁵⁾.

3 3 أتناع التهج المعيارتي

يلاحظ أن لغوتي لمرحلة التوفيقية لم يهتموا باللغات كما كان يُتكلّم بها في واقعهم اليومي، وإنما كانوا يطورون إليها، انطلاقاً من نموذج لغوي محدّد سلفاً تنوّر فيه مفاهيم معنّية اللغة الجيدة. لقد اهتموا بما يسعى أن يُقلّ تركيز ما يُقلّ فعلاً، لذا تمّ تجاهل ملاحظة الطواهر اللّغوية الموضوعية معترين كلّ لغة لا تنوّر فيها المعايير النموذجية الموضوعية وتمثل عادة في لغة الكتب لسماوية أو لغة كوار الأدباء في عصر من العصور «لغة رديئة» أو «صعبة» لا تستحقّ الاهتمام والعباية ويحدّ مسيح للغة لتحوّلة القديمة كثيراً من العبارات التي بدل صراحة على الطابع المعيارتي لمشع في الدرس اللّغوي التوفيقتي، ومن ذلك ما صادف في لغة كتب النحو العربي من عبارات من قبيل «يجوز» و«لا يجوز»، واستعمال

M Duchet et M Jalicy *Langue et langages de Leibniz a l'encyclopedie* Paris. (64) UGE, 10.18 1972

N Chomsky *La Linguistique Cartesienne Un chapitre de l'histoire de la pensee* (65) rationaliste traduit par N Delanoe et D Sperber, Paris, Editions du Seuil, 969, 966.

عبارات هيته مثل لغة «صعيفة» و«استعمال مقبول»، أو «استعمال جيد» وما شابه هذه لتعبير

وفي علوم النحو الغربية التقليدية، يتأكد وجود البعد المعياري نفسه في تعريفهم لنحو ذاته «إنه صناعة الكتابة والقول لحيدبر» *Art de bien dire et ecrire* و«سن اللغة» المتكتم بها فقط وكان تأليف المعاجم في الغرب الأوروبي يقوم على أساس احتدار الأنماط الحيدية وسجاهل لألفاظ التي تعتر سوفته أو عامية وعدم نلصيحها للناشئة. وتمت مأسسة المعيارية قصد لمحافظة على القابع الرأقي للغة تحت دوافع اجتماعية وسياسية فهي فرنسا مثلاً أشأ ريشيليو Richeleu سنة 1635 م سقي مد ذلك الوقت الأكاديمية الفرنسية *Academie Française* التي أوكل إليها المحافظة على للغة الفرنسية والشهر على حسن استعمالها وللعنة نفسها ألقت كتب عديدة بلقر مادي لاستعمال السليم للغة لفرنسية *Le bon usage* وفي هذا السياق قدم فوجلا Claude Favre de Vaugelas (1585-1650) سنة 637، سرملائه أعصب الأكاديمية ملاحظته اسي سيم تعديدهم والزيادة فيها لتصدر سنة 1647 تحت سم ملاحظات حول اللغة الفرنسية *Remarques sur la langue française* [ادم لسحت فيها ما بررد على حمس وثلاثين سنة بدع عنده الإجمالي حوالي 800 طهر منها 547 ملاحظة] وقد تناور فيها قصاص لعوية خاصه باللغة الفرنسية تتعلق بالجاب لتطهي وشكل الكلمات ورتبه الكلمات في سية الجملة و لتصريف وتكوس الفعل والإملاء ودلالات لعدرت

لم يكن هدف ملاحظات فوجلا تحليل لمعطيات اللعوية لمعروضه وتقديم معومات حولها أو تقديم قواعد للغة الفرنسية، ولكن المرمى الأساس لملاحظاته هو اسحت عن لاستعمال السليم/الحيد باعتباره النموذج الأمثل للغة الفرنسية وقد حدد فوجلا مصدر هذ الاستعمال التسم في بلغة الفرنسية المستعمله من قبل رجالاب البلاط بدرجة الأولى ثم اسلاء وأفراد لعائلات برافية ممدبة درس ونأسساً على هذ، فإن لاستعمال لمرجع أي لنموذج هو لغة اسلاط وحاشيه، باعتباره حراماً للغة ومحافظاً على بقائه وصفتها وعدمه لا بعد فوجلا م بدعم به الاستعمال السليم في لغة أهل اسلاط وحاشيته أو في سلاء

وأعيان مدسة باريس، فإنه كان يبحث عن سد الاستعمال السليم ومبرر له في أدبيات كبار المؤرخين الأديباء، وفي مرتبة أحيرة العودة إلى استعمال المنسوّرين وعماء على أنه في هذا العمل كان يرفض رفضاً تاماً كل إسقاط لقواعد اللغة للاتينية على قواعد اللغة العربية⁶⁶.

وبصفة عامة كان النحو هو أساس لدراسات اللغوية ودعمتها في كلّ لعصور والثقافات الإنسانية العريقة بدءاً باليهود وانتهاءً بالعصور لحدثه باعتباره صاعه نهتم بصحيح لمول وساهم في تربية الدّوق الفتي وفهم الأدب شعره وشعره

3 4 الاهتمام باللغة المكتوبة

في ضوء الوجهة لمعيارية التي نمت الإشارة إليها، اهتم اللغويون انشغلتون بدراسة لتصوص الأدبية المكتوبة (مثل الإلياذة والأوديسا) وبلغه الكتب الدبّية (المبدأ والثورة والقرآن) غير عديمين بالغة المخطوطة وكاتب القواعد النحوية نستقرأ انطلاقاً من تصوص أدبية ذات جودة عالية حُددت في الزمن والمكان على نحو ما عرف بالشاهد وبصور الاحجاج في الفكر اللغوي العربي

وفي أوروبا، انصبت الشغف النحوي وتعمم اللغة على تلميد الأساتيد لأدبية راقية المأخوذة في معظمها من أعمال أدبية قديمة وخصوصاً أعمال شيشرون Ciceron وسوقوكليس ووطن هذا التقليد أمراً مسلماً به ومتبعاً إلى زمن غير بعيد على الأقل في الإطار المدرسي التعميمي

ويتج عن الاهتمام بالمستوى المكتوب في اللغة إهمال واضح لكل ما هو مرتبط بالمستوى المخطوق الذي كان يُنظر إليه على أنه صورة غير كاملة بما هو

(66) سيمريد من لاطلاع يمكن الرجوع ضمن مئات المصادر إلى أحدث ما كتب عن

فوجيلا André Combaz Claude Favre de Vaugelas mousquetaire de la langue

française préf de Louis Terreaux Paris. Klincksieck. 2000

René Laganc Vaugelas. Remarques sur la langue française. Paris. Larousse.

مكتوب⁽⁶⁷⁾. وواضح أن هذا التوجه هو غير لاتجاه الذي تسير فيه اللسانيات الحديثة والذي تُعتبر المستوى المنطوق أكثر أهمية، لأن لأصل في اللغة هو استعمالها المنطوق.

واشتغل لعويو المرحلة التوفيقية بعض الإشكالات التي لم تكن مجدية بالنسبة إلى الترس اللعوي لاعتمادها على الحدس والتحمين ومن هذه القصص المعقدة والمثيرة مشكل أصل اللغات وشأنها الأولى. وترحر كتب اللغة والفكر الإسلامي القديم بكثير من الآراء في هذا المجال.

هذه بعض ملامح المرحلة التوفيقية التي تتضمن إجمالاً نتائج الحصادات الإنسانية الكبرى خلال الحقبة التاريخية القديمة إلى حدود منتصف القرن الثامن عشر وقد قدمنا مجمل هذه الآراء من دون اتحاد أي حكم مسبق براء الفكر اللعوي القديم وسمات المرحلة التوفيقية المقدمة في هذا الفصل لا تعني البتة التقنين من أهمية هذا الفكر اللعوي القديم أو الحكم عليه من منظور سيمي حديث فلكل فكر مرجعيته وطره التاريخي وثقافته والاجتماعي الذي يحرّك داخله، يؤثر فيه ويتأثر به، وهو ما حاولنا مراعاته واحترامه مبتعدين عن كل تأويل حديث لهذه التراث الإنساني الجليل

(67) جون ليور، تشومسكي، ترجمه حلمي حليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،

1985، ص 41

الفصل السادس

اللّسانيّات المقارّنة

مقدمة

يخالف الدّارسون حول تسمية لأراء والتّصورات التي هيمنت خلال الحقبة الممتدّة من بداية القرن التاسع عشر إلى نهايته، فلبعض يعدّها بمثابة مرحلة واحدة (يطبق عليها لتسانيّات المقارّنة أو لتحوّل لمقدّرون أو القبولوجيا المقارّنة)، والبعض الآخر يقسمها إلى فترتين متميّزتين مرحلة التّحوّل لمقدّرون، ومرحلة التّحوّل التاريخي، وهناك من يعدّ المرحلة بأسرها مرحلة واحدة تشطر إلى لحظتين واحدة معدّمة وأخرى تاريخيّة. وستعمل عبارة «التّحوّل لمقدّرون» عادة للإشارة إلى تطوّر الدّراسات اللّغويّة خلال القرن لتاسع عشر ومحدد في الفترة الممتدّة من 1800 إلى 1875، إنّها تشمل بالفعل لحظتين متميّزتين لمجال البحث اللّسانيّ يتعلّق عرضهما بمفصّلين⁽¹⁾ وقد ذهب ميّة اللّسانيّ الفرنسي إلى لفول بأنّ ما يسمّى تحوّلاً مقدّراً هو بلا شكّ معيّن من لتسانيّات التاريخيّة، وأنّ من يقوم بتطبيق بمقدّره على ساد معيّن بما يقوم ساء تاريخ هذا اللّسان معتمداً على ما يقدمه المنهج المقارّون وكان ميّية يستعمل عبارة اللّسانيّات التاريخيّة المقارّنة معتبراً أنّه خارج نطاق المقارّنة ليس هناك إجراء آخر لتقييم تاريخ اللّسان⁽²⁾

(1) M-A Paveau et G. E. Sarfady *Les grandes theories de la linguistique*, Paris, Armand Colin, 2003 p. 8

(2) Antoine Meillet *La methode comparative en linguistique historique*, Paris, Champion, 1925 1966, p. 4.

وحلاصة القول إن النسبآت المقدرية والنسبآت التاريخية نلتقيان في كونهما تشريكان بطريقة مسجحة ومكاملة في تحقيق هدف واحد هو إعادة البناء التاريخي لمغات وإعاده تركيب تاريخها اللعوي على أسس تاريخية ومقدرة وعلى كل حال، فإن ما قدم به لعوي مثل ديز Diez هو نحو مقارن وتاريخي في الوقت ذاته. ومهما يكن من أمر، فإن ثمة ثلاثة عوامل أساسية ساهمت في الانفصال من المرحلة التوفيقية إلى المرحلة المقدرية وهي على التوالي

أ اكتشاف علاقة القرنة بين اللغة السكريدية واللغتين اللاتينية واليونانية

ب إعادة اعتبار اللغات المحلية والوطية في علاقتها بالتاريخ والثقافة

ج سيادة النموذج البيولوجي وتصنيف الأنواع في الفكر العلمي

فقد تميز عصر النهضة بفتح على ثقافات غير أوروبية والاهتمام باللغات الأحيية التي عثرت خارج ما هو مألوف أوروبياً من تقليد لعوي وبحوي وجاء الاهتمام بهذه اللغات لأجسته بعد توسع أوروبا التجارية ولسياسي عدة لاكتشافات الكبرى (اكتشاف طريق الحرير ثم اكتشاف أميرك وكذا الرحلات البحرية الكبرى) عبر أن أهم حدث لعوي عرفه لقرن لثامن عشر باعتبار تتمثل في اكتشاف اللغة السكريدية ولتأكيد على أهميه علاقتها باللغات الأوروبية لاسيما اللاتينية والإغريقية

1. اكتشاف اللغة السكريدية

يُعد اكتشاف العلاقة بين اللغة السكريدية ولغة الإغريقية معطفاً حديداً في تاريخ الدراسات اللغوية باعتباره حدثاً ساهم في بعث روح جديدة في لبحث اللعوي، مشكلاً بذلك نقطة تحول في لفكر لعوي وقد جاء هذا لاكتشاف الهام بعد تعرف الدارسين إلى اللغة السكريدية وأهميتها لتاريخية بحكم أنها حملت أثر ث حدي أقدم لحضارات الإنسانية وهي احضاره الهندية لتي سبق تطويرها الأوروبية في المجال اللعوي على الأهل⁽³⁾ واللغة السكريدية هي

(3) سبق أن أشرنا في الفصل السابق إلى ضرورة لمصادر لغوية اعطاه باللغة السكريدية لهنم لا ما كان من كتب أحمد محار عمر البحث اللعوي عند اليهود وأثره على اللعويين العرب، در الثقافة، بيروت، 972 والمصادر العربية عديدة في هذا الباب =

اللغة القديمة للهند وتنقسم إلى قسمين

- اللغة السنسكريتية الميدية Vedique أو السنسكريتية القديمة

- لغة السنسكريتية التقليدية

وتنقسم السنسكريتية القديمة بدورها إلى قسمين

للغة بذية أو لغة التراييم وهي لغة الشعائر والطقوس التي كانت تقام في معابد الهديّة القديمة

البراهمانية Brahmanique التي حُرِّرَ بها كتاب الميد Veda (وتعني لمعرفة) وهي اللغة التي كان يُتكلَّم بها ما بين سنة 1800 و 500 قبل الميلاد. أما اللغة السنسكريتية غير البذية، فلا يُعرف عنها أي شيء، ولم يصل إلينا منها أي نص

وقد تم اكتشاف العلاقة القوية، والتشابه الواضح بين الأشكال النحوية في اللغة السنسكريتية واللغة اليونانية واللاتينية على يد وليم جونس William Jones (1746-1794) عام 1786 وذلك في البحث الذي قدمه إلى أعضاء جمعته لملكية لأمبويه في كالكونا (الهند) في جلسة 2 شباط/فبراير من سنة 1786

ولم يأت هذا الاكتشاف دفعة واحدة، إذ بدأ الاهتمام بالمصداقة عند كثير من مفكري عصر النهضة وما بعدها خلال القرن التاسع عشر وبدأ التعرف على اللغة السنسكريتية والنحو الهندي في أوروبا في القرن السادس عشر ولتسع عشر على يد المستشرقين⁽⁴⁾

= فعلاوه على المصادر الإنكليزية التي ذكرها أحمد محار عمر في كتابه تذكر مصيرين
أساتس باللغة الفرنسية

J. Barthélemy Saint Hilaire *Des Vedas* Paris, B. Dupontet A. Durant. 1984

Emile Burnouf *Essai sur le Veda*, Paris, Dezobry Tandoi Libraires, Editeurs. 1863

L. Bloomfield *Le langage*, p. 6.

ففي سنة 1767م بحث الفرنسي ألأب بير كوردو Pierre Coeurdoux وكان معوناً للتشهير المسيحي في بلاد الهند والبعان إلى المعهد الفرنسي بحث علمي أثر فيه إنشاء الباحثين إلى التشابه القائم بين بعض كلمات اللغة السنسكريتية واللغة اللاتينية من خلال المقارنة التي قام بها بين تصريف الحاضر indicatif والأمر في السنسكريتية واللغة اللاتينية إلا أن هذا البحث لم يُطبع إلا بعد أربعين سنة من هذا التاريخ، في وقت نشر فيه جونز Jones درسته التاريخية التي توصل فيها إلى النتائج نفسها بوضوح، وكثير من التفصيل

ومعزل عن حدث اكتشاف اللغة السنسكريتية في دانه، كانت فكرة المقارنة كمبدأ قد بدأت تنتشر وتأخذ طريقها إلى الأوساط الفكرية مع دعوة الفيلسوف لايسر (1646-1716) إلى الاهتمام باللغات السلافية في إطار تصور موسوعي لمعرفة الإنسانية كما يعد هذا الفيلسوف والرياضي من الدعاة الأوائل إلى دراسته تاريخ اللغات والوقوف على مظاهر اقترانه وتشابهه بينها وقد أجز لايسر عدة بحوث في هذا الاتجاه، وقد مكّنه تصريف اللغات من استخلاص احصاء نص ولسمات التي تجمع بين لغات البشر فاصلة

وكتب المفكر الفرنسي تورغو Turgot مقالاً هاماً بعنوان «الاشفاق» Etymologie نُشر سنة 1756 في الموسوعة Encyclopedie التي كان يديرها ويشرف عليها المفكر الفرنسي ديدرو Diderot فذم فيه ما يمكن عتباره مادة علمية هامة سبعتدها المقربون الأوائل لاحقاً، لاسيم المعوي لذاتنا ركني ر سموس رامك⁽⁵⁾ أحد مؤسسي المذهب المقرر

وأحدثت لمقدرة خطواتها الأولى نحو الانتشار مع وولف Wolf Frederic August ابتداء من سنة 777، في إطار ما سُمي «التفد المقارب» المتخصص الخدمة ويشير دو موسير نفسه في محاضراته إلى اسم وولف واصفاً بأنه ماعظف حديد في تاريخ اللسانيات⁽⁶⁾ كان هدف هذه الحركة في نهاية الأمر إعادة تأويل التخصص القديمة بعد تحقيقها والتأكد من صحة نسبتها إلى مؤلف

⁵ M. A. Paveau et G. E. Sarfaty Les grandes theories de la linguistique, Paris, Armand Colin, 2003 p. 9

⁽⁶⁾ Ferdinand De Saussure Cours de linguistique générale, p. 13

معنى ولم يكن وولف يدرس اللغة في ذاتها ولدتها، وإنما بفهم التصور
لقديمة. وكان النقد المقدّر أو ما أصبح يُعرف بالصلولوجيا Philologie يدرس
لغة مؤلف من يكشف عن أمرها لأدبية ولغتهم أعمق بتكوين Genèse أعماله
وواضح، كما هو الشأن في كل عمل فيلولوجي، أن الاهتمام للنوعي كان منصباً
على اللغة المكتوبة دون المطبوعة (راجع ما قلناه عن سمات المرحلة التوفيقية).

وقد أعطى البحث لدى فدمه وبسم جور سنة 1786 يدرس النوعي نصاً
جديداً فقد وضح في هذا البحث فكرة الفراه بين لتسكربتية وبنية الإعرافية،
وفي هذا لصدد يقول جور إن لتسكربتية مهما كان تاريخها لفديم، تنوهر
فهي به حارقة إنها أكثر كمالاً من الإعرافية وأكثر شمولية من اللاتينية إنها ذات
خسب يفوق صفاء هاتين اللغتين إن لتسكربتية لها قرنة مع الإعرافية واللاتينية،
قراءة جد قوية في جذر الأفعال وفي أشكال التحو إن هذه الفراه لا يمكنها أن
تكون ناجحاً عارصاً إنها واضحة جداً، لدرجة أن أي فيلولوجي لا يمكنه درسه
هذه اللغات ثلاث من دون أن يعتقد أنها نشأت عن أصل مشترك ربما لم يعد
له أي وجود وبمكس أن يفترض، لكن بدرجة أقل تأكيداً، أن اللغتين الفوطية
Gothique والسليزية Celtique يمكنهما أيضاً أن تصاف إلى هذه لعائلة⁽⁷⁾

يعكس هذا الكلام جملة من الافتراضات الجديدة في مجال البحث النوعي
تذكر منها

فراه اللغة لتسكربتية واللغتين الإعرافية واللاتينية

صدور هذه اللغات الثلاث عن أصل مشترك واحد ربما لم يعد له أي

وجود

إن اللغتين الفوطية والجرمانية القديمة والسليزية (وتصم اللغات الإيرلندية
وسنة الغالية Ga.ois ولبروطانية Breton) يمكنهما أيضاً أن تصاف إلى هذه
العائلة

و بصلاً من هذه الافتراضات الجديدة التي تصطبها بحث ولم جور

Otto Jespersen. *Le langage* Paris. Payot, 1976, (V O 922), p. 35.

(7)

والقولة نفسها وردت لدى رويسر؛ موجز تاريخ علم اللغة، مرجع سابق، ص 224

تكاثرات لبحوث والدراسات اللغوية التي حاولت أن تكشف عن مظاهر أوجه القراء بين اللغة السسكريتيّة والنّعتين الإعرابية واللاتينيّة وعبرهما من النّعات الأوروبيّة وكذا الباحثون فل كشف قرابة اللغة السسكريتيّة بالنّعتين اللاتينيّة والإعربيّة يدركون حدساً أنّ ثمة علاقة ما يجمع بين بعض الوحدات في النّعتين لإعربيّة واللاتينيّة كما في

<u>LATIN</u>	<u>GREC</u>
GENUS	GENOS
GENERIS	GENOS
GENERA	GENEA

لكنّ تعاملهم الحدسي مع مظاهر القراءة من هذه النّعات، جعلهم لا يتوصّلون إلى سيجة واضحة تفسر طبيعة هذه العلاقة وقد سمح اكتشاف اللغة السسكريتيّة بنوصيح دقيق لطبيعة العلاقة القائمة بين النّعات الثلاثة باستحصار الوحدات السسكريتيّة Génasas, genassu Genas⁽⁸⁾ وهكذا شأت المقارنة تدريجاً من نّعات، وبدأ المصهج المقارن بسمو ويطور إلى أن اكتمل مع نوب وحاكوب عريم وشليعل وغيرهم كما نوضح ذلك في الفقرات التالية

2. اعلام المنهج المقارن

نعت شليعل F V Schlegel (1772-1829) أوّل من استعمل مصطلح «لحو المقارن» Grammaire comparee حوالي سنة 1808 في مؤلّفه عن «مقارنة حول لغة اليهود وديّنتهم»⁽⁹⁾ يقول شليعل «يكفي أن أشير بسوع من الرّضا إلى المبادئ التي يجب أن يقوم عليها لحو مقارن أو شجره تكويبه تدريجاً أي درج حقيقي لتكوين النّعات»⁽¹⁰⁾ والمقارنة نمكّن من معرفة دقيقة ومصنوعة للألس

(8) نهر لأمثه لدى دو سوسير المحاضرات، (دروسه ص 15)

(9) A. F. Schlegel, *Essai sur la langue et la philosophie des indiens*, traduit de l'allemand par M. A. Mazure, Paris. Parent-Debarbes Editeurs. 1808, 1837, p. 11-12

Idem. p. 89

(10)

لمتقاربة فيما بينها. وبذلك يكون شليعمل قد أشار إلى مرحلة نعوية جديدة تقوم على أسس منهجية وبطريقة في معالجة اللغات وتشكل محطة جديدة في تاريخ الفكر اللعوي هي مرحلة التحو لمقدرد وقد بش في مؤلفه هذا لشده العائم بين اللغات الأوروبية واللغة السسكريية مقدماً لائحة طويلة بمجموع لألفاظ السسكريية ومفرداتها في اللغات المدرسية والألمانية والإعريفية وللاتينية وغيرها من اللغات المتقاربة معها كما أكد على وجود علاقة أصيلة بين اللغات الهيدية و لمارسته والحرمانية واليونانية واللانية باعتباره شكل الأسرة للنعوية نفسها، وأن لهيدية أقدم هذه اللغات وهي السبع لدي صدرت عنه باقي اللغات⁽¹¹⁾ وكما هو الشأن بالنسبة إلى وليم حوبر، فإن الفراه بين هذه اللغات ليست عرضية يمكن تفسيره عن طريق الاحتمال بينها ولكنها مطابقة جوهرية ومركبة⁽¹²⁾

وقدّم شديعمل في هذا لعمل جملة من الأفكار اللعوية الهامة ولجديده حول علاقه بين اللغات من حيث بينها الصوتية التحوية ولإعرابية والصرفية. كما كان بين نصية ولأخرى تقدم م يراه مادي عاقه أو م أسماء «لمبدأ التحوي» (Principe Grammatical)⁽¹³⁾ لدي بحكم التسويع اللعوي الذي يعرفه لعالم وتمثل هذا المبدأ التحوي بالنسبة إليه في كون كل لغات الكون لا يحرج عن كونها تلجأ إلى إحدى الطريقتين لثاليتين «إن الأفكار لمساعدته التي نستعمل لتحديد دلالة كلمة م يمكن التعبير عنها بكلمتين ()

بواسطة التصريفات لإعرابه inflexions أي التعبيرات بدّ حليه لجذر radical الكلمة

عن طريق زيادة كلمة حاضه أكتت معتراً سابقاً عن برمن الماضي أو عن ضرورة مستقبلية أو عن علاقات أخرى⁽¹⁴⁾

ولتمييز بين هاتين الطريقتين السسطيتين أساسيّ، لأن كل م يلاحظ من

Idem p. 11

(11)

Idem. p. 11

(12)

Idem. p. 50

(13)

Idem, p. 51

(14)

اختلافات أخرى متنوعة وعديدة في تحديد دلالة الكلمات في اللغات يمكن رده في النهاية إلى اثنسيتين السيطتين السالنتين اللتين تسمحان لنا في نظر شليغل أن نقسم جميع اللغات إلى مجموعتين رئيسيتين

- لغات إعرابية وهي اللغات التي يتغير شكل (جذر) الكلمات فيها بحسب علاقاتها التحويلية بغيرها من الكلمات وحلّ اللغات الهندو - أوروبية لغات إعرابية ويشكل الجذر في اللغات الإعرابية أثراً في علاقة القراءة لتي تربط بين هذه اللغات (ص 56).

- لغات بدون إعراب، وهي لغات أحادية لمقطع، ولعلاقات لتركيبية والدلالية بين الكلمات يعبر عنها بواسطة الحروف والأدوات فكل دلالة جديدة يعبر عنها بواسطة إصداق خارجة عن الجذر وليس عن صريخ الإعراب وتعدّ اللغة لصيغة نموذجاً ملحوظاً للغات التي لا تتوافر فيها مطلقاً الإعراب كما يدرج ضمن هذا الصنف اللغة الماليزية Malaisie واللغات الأميركية (ص 53)

وسأحد هذا التصنيف نعداً آخر حين سيطر شليغل إلى اللغات الإعرابية على أنها كاملة أو كما سسميها هو ألسن سيلة (ص 86) ويحدد شليغل سلس الألسن الهندو - أوروبية (ومنها الألمانية) في الألسن المكونة طبيعياً بكمية عصبية (ص 57) ودات إعراب، أي لقمة التكوين، ودات التاريخ الصّار في القدم، وهي ألسن في لدرجة العيب ضمن تاريخ تكوين الألسن، على عكس لألسن الأخرى التي توجد في أدنى درجات ستم تكون اللغات (ص 95) وتنقصها ندرة الحياة وعدم التطور فهذه اللغات الأخرى عادة ما تكون اعتباطية وطريقة لصريح فيها نطل ناقصه، وتكوين الكلمات فيها يكون على جانب كبير من التعقيد (ص 97) ويذكر شليغل اللغة العربية ضمن اللغات غير إعرابية معبراً بأن العربية والعربية بالرغم من جلاله قوتها وقوتها في التعبير وكوبها في المراتب الأولى للغات، فهما لا ترميان لدرجة اللغات الهندو - أوروبية لاسيما اليونانية والسكريته (ص 61)

ويأحد الجذر أهميته في اللغات الهندو - أوروبية بعبارة هذه الألسن قد تكونت بكمية عصبية وأنها نتيجة سيج أوبي، لدرجة أن بعد قرون، وفي السنة متفرقة الواحد عن الآخر في بلدان شامعة، مسجد من جديد ومن دون عاء كبير

الحيط الرّبط الذي يجري في المجال لشاسع لأسرة من الكلمات التي يمكنها أن تقود إلى لميلاد البسيط للحدّث الأول⁽¹⁵⁾.

لكنّ عيب صياغة شمله ودقيقة للقواعد العامة المتحكّمة في هذه انتقالات correspondances التي تجمع بين الأصوات والضّيع التحوّية في هذه اللّغات لمقارنة حان دون اعتدّ شليغل مؤسساً للمهّج المقارن⁽¹⁶⁾، وهو ما سبقه به غريم J. Grimm وعرّار بوب بعده

وتجدر الإشارة إلى أنّ قيام المقارنة كمهّج عمليّ مستقلّ ووَضَح المعالم تمّ في نظر جُنّ مؤرّحي اللّسانيّات، مع فرانس بوب (1791-1869) سنة 1816 في كتابه الشهير نظام نصريف السنسكريتيّة ومقارنته بالأنظمة الضرفيّة في اللّغات اليونانيّة واللاتينيّة والفارسيّة والجرمانيّة الذي حلّل فيه بوب لأوّل مرة في تدرّج الفكر النعويّ عدّة لغات من حيث الأصوات والضّيع على أساس المقدرة بينها، وفي سنة 1833 نشر بوب كتابه لضّحّم المعروف النحو المقارن للّغات الهندو-أوروبيّة⁽¹⁷⁾.

وكان بوب يتتبع انطوهر النعويّة باعتبارها أحداثاً طبعيّة مقارباً بين عدة أصناف من اللّغات، مثمّا كان يفعل علماء لطبيعيّات وعلماء لتشريح ولأحياء في زمانه. فالتحوّ المقارن بطرائقه المستفّة تجعله بشه نوعاً من تشريح لنعّة⁽¹⁸⁾.

وبهذا لعمل اعترّ بوب رائد المهّج المقارن. وكان هدفه الوقوف على أصل الضّيع التحوّية في العديد من اللّغات الأوروبيّة من خلال مقارنتها بتطوّرها في اللّغة السنسكريتيّة رغم أنّه لم يكن يعتدّ صعباً أوّليّة. ولم يكن فرانس بوب يعتدّ بلّغتين لإعريقيّة وللاتينيّة وداقيّ للّغات الأوروبيّة متفرعة من النّعة لتسنكريتيّة التي تُجسّدُها التصووص لهنديّة، من عتبرها جميعاً تنوعات صدرّة عن لغة أصلية

Idem, p. 57

(15)

Otto Jespersen: *Le langage*, p. 47

(16)

Franz Bopp *Grammaire comparee des langues indo-européennes comprenant le sanscrit, le zend l'arménien, le grec, le latin, le lithuanien, l'ancien slave, le gothique et l'allemand*, Paris, Impr. impériale et impr. nationale, 1866-1874, nouv. éd. 1885-1889, 5 vol. trad. fr. par Michel Brea.

Idem, p. 4

(18)

واحدة نمكّيب اللّغة السنسكريتيّة أكثر من غيرها، من لمحافظة على العدد من حصانصها وسماتها «إنّ الدّلالة الأوليّة، والثّاني أصل الضّيع يظهر في عدد الأحياء من تلقاء نفسها كنّما وسعاً دائرة هذه الأسحت، وقرب هذه الألس، الضّادرة عن الأسرة نفسها بعضها من بعض وانتي رعم انصت يعود إلى عدد آلاف من السّير، ما تران يحمل لعلامة اني لا يمكن إنكارها على نوبها امشترك»⁽⁹⁾

وتكمن أهميّة ما هام به بوب، أنّه أثبت، منهجياً ونظرياً، الملاحظت الحدسية الواردة عند وليم جوير، وأنّ المقدرة بُمكنها أن تكون موضوع درس لغويّ مستقلّ عن الدّراسات الأخرى المتعلّقة باللّغة مثل، السّحو المعبريّ والفيلولوجيا. يقول بوب «إنّ استعمال الطريقة لعمّة (في المقدرة) تجعلنا نعرف ونشعر أنّ أحياء متنوعة لا تشكّل من حيث امداداً إلاّ سحواً واحداً»⁽²⁰⁾، وبهذه كذلك في مقدمته كتابه المذكور «سأعطي في هذا المؤلّف وصفاً لتنظيم (على شكل عصويّ) organisme مختلف الألس المذكورة في عنوانه، وأن أقدر بين النّوابع اللّغويّة التي لها الطّبيعة نفسها، وأن أدرس «نقو بين «ميرقيّة والآله اني بحمي هذه الألس، وأن سحت عن أصل الضّيع اني تعتبر عن اعلافات السّحوة»⁽²¹⁾ ومع بوب أصبح بالإمكان تفسير كثير من الظّواهر الصّوتية والصّرفيّة في لغة معيّة، استنداً إلى الظّواهر نفسها في لغات أخرى؛ أي بوصيغ لغة لغة

تقوم اللّسانيات المقدرة على فكرة أساسية معاده، أنّه من الممكن بواسطة مقارنة العناصر السّحوة للغات (من هنا جاءت تسمية السّحو المقارن) وضع مجموع قواعد التّقابلات بين أصوات الألس وصيغها، ثمّ إعادة سائها بدووصول إلى عناصر نظورها، أو على الأقل تطورها في صورته العامّة لغة أم/لغات كبرى/أسر لغويّة⁽²²⁾ يقوم المنهج المقارن على اختيار معطيات لغويّة في ساد

(9) F Bopp *Grammaire comparee* p 2 voir aussi Otto-Jespersen: *Le langage*, p 49

(20) Ibid. p 3

(21) Ibid p 1

(22) M Anne Paveau et Georges Elia Serfati: *Les grandes theories de la linguistique* p 10.

محدد تكون عبارته عن وحدات نعوية قديمة نسبياً تتم مقارنتها بما مماثلها في لغات أخرى لدعوى على درجة قرابتها وسمة الصلة بينها في مستوى من المستويات النعوية المعروفة (صوت - شقاي) أما رعاية من المقارنة فتكمن في التوصل إلى الضيعة، أو لصنع النعوية التي يفترض أنها الضيعة الأقدم، أو أنها تشترك لأصل المشترك الذي تفرعت منه الضيعة المقارن بها في هذه اللغات وقد ينتهي باحث لمقارن إلى نتائج نهائية على شكل افتراض عام مفاده أن هذه الضيعة المقارن بها قد تكون محدثة من أصل واحد.

ويطلق المصطلح لمقارن من معطيات قد تكون وعبته؛ أي وحدات نعوية محققه فعلاً تنتمي إلى لغة معينة في حالة معينة راحة أو قديمة، وقد يكون افتراضية؛ أي يتصور على أنها الأصل الذي انحدرت منه ولا علاقه بها بالواقع النعوي. ويعرف هذه لصيغ الافتراضية في أدبيات المصطلح لمقارن بالنسبة إلى عائلته لعونة معينة بالنظر الأولي Prototype

وساربت المقارنة بين اللغات في اتجاهين محتملين ومكاملين في بوقت ذاته اتجه بهدف إلى المقارنة بين اللغات الأوروبية ولغة التسكريبية وهي مقارنته خارجية

- اتجه يروم المقارنة بين لغات لأوروبية فيما بينها دون غيرها، وهي مقارنته داخلية

ومن النتائج المباشرة للنسائيات المقارنة أن مدرس النعوي تنقل في هذه المرحلة من أسئلة عن أساسات الجودة والشمية في لغة معينة إلى تساؤلات عن حقيقة الموضوع النعوي، وهو ما يعني لديه الاهتمام بحقيقة اللغة كما تجسدها النصوص والوقائع لا كما يجب أن تكون؛ أي أن المرحلة بمقارنة شكلت ندابة تحثي عن نظرة المعبرة في التعامل مع قصاصات اللغة

3. غريم وقانونه الصوتي

ظهر في انذارك سنة 8.8. كتاب في مجال المقارنة اللغوية يصارع في جوب عديده الآراء والتحليل و نتائج التي سطرها النعوي الألماني فراسر

بوب، بتعلق الأمر بكتاب راسموس راسك (Rasmus Kristian Rask 1782-1832) وعنوانه *Investigation sur L'origine du vieux Norrois ou Islandais* صاحبه مختلف مظاهر اقترانه بين عدد من اللغات الأوروبية، دون أن يعرض بالدراسة لبعض التسكربتية والهرسية، لأنهم كانوا في اعتقاده من فصله واحد. ويمتد مؤلف راسموس راسك بالتحقيق العميق الذي سار عليه، ويتمثل ذلك في ربطه بين اللغة لأيسلندية واللغات الإسكندنافية والجرمانية واليونانية واللاتينية والليتوانية والسلوفينية والآرامية، مُتَّجِداً في مقارنته بين هذه اللغات عن بعض القصاص اللغوية الزائفة مثل البحث في اللغة الأم أو البحث في أصل اللغات واكتفى راسك بالبحث عن الصورة الأولى الأكثر احتمالاً للغة التي تكون اللغة الإسكندنافية قد صدرت عنها وأغبر بعض مؤرخي اللسانيات مؤلف راسك أفضل عرض لمصيح التحقيق في مادة البحث الأساسي كُتِبَ في النصف الأول من القرن التاسع عشر⁽²³⁾

وجدير بالإشارة إلى أن راسموس راسك اعتمد في كتبه استألف الذكر مادة لغوية أكثر اتساعاً من تلك التي اعتمدها بوب في مؤلفه نظام التصريف فقد رجع راسك إلى مواد لغوية مستمدة من أبحاث لغوية سابقة لإثبات علاقة اللغة لأيسلندية Islandais باللغات السلافية Slaviques والبلطيقية Baltique واليونانية و اللاتينية على نحو ما نجد في مقال تورغو Turgot في الموسوعة كما ذكرنا ذلك سابقاً

إلى جانب بوب ورأسك، نجد جاكوب غريم (Jacob Grimm 1785-1863) الذي نشر سنة 1818 كتاباً بعنوان نحو الجرمانية *Die Deutsche Grammatik*⁽²⁴⁾

(23) Otto Jespersen Le langage, p. 39

(24) في أدبيات اللغوية تاريخه والمقدمة خلال القرنين الثامن والتاسع عشر، لا بشر عبارته *Deutsche Grammatik* نوارده في عنوان مؤلف غريم، إلى اللغة الألمانية كما هي اليوم فقط، ولكن إلى اللغات الجرمانية التي تضم اللغات النوطية والإسكندنافية والإنكليزية والهولندية والألمانية (انظر يسمون للغة، هامش ص 40 وكسك بلومفيلد للغة، ص 19 انظر لغوي)

عاج فيه أهم لمسائل المتعلقة بنحو اللغة الجرمانية في تنوعاتها «قديمه والحديثه مصيغاً إليها دراسة مقارنه للخصائص المميزة للغة لإسكندنافية. وفي الطبعة الثالثه للكتاب التي صدرت سنة 1822 أضاف عريم فصلاً جديداً بحث فيه مختلف أوجه العلاقة بين الصوامت Consonnes في اللغة لألمانية وما يقابلها في لغات لهدو-أوروبية، مُنتهياً إلى وجود علاقة ثابتة تتحكم في تقابل أصوات لغات الهدو أوروبية وتتوصيح خلاصة التقدمات الصوتية التي يوضح إنيها عريم نُشر إلى أن نطق الصوامت في اللغات الآرية يعتمد ثلاثة محارج أساسية هي⁽²⁵⁾

- محرج خنخري

مخرج أساني

مخرج شموي

وستح هذه المحارج تدعى الأصوات P /T K ولكل محرج طريقتان
نطق هذه الأصوات الثلاثة

نطق شديد Dure

نطق رحو

وفي بعض اللغات آرية وليس في جميعها، يكون هذان لُتْظْفار مصحويين
سوع من لهائنة Aspire وفي السكربتية مثلاً، يتحقق نطق الأصوات السانفه
كالتالي

- الصوامت الشديدة P K /T

الصوامت الرخوة أو الوسطى G D B.

الهائيات Aspirées الشديدة /Ph Kh, /Th.

الهائيات الرخوة Gh, Dh, Bh, وهو استوع الأكثر نوتراً وأهميته

(25) Max Muller *Nouvelles leçons. sciences du langage*, II Paris. A Durand et

Pedone Laurel Libraires Éditeurs, 1867 v o 1863, p 251 et suivantes.

ويوجد في النعت اليونانية واللاتينية و لقوطية والسلافية ما يُشبه هذه التسق مع اختلافات متناهية الأهمية

ومفردة الأصوات لسالفة الذكر، تشيع لغيرم أنه انطلاقاً من جدول المشتركة بين النعت المذكورة، يلاحظ أنه حتماً ينطق اليهود واليونان أصواتاً هائبة، من الفوطيين والأنكلوساكسونيين ينطقون صوامت رحوه كما تنصح في الجدول لتلي

التسكربتية	Ph	Th	Kh
القوطية	B	D	G
الألمانية القديمة	P	T	K

حيث تنطق النعات للآبسية والتسكربتية والإعريفية و للتونبية والسلافية والسليبة الصوامت المتوسطة، أي بين الرحوه والشديدة، سما تنطق الفوطية الأصوات نفسها صوامت شديدة K T P⁽²⁶⁾

ويمكن تلخيص هذه التباينات في جدول عام على النحو الآتي⁽²⁷⁾

	1	2	3	4	5	6	7	8	9
Sansk	gh (h)	Dh (h)	Bh	(h)	g	d	b	k	Ip
Latin	hf (gv)	f (db)	f (hg)	d	b	c	qa	t	p
Irandaia	g	d	B	g	B	b	c (ch)	t	p
Slave	gz	d	b	gz	d	b	k	P	
Li huamen	gz	d	b	gz	D	b	k	T	P
Gothique	g	d	B	k	T	P	h g	f th	D fb
Anci haut a lemand	k	t	p	ch	zz	f gh	H g	k d	fh

وعرفت هذه لموعد مدققيها وصطلها وطاقها لتعميمي فالت شهرة واسعة

Idem, p 254.

(26)

Idem p 282

(27)

وشُمِثَتْ بقانون عرسم *Lois de Grimm* ويُعدّ قانون عرسم من أهمّ المسجرات اللغوية في المرحلة المقارنة

وتمكّن العالم التعويّ الذائمركي كارل فيربر *Karl Verner* سنة 1875 من تطوير قانون عرسم حين عمل على صوغ قواعد جديدة تُقدّم تفسيراً لما لاحظته عرسم في صوته من شذوذ بغتري بغض لتقابلات الصّوتية. لقد لاحظ فيربر أن لتفادلات التي تبدو شاذة مثل *d* في الموطبة و *t* في الألمانية هي في وقع الأمر تفادلات مقلّدة، إذ أحدهما يعين الاعتبار موقع السر في الكلمات المعانة لها في اللغة السّسكرتية كما يتضح في أمثال ليلي

السّسكرتية *ptar* الفوطبة *fader* لألمانية *fater*⁽²⁸⁾

4. سمات المرحلة المقارنة

4 1 التأثير بالعلوم الطبيعية

سيُف الإشارة إلى اطلاع بعض اللّغويين المبرزين على المساهمات المتّعة في العلوم الطّبيعية وعلوم لأحياء واهتمّيات وسه علماء اللغة في القرن التاسع عشر إلى النتائج لعدمه التي توصّل إليها المحتضنون في هذه العلوم بمصل الأسس المسهجة لحديدة المعتمدة في لتصف الجديد لكل أنواع الكائنات من حيوانات ونبات التي وضعها كل من كوفيه *Cuvier* (1769-1832) و *Linne* (1687، 1772)

و تُسع نطاق الاطلاع على المساهمات المسعة في العلوم الطّبيعية التي ميّزت لقرن التاسع عشر حتى بلغ درجة التأثير المباشر لهذه العلوم في الأبحاث اللغوية وفي هذا لسبق سعى كثير من اللّغويين إلى إقامة نوع من الشّماثل بين لنبات والكائنات الحية

وعلى هذا الصّواب بدأ اللّغويون في لمرحلة المقارنة ينظرون إلى اللغة مُرؤدين مُغطّيات العلوم لتجريبية الحدسة، لاسمًا لعلوم لطّبيعية منها، فعرفوا

Bert I Malmberg: *Les nouvelles tendances de la linguistique* Paris, P.U.F., 1966. (28)

اللغة بأنها جهاز عصوي Organisme مثل باقي الكائنات الحية، لأنها تتكوّن من عناصر لها وظائف محدّدة، إضافة إلى كوّنها مثل باقي الكائنات في الحياة، تنشأ وتترعرع، ثمّ تكبر وتموت. وكان اللعوي شليغل أكثر المتحمّسين للمهج الجديد في العلوم الطبيعية، فكان أن دعا إلى تشريح النّعت كما تُشرّح باقي الكائنات في علوم الأحياء

إلا أن التأثير الحقيقي للعلوم الطبيعية وعدم الأحياء في الدّرس اللعوي لم يظهر حدّيّ إلا بعد ظهور كتاب تشارلز داروين Charles Darwin (1809-1882) الشهير أصل الأنواع سنة 1859. وكان شلايشر August Schleicher (1823-1868) أكثر اللعويين حماسة وتأثراً بالمهج الدارويني⁽²⁹⁾ وقد دفعه تشبّعُهُ بالداروينية إلى رفضه اعتبار علم اللغة من العلوم الاجتماعية، بل عدّه من العلوم الطبيعية إن النّعة، في نظر شلايشر، جهاز عصوي وليست ظاهرة اجتماعية إنّها ليست حدثاً Fact إنسانياً، وإنّما حدث من حوادث الطبيعة، أي إنّها جهاز عصوي طبيعيّ يوجد في استقلال تام عن إرادة الأفراد المتكلّمين بها وباء عليه، واللّغة خاصيّة في سببها وتطورها لقوانين النّشوء والارتقاء، وهي القوانين دأبها التي تتحكّم في تطوّر الطّواهر الطبيعية

وبعد اللعوي شلايشر مجدّداً في المهج المقدّر من خلال إدماجه لرؤية التاريخيّة في صلب المقاربة المقارنة. وتشكّل كتاباته العديدة والمسوّعة⁽³⁰⁾ تركيباً عاماً وتجاوزاً منهجيّاً للمقاربات التي قام بها كل من رامسك وبوب وشليغل وغيرهم من المقربين ويمكن رسم معالم التّجديد اللعوي في فكر شلايشر في مسألتين لهما قيمة منهجيّة كبرى. تتمثل الأولى في إدخال خطاطة شجرة النّسب إلى البحث اللعوي، أي ما أسماه شلايشر بالشجرة السّلالية (الوراثية) Strambaum للّغات الأوروبيّة، مقترحاً تسلسلاً تكوينيّاً génétique دقيقاً جدّاً

(29) A Schleicher *La theorie de Darwin et la science du langage* Weimar, 1863, Repris in Pierre Tort *Evolutionnisme et linguistique*, Paris, Vrin, 1980

(30) نذكر منها، أبحاث حول لغات أوروبا (1850)، النّحو التاريخي للألمانية (1860)، مختصر النّحو المقارن للّغات الهندو - أوروبية (1861)، النّظرية الداروينية وعلم اللغة (1863)

(لغة الأم/ لغة الجدع)، أما إسهامه الثاني فيكم في قوله بإعادة بناء لغة الهدو-أوروبية الأولى المعترضة، وهو الافتراض الذي يعتقد صاحبه أنه يُعكّر، من الموقف على اللغة الهدو-أوروبية الأولى

ويجج شلايشر في نقل مفومات مهج التريح لظيحي Histoire naturelle المعتمد في علوم الطبيعة والأحياء ومصطلحاته إلى مجال لدرس اللغوي لمصدر وللتذكير تحصع هذه العلوم لمبدأ تصنيف الكائنات الحية بحسب الجس واسع وفق منطق التسلسل الوراثي والتكويني، إن الكائنات الحية من أقنأ تعفياً إلى أكثرها تحصع في حوهرها إلى مبدأ التوالد؛ أي أن الكائنات يتولد بعضها من بعض عن طريق لتحوّل الطبيعي، وأن كل تعبير في العالم العضوي Organique والعالم غير العضوي يكون ناتجاً عن قانون الطبيعة وليس صدفة أو معجزة. فالتوالد اللغوي مثل التوالد البيولوجي للكائنات الحية وهكذا أصبح يقال بأن الفرنسية والإسبانية والإيطالية انحدرت من لغة لاتينية، ومن لغة الجرمانية لأولى انحدرت الإنكليزية والألمانية والنرويجية، كما انحدرت اللاتينية والجرمانية الأولى بدورهما من لغات قديمة لم يعد لها وجود

وسعيّاً وراء تطبيق آرائه بشأن اللغة الهدو-أوروبية لأم، قدم شلايشر حكايات أسطورية كتب بمصونها لغة غير الجرمانية والتسكريدية المعروفين معتبراً أن ما كتبه يُعدّ بمثابة اللغة الهدو-أوروبية الأولى المشتركة ومن الواضح أن مثل هذه المواقف لا يضمنُ طويلاً أمام الواقع المعلي للغات، بالنظر إلى أن القابع الاجتماعي والإنساني للغات البشرية غير قابل للاختصار بهذه السهولة والسطاة اللتين يعكسهما تصوّر شلايشر القائم على ملاحظة مظاهر التشابه السطحي بين اللغات والظواهر الطبيعية الأخرى.

2.4 التصنيفات اللغوية

أدى هذا النشاط اللغوي الممروج بالمعارف العلمية الجديدة إلى ظهور بحث لغوي مُتميّز سياً عما سبق الحديث عنه في المرحلة التوفيقية، وبقيصُ بذلك تصنيف اللغات Classification des langues في فصائل (أسر وعائلات) تجمع بينها علاقة قرابة مباشرة أو غير مباشرة

وللتذكير، فقد ظهر أول التصنيفات اللغوية مع م وضعه كريستوف أدلونغ Ade.ung (1732-1806) قبل قيام المصنف المقارن، وهو تصنيف قائم على معايير جغرافية، وأخرى لغوية. فهناك لغات أمسوية وأخرى أوروبية، وأخرى أميركية ورابعة إفريقية، كما أن هناك لغات أحادية المقطع وأخرى ثنائية المقطع وهناك لغات إعرانية، وأخرى غير إعرانية وتمكن أدلونغ في مؤلفه هذا من حَمْع معطيات لغوية هامة تتعلق بحوالي خمسمائة لغة ولهجة أوضح نسبتها لعامة وأصلها الجغرافي والتألي⁽³¹⁾ ويُعدّ معجم أدلونغ من أهمّ الأدبيات اللغوية التي ساهمت في ظهور المصنف المقارن مع بوب ومن جاء بعده وتثبيت الحقائق التي جاء بها وإذا كان تصنيف أدلونغ يقوم على الحدس والملاحظة الاحترازية للغات، فإننا نجد تصنيف بوبية أخرى لم تكن موضوعية، وإنما قامت على اعتبارات عرقية وصحة تبث عن حكم مسبق وأحكام قليلة جاهرة واحتداد سير للحصارات عبر الأوروبية، على نحو مَرَب في التصنيف الذي وضعه شليغل وقابل فيه بين قسمين من اللغات

لغات بيعة وهي التي بدأت وتكوّنت عضوياً وتشمل م تفرع من التسكريدية من لغات قديمة ومنها لجرمانية وهذا هو ست الفصيد طبعاً لغات ناقصة، وهي اللغات التي ليس لها إعراب كاللغة الضمنية واللغات الهسبة في أميركا التي وضعها في أدبي المراتب

كان شليغل يقول بأن كلمة لتسكريدية تعني لغوياً «المؤدبة براقية لكاملة»⁽³²⁾، مما يدل في نظره، على أن اللغة الجرمانية أقرب من أي لغة أخرى إلى الكمال⁽³³⁾ ويعومُ تصوّره كما أشرنا آنفاً على نوع من العصبية والحماسة للقومية الألمانية الصاعدة، لأنه مثل غيره من اللغويين الأسبان يرى في أوروبا لجرمانية مركز الكون⁽³⁴⁾

(31) يستل الكتاب الذي وضعه أدلونغ بمساعدة Vater وغيره من لغويي هذه الفترة Milbridates طبع في برلين م بين 1774، 1786 ويحمل اسم المعجم بشرطيات على اسم ليوندي مشهور. بلقائه لهجات معفكة اباعة السب وعشرين لهجة

(32) F. Schlegel *Essai*, p. 1

(33) Idem, p. 79

(34) جورج مودن تاريخ اللسانيات، ص 168 ترجمة عربية، دمشق، 1972

كما ورث لذرر اللعوي من شلبل تصنيفه اللغات إلى لغات متصرفة ولغات بدماجية ولغات عدله وفي هذا لتصنيف اعتد لتطور اللغات التاريخي وقد تشبه اللعوي همبولدت وما يراا الباحثون في تدرج اللغات يعتمدون هـ تصنيف حتى يومنا هـ .

وكان للمفكر الروماني الذي عبّر عه أدرر أدباء ومفكري أديب أمثال عوته Goethe (1749-1832) وهيرل Hegel (1770-1831) وهيردر Herder (1744-1803) دور كبير في تشييط الأبحاث المقارنة والذفع بها إلى وق أوسع وأرحب بحث عن مثلي فكرنة ومعرفنة تدكي روح الوطنة الجرمانية المناخجة و لمنعطفنة إلى الفنام بأدور سبسية حديدة في أورور لدا سم يكر التحليل اللعوي بصفه عاقمة معرولاً عن التطلعات لإيديولوجية الوطية للألمان⁽³⁵⁾ ومعروف أن لرومانية الألمانية حركة فية قامت صد الكلاسيكية وكانت ترفض بقم والمعاير لسة في مجالات الفكر والأدب والعر بدعوى أن هـه العم لمي سادي بها الكلاسيكية ليست مطلقة، وأن الإبداع عير قابل لأن يفس باسمعاير التي وصعنها الكلاسيكية، بل إن من حق كل إنسان أن يحدد حوده بعمل الفني كما يراه هو وفق منظور فيمه ومعييره لا معيير غيره

وهكذا مدعمت لمباحث اللعوية المقارنة بأفكار لرومانية التي سادت الأدب والفكر، ولا سعلال السبسي للتدنج المتوصل إليها في المباحث اللعوية مقارنه في ألمانيا على وجه الخصوص فتقسيم اللغات إلى متصرفة (اللغات لأوروية) وعارلة (اللغة الضبسية) وادماجية (اللغة لركبة) يطر إليه من حلال عشار اللغات المتصرفة وتمثيها اللغات الأوروية، ديبلاً في نظر أصحاب المقارنة والتصيمات للعوية على تفوق الحصاره الأوروية عمومًا والحرمانية خصوصاً، والتي تشكل اسباء للعوية الثام النصح لدي يمكن أن نصل إليه لغة م، لتعبر بكل دقة عن المبرر الذهنية و لأدبية الخاصة بمكلمها من دون سواهم

4 3 اللغة الأولى

كان هدف المقربين من خلال مقاربتهم المتعددة الوصول إلى اللغة لأمة *Langue mere* قصد إعادة بناء الصورة العامة التي كانت عليها اللغة الأم للعب لهندو أوروبية لكن رعنهم في الوصول إلى هذا الهدف دفعهم إلى ارتكاب العديد من الأخطاء المبهجة بسبب آرائهم المنسجمة بانغلو والتعسف في التأويل والتعصب العرقي

ودهب للعوّي شلابشر أحد من غيره حين دعا إلى البحث فيما أسماه باللغة الأولى *Ursprach* وهي اللغة التي تمتلك خصائص مشتركة للعب الهندو أوروبية الأولى وكان افتراض اللغة الأولى بمثابة عهد جديد للبحث المقارن الذي بات من غير الممكن إحراؤه، إلا في إطار رؤية تاريخية تطورية تكون قادرة على إعادة بناء اللغة الأولى عن طريق مقارنة الضيق الموحدة في الأسر العونية العرعة وتفسير مظهر التسلسل لتكويني بين اللغات المتقاربة وعلاقات استمرع واستوالد يسها، بطلافاً من مصدر عويّ واحد هو اللغة الهندو-أوروبية الأولى

5. مأخذ على النحو المقارن

بالرغم مما حظي به النحو المقارن من شهرة عمت أوروبا بأسرها وديوع أعمار نوب، فقد وُجّهت للنحو المقارن جملة من العيوب والأخطاء المعرفية، وهي أخطاء نظرية ومهجة من حيث أصحابها جوهر المقاربة المقارنة ذاتها، وبجعل أهميتها بسية في الزمان والمكان، إذ أنها لا تستحق من لمطور العملي كل هذا التمجيد والترحاب الذي لقيه وتوجه بعضهم⁽³⁶⁾ بالنقد مباشرة لمؤسس النحو المقارن نفسه الذي أقام صرح النحو المقارن في نظرهم على حمله من لأخطاء النظرية أو التصورية والمهجة فمن الأخطاء النظرية يمكن أن نورد

أولاً غياب تصوّر نظري محدّد لمعالجة التطور اللغوي من وجهة مقارنه،
ثانياً بحدت نوب ولم يكن بإمكانه أن يملك رأياً علمياً ومهائناً حول شروط التطور

(36) Paul Regnaud *L'etat actuel de la linguistique indo-europeenne* Paris. Armand Colin et Cie. Editeurs. 1895.

للعموي من وجهة النظر الصوتية والدلالية، أكثر من هذا وذلك لم يكن بوب يملك إلا حثاً ضئيلاً عن التحو التاريخي. وأن سهامه وإبدعه الأساس تمثل في تطبيقه لدمج المقارن في دراسته لألس الهندو أوروبية، وهو في هذا لا يختلف كثيراً عما كان يطلق منه العديد من المقارنين في هذه الفترة من إحساس وحس تشابه سبب اللعوية. وما يوجد في عمل بوب في مجمله ليس أكثر من فكره عامة تمثل في أن لغة تاريخاً أو سيره مشروطة بقوانين⁽³⁷⁾

أم المقارنة بين بوقائع اللعوية من الباطنية العممية الدقيقة، فيجب أن نحصر لمبادئ عممية دقيقة وصارمة، تهين سرور سبق معين، وهو ما لم يكن متوقفاً عند بوب فالمقارنة عند بوب، كانت مسوقة بطرائف عامة موجهة لتقديم لعناصر اللامعة للمقارنة دنها⁽³⁸⁾ وقد أدى هذا «حيث النظري المحدد» إلى المقارنة بين الألس، فإن النظريات اللسانية عند بوب ومن جاء بعده لا تشكل حسماً من لتصورات التي تتناقض فيما بينها مختلف آخرتها حول مبدأ واحد ووحيد⁽³⁹⁾

ثانياً اعتماد فرصيات حادثة بشأن عدم اللعة السنسكريتية «واقبول بالحركة لصاتته vocalisme المردوحة في الألس لهندو أوروبية كان به نتائج متقصية وهذا القول يريد الأصوب ويقويها أحياناً وينقصها أو يقلصها أحياناً أخرى، وبهذا تم إبعاد ردّ التطور الضوني في هذه لأسرة من الألس إلى مبدأ ورّة⁽⁴⁰⁾

ثالثاً افتراض حدوث أولية في لسنسكريتية كأساس المقارنة بين اللغات الهندو أوروبية، فالتحو المقارن يحاوي ردّ الصيغ في مختلف الألس المقارنة أسرياً إلى ما هو أبعد من هذه الجذور سنسكريتية المفترضة، وبحال أن عيوب هذا الافتراض تظهر بشكل أبرز عندما نحصل من وجهة نظر تجريبية حادثة أن هي تبت لجذور الشهيرة التي صعدت في ليل لأرمان، وددت الأطر المثانة،

Idem, p 8

(37)

Idem, p 5

(38)

Idem p 4

(39)

Idem, p 6

40)

والتفرد الملح، إن لم نكن في أدهن مؤلفيها؟ فصيح لحدود سواء بقيت معرفة، أو أحادية المقطع تظهر بمتظورة بسبب الاشتقاق، وتظهر في الوقت نفسه تنوعاً يكشف اختلافها الترمية وعدم دقة الحدود التي تميزها فيما بينها⁴¹

رابعاً عتبر البدائل الصوتية les variantes phonétiques

أف من اتاحية المسهجة الضرف، فيمكن حصر بعض عيوب المسهج المقدون فيما يلي

أولاً عاب اتوافقة للعمية مقاس العديه العائقه بالتفصيل والحريثات ثانياً عدم القيام بالمحصص لكافي لمعطيات النحاة اليهود القدماء سواء فيما يتعلق بمسألة التقوية الصائنية renforcement vocalique أو فيما يتعلق بتحليل لصيغ والاشتقاق ولا يمكن أن يوضح هذا أكثر من اللبوة التي تساهم من دون حصر كفي لمعطيات النحاة اليهود القدماء، سواء فيما يتعلق بالتقوية الصوتية، أو بتحليل الضع أو الاشتقاق⁽⁴²⁾. فالاهتمام بكروبولوج الضع بم يكن ضمن مجالات اهتمامهم ولم يطرح لهم أي مشكل أو على لأصح لم يحظر هذه الفكرة على نالهم مثلاً لطريقة المتبعة فيما قام به بوب تتمثل في تقطيع بصيغة الواحدة bharati (يحمل) المصرفة لعائات امفرد الحاصر (indicatif) ولجذر bhar ثم اللاصقة a والعلامة الدالة على الشخص a التي يتم إنصافها فيما بينها بعد مرحلة أولية عبر معروفة كانت كل وحدة مفصلة أو مستقلة حدها عن الأخرى ويبدو أن هذا لتصور الأوروبي لطريقة لتحليل اللعوي القديم عند اليهود ليس سوى مجرد تخمين ربما لم يكن موحوداً في أدهن النحاة اليهود أنفسهم⁽⁴³⁾

وفي جميع لحالات، فإن تدرج لصيغ لم يكن و رداً وإن التحليل يدي قيم به في هذا الاتجاه لم يكن يحمل أي معلومات عن لحالات سابقة لنعة استسكربتية، وربما لم يشعر النحاة اليهود أنفسهم بأن النعة التي يستعملونها تختلف عن لغتهم في مرحلة سابقة⁽⁴⁴⁾

Idem. p 7

(41)

Idem. p. 5

(42)

Idem. p 6

(43)

Idem. p 6

(44)

ورد، كانت المقارنة بين اللغات تقوم من حيث المبدأ على كثير من الوصوح والدقة في الوقوف على علاقة المرادف، فإنها في مستوى بعض الظواهر اللغوية، لا تسمح دائماً بالوصول إلى إثبات القرابة بين هذه اللغات بكيفية يقبلها العقل والمنطق اللغوي وتؤكد الوقائع اللغوية

ومن الظواهر المصنفة في البحث لمعارف

الأصوات لمحاكية لطبيعة (أونوماتوبات (Onomatopée)

- الاقتراض بين اللغات (Emprunt) الذي كان مصدر العديد من الأخطاء والمعالجات في مجال المقارنة

لتشابه الحاصل مصادفة أو اعتباطاً بين بعض لصيغ اللغوية التي تسمى إلى نعت منباعدة إن كلمة Bad في اللغتين الفارسية والإنكليزية تعني الفسخ، mechant، كثر اشتقاق هذه الكلمة في كل منهما بسبب خطأ مثل هذه الاستنتاجات⁽⁴⁵⁾

في هذا السياق، نضم موقف دو سوسير في المحاضرات من المنهج المنطوق حين يقول «إنه يؤدي إلى مجموعة من التصورات الحاصلة التي لا تتطابق ولحقائق اللغوية، وهي تصورات غريبة عن الشروط الحقيقية للغة»⁽⁴⁶⁾ ومع ذلك يمكن القول إن الدراسة اللغوية لمقارنة مكنت من الانكشاف الصريح على بعض اللغوية، وبعد تدخل الفكر المنطقي والمطقي في معالجاتها مقدرة مع ما اتسم به الفكر اللغوي بأن المرحلة النوعية، ممهدة الطريق نحو استقلال تدريس اللسانيات ونشأته العلمية لا سيما مع طبقة جديدة من اللغويين الألمان الذين نادوا بمنهج جديد في البحث اللغوي هو المنهج التاريخي

(45) J. M. Filippi *Initiation à la linguistique et aux sciences du langage* p 27

وفي هذا الإطار نذكر كذلك الأوهام التي سقطت فيها كثير من اللغويين العرب وهم يعدون بين لغات أوروبا واللغة العربية (الكرومي حرجي ريدان عبد الحق فاضل وغيرهم) انظر كتاب اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، مكتبة بدر من دمشق واسوري، لدار البيضاء، 2006

(46) ج. هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث، ص 128، دو سوسير، المحاضرات، ص 7.

الفصل السابع

اللّسانيّات التّاريخيّة

الإطار العامّ

يرى بعض المؤرّخين أنّ ظهور المذهب التاريخيّ ابتداءً من 1875 يمثل في جوهره انتقال البحث اللّغويّ في أوروبا من مرحلة فلسفيّة، يُعدّ المفكّر الألمانيّ همبولدت رائدهم ندون مزارع إلى مرحلة جديدة لم يعد ينظر فيها إلى اللّغة في سياق الحياة الرّوحية الكلّيّة لمجتمع وثقافة، بل أصبح ينظر إليها مثل أيّ جهاز عصويّ طبيعيّ، وبذلك دخل محل بدهيّة مسبقة قديمة خاصّة بتدريج الفكر، بدهيّة مسبقه حديثة خاصّة بالعلوم الطّبيعيّة⁽¹⁾.

وتتجنى ملامح الانتقال من فكر لغويّ تأمليّ فلسفيّ إلى فكر تاريخيّ من خلال التحوّل التّوعّي في طبيعة الموضوعات اللّغوية المدروسة، وذلك بالانتعاد عن البحث في المصاميم العامّة مثلما هو الأمر بالنّسبة إلى مفهوم النّية الدّاخلية للّغة، وعلاقة اللّغة بالتصورات وإدراك العالم الخارجيّ (همبولدت ومدرسته بالأساس) للبحث في البنيات الظّاهرة للّغة (البنية الصّوتية والنّية الصّرفيّة) التي أصبح ينظر إليها على أنّها موضوع مُغطّى قابل للمعالجة باستقلال عن عوامل أخرى وبعبارة أخرى، توقّف البحث اللّغويّ عن الاشتغال بمشكلات فلسفيّة عامّة (التّحوّل العامّ والمفهميّ) ليتجه نَدَلْ ذلك إلى معالجة بعض الظّواهر اللّغوية الخاصّة والمحدّدة⁽²⁾.

(1) ج هيبش، تاريخ علم اللغة الحديث، ص 28

(2) المرجع السابق، ص 28

ولم تكن همبولدت عالماً سائياً بحث عن وضع قواعد أسية الداحلية للغة انني طالما تحدثت عنها⁽³⁾، بل كان هدفه الكشف عن مختلف العلاقات بين هذه أسية الداحلية ومسعمل اللغة في إطار التفاعل بينهما تصويرياً وحصارياً وفق ما يسميه كل شعب من عفتة مختلفة م يهتم همبولدت في اللغة ليس هو اشكل المعوي أو السه للعوته في حد ذاتها، وإنما لسه الداحلية للغة باعتبارها تشكلاً داحلاً للعالم لواقعي إن اللغة ليست عملاً فقط، بل صفة وشاط بداعي متحدد، وبالتالي فهي إنتاج توليدي⁽⁴⁾ فالحركته والتحدد أهم ما يمتز اشكوت المعوي عند الإنسان أم الشوك الحيواني منسب لآلة والتكرارته ولا يتحور نسه الوظائف العبرية و لتفادته

قد اهتم همبولدت أساساً بتفسير مختلف الجواب لمتعلقه بعقلته لآته وبصورة المشكلة لإدراك لعالم الحارحي من خلال أسية للعوته فكل لغة هي في العموم بحسب همبولدت، رؤيه حاضيه للعالم الحارحي بكل أبعاده ومكوناته ومن ثم، فإن تعلم لغة ليس في الواقع إلا تعلم تجارب إنسانته جديدة لقد كان همبولدت فيلسوف لغة بامنيار جعل من لبحث المعوي محوراً مركباً من محاور لبحث في تاريخ الفكر والثقافة بصفه خاصة وقد حاول همبولدت تقديم بصرية عامة وشاملة عن اللغة لشربة بذلك لم يعرف عه أنه قدم بدراسة لظاهره عوثة معينة لمد كان هدف همبولدت «طرح الأسئلة الفلسفية التي تثيرها، لاكتشافات المعوثة المتأخرة التي بحض العلاقة واشتق في الأنماط السيوة التي بعتمدها لغات الشر ومحاوله الإجابة عها»⁽⁵⁾ إنها أسئلة بسيطة أحونها أعسر وأشق على كل مهتم ومن هذه لأسئلة كم مر ما في فصل سابق عن همبولدت

لماذا تختلف الأنظمة التركيبية بدرجة إلى اللغات؟

على أي أساس تطوّر اللغات وفق مسار معين؟

(3) W. Von Humboldt *Introduction à l'œuvre du Kawi*, Paris, Seuil, 1974, 835.

و نظر فصل الثاني بمتعلق بظن لاجمعي بعه

(4) Humboldt *Introduction à l'œuvre du Kawi*, p. 183.

(5) أعلام الفكر المعوي، ج 1، الفصل الثاني عشر، جون همبولدت و لتسوع المعوي،

ص 227 ترجمه أحمد شاكر الكلاي، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، 2004

— لماذا تتكلم الشعوب لعدت لها سياج مختلفة ؟

- ما أثر الأنظمة التركيبية في أفكار الشعوب التي تتكلم بهذه اللغات ؟

إن عمل هوسونب ومن سار على هديه أمثال فوسير Kar. Vossier (1872-1949) لاحقاً يندرج في إطار الأعمال الفكرية (لغة/ أدب فلسفة) لأوروبية عموماً والألمانية بصفة خاصة التي تُوصف عادةً بالرؤمانيّة التي هُجست هذه عبر قصيرة على لأوساط لفكرية الألمانية وفي هذا الجوّ الفكريّ لعدت ظهرت يدن، مواد مرّحلة جديدة ترفض العديد من الأفكار التي سادت لمرحلة المقارنة

1. أوهام المقارنة

يرفض النّحاة يجدد ذعاءات أسلافهم ومعاصريهم من المصربين ليدن فوسر، إن اللّغات القديمة أسل وأشرف من اللّغات الحديثة التي لا تتوافر فيها وضع ضرفية، ولا لحالات الإعرابية لموافرة في العديد من اللّغات العريقة مثل ثلاثية والإعرافية والحرمانية ويرفض رّود المسح التاريخي لتدّيح بموضّل إنبي بشأن أصل اللّغات ورفض اعسار ندعة الشسكرية للغة الأم بجميع اللّغات الهندو أوروبية، لأنها تقوم على بصورات حالته لا يمكن إثباتها عمياً ويسر بها في لوفع اللّغوي ما يدعمها

ب. بوب وشلايشر على برّعم من أهميتهم ودورهم في تطوير البحث المصرب، يمثلان من المنظور التاريخي أفكار رجالات لقرون الثامن عشر الذي تميز بسيادة نزع الرّومانيّة الذي لا يعتمد في تحليلاتها وتصوّراتها وقائع لغوية مسمومة ومصنوعة يمكن ملاحظتها موضوعاً، وهو ما أسقط المصربين في نظر التاريخيين في كثير من مواقف والآراء الاعتدالية، مثمناً فعوا حين اقترصو وجود لغة هندو أوروبية أويّة حاضرة يتعين الوصول إليها

بصفة عامّة، كست المقارنات المقارنة ناقصة منهجياً من عدة أوجه أهمها

1. فتصار المقارنة على اللّغات المتفارة جغرافياً

2- إجحام عدّة اعسارت لا علاقة لها بالمقارنة للغة في دنها، وهي

اعتبارات إن ديسة، كالقول إن العسرة هي أم اللغات لإسامة، أو فلسفة (الحلظ بين الإشكالات المتعلقة بتكوين اللغات والإشكالات الفلسفية المتعلقة بأصل اللغات)، أو ثقافة (التعسف في رد اللغة «لأسيّة إلى اللغة الإغريقية)

3 عبات المعايير المصححة للربط بين اللغات في مجال المقارنة وإشريح والاقتصار على مفهوم المشابهة من دون تحديد مصموم هذا لشابه ومعايير تحديده

4 استحاله تحويل نتائج لمقارنة إلى سميظ سقي له أسسه وماهجه المصبوطة تسمح في النهاية تتمحيص المقارنة داتها

ولم يكن لبعد التاريخي عند المقارن واصحاً بما فيه الكفاية ولا ممهجة وإطار التاريخي الذي كان يحتوي المقارنة بين اللغات كان إطاراً عاماً وسم يصع أصحاب المصيح المقارن معياراً رسمياً لتحديد الفترة التاريخية التي يفترض أن تدور فيها المقارنة بين اللغات كان أساع المصيح المقارن يقارنون بين مسكرينية الألف سنة الأولى ويونانية لفرق الثامن ولاتينية القرن الخامس قبل الميلاد وقوطية القرن لثمن وسلافة القرن التاسع وفارسية القرن السادس عشر أو الثامن عشر بعد الميلاد⁽⁶⁾

وفي جميع الحالات، لم يتمكن لرواد من اللغويين بمقارن من تحقيق استقلالته اسحث اللغوي عن غيره من محلات لفكر اساند وقتيد، بل ظل حراً من تمكبر عام حول اللغة وقصاها افسهية والمنطقية والتعليمية والتربوية والحصارية وحتى الأدبية إن عرم عرم برعته التجديدية وهتمامه بصوع المقبلات الضوئية المعروفة باسم قانون عرم رعب في النظر إلى اللغة كما لو أنها عمل مكامل حسب تعبر هيليش⁽⁷⁾

وبالمقابل، وفرت اللسانيات لمقارنه معطيات لعونة على حاسب كبير من الأهمية تمثل في إعداد مجموعه هائله من النصوص اللعونة المتعلقة باللغات احرمانية لامتدة تاريخياً بين القرن الرابع والقرن التاسع عشر ألف نالسة إلى

(6) مونس، تاريخ اللسانيات، مرجع سابق، ص 24

(7) جيرارد هيليش، تاريخ علم اللغة الحديث، ص 25 26

استعادت الرومانية فتم الحصول على معطيات تمتد في فترة تقدر بألفين ويصف من استنوت بمفصل أحداث ديار Diez (1794-1876)⁽⁸⁾ واهتم بوب F Pott (1802-1887) بالمستوى الاشتقاقي⁽⁹⁾ مقدراً بين عدة لغات أوروبية، مبيّناً أن البحث في الأصل الاشتقاقي يعني أن بهتم بتقصي أقدم مصدر الحقائق اللغوية ويسال البحث في الشكل الأصلي والمعنى الحقيقي للكلمات (وهو ما كان موضوع الدراسات الاشتقاقية في العهود القديمة)⁽¹⁰⁾

2. دراسة اللغة من المقارنة إلى التاريخ

بدأت المرحلة النعوتية الجديدة في مدينة لير Leipzig سنة 1875 مع النحاة المحدد أو النحاة الشدب Jung Grammatiker الذين التقوا حول أسادهم كورتيس G Curtius (1820-1885) وكان أكبرهم لا يسجور اثلاثين من عمره واستعمل الجيل القديم من اللغويين الألمان مصطلح «محدثين» (لغة المحدثين) تفضيلاً من شأن لقسمه المعروف لوجهه النظر المصاغة التي ظهرت حديثاً في اللسانيات⁽¹¹⁾ ومن رواد هذه المدرسة

● هرمان بوب Hermann Paul⁽¹²⁾ (1846-1921)

● أوعست ليسكيان A Leskien (1840-1916)

● بروعمان K Brugmann (1849-1919)

(8) انظر موتس، تاريخ اللسانيات، مرجع سابق، ص 24 بشر ديار Diez كتابه لمعروف نحو اللغات الرومانية سنة 1836

Grammaire des langues romanes. Paris, Vieweg, 1874-1876. 3 vo. trad fr de *Grammatik der romanischen sprachen*, Bonn, Weber, 1836-1844, 3 vo

(9) يعني كلمة etymologie في الأدبيات انمقاربه وتاريخية الأصل لتاريخي الذي يمكن من الحصول على الشكل القديم لصيغة ما في لغة معينة وفي اللغات التي تربط بها من ناحية السلاية (انظر اللغة بلومفيلد، ص 20)

(10) ملك إيفتش، اتجاهات البحث السامي، ص 5

(11) مرجع سابق، ص 83

(12) كتاب هدم بعنوان أسس تاريخ اللغة *Principes d'histoire du langage* الصادر سنة 1880 باللغة الألمانية

● أوسنوف H Osthoff (1840-1909)

■ أسكولي Ascoli (1829-1909)

وسُئِلَتْ هذه المرحلة بالتاريخية؛ لأنها عنمت المصح التاريخي الذي يجعل قوامه التحليل التاريخي والتنوع الدقيق لتطور عصر اللغة ومكوناتها لصوته ولصرفته ولاشتقاقته وعلى عكس المصح المقارن، لم يُعبر المصح التاريخي اهتماماً كبيراً للحوسب لنظرته، وإنما دعى إلى استنساخ القواميس الكلتية واستحثته من المشاهدة الفعلية والمعبدة لمباشرة اللوائح اللغوية المعروضة على البحث ولا شك أن الفكر لوصفي النشئ في منتصف القرن التاسع عشر له تأثير كبير في موقف رواد المصح التاريخي

وليس معنى ما سبق ذكره أن النظرة التاريخية لم تكن معروفة من قبل، بل إن رواد المصح المقارن أمثال توب وراست وشليسر وغيرهم، أكدوا دور البعد التاريخي وأهميته في تحليل المقارن، ووضح أنه بضعت عند أن تُمير تمبيراً دقيقاً بين البحث المقارن والبحث التاريخي كما كان يظن في المرة التي تحدثت عنها فلم تكن الأحداث اذائره في إطار اللسانات المقدرة تحلو من بعد تاريخي فلس هناك مقارنة خارج لتاريخ فكل مقارنه تتم صمياً في إطار تاريخي ولا يمكن تصورها خارجاً إن المقارنة بحسب تعبير دو سوسير شرط ضروري لكل دراسة تكوينية تاريخية، وهي كذلك شكل من أشكال علم لغة التاريخي حسب تعبير جورج مون⁽³⁾

وكان راسموس رست في بحثه السالف الذكر (إصدار سنة 1818) قد دعى صراحته إلى تطبيق المعايير لتاريخية في البحث اللغوي بمقارن بعيد عن التأويلات الحاطة بمتعلقة سادة اللغات وأصلها ويُعد شلاشر أرنر المفردتين الذين أكدوا صراحة ضرورة نسي لمهجته لتاريخية للبحث في اللغات الهندو أوروبية مشكلاً بذلك معطفاً جديداً في حنوح التحو المقارن نحو الدراسات التاريخية ابتداء من 1875

فقد ساهمت لمعطيات اللغوية التي وقرنها اللسانات بمقدرة شكل كبير

(3) ح مون، تاريخ اللسانيات، مرجع سابق، ص 85.

في تعبير منهجية لبحث والأهداف المنوخة من الترس للتعوي نفسه وبدأ
 اسحون تدريجاً عن المقارنة المقارنة نحو مقاربة جديدة تعتمد للمهج التاريخي
 وساء التطور اللعوي والتغيرات التي عرفت اللغات البشرية عبر تاريخها الطويل،
 اعتمدت للسانيات لتاريخية ثلاثة مباح أساسية بعضها كـ معروف في المرحلة
 المقارنة كما هو الشأن بالنسبة إلى المصح المقارن، وبعضها الآخر تم تدقيقه
 وعميق وسائل لبحث فيه مثل المصح الفيلولوجي وهذه المباح هي

المصح المقارن

المصح الفيلولوجي

مصح إعادة التركيب الداخلي

وقد تم استثمار هذه المباح بشكل دقيق ومصنوع مساعد للسانيات
 التاريخية على الحصول على العديد من النتائج، للعودة الدهر وقد اعتمد
 التاريخيون للمهج المعروف بإعادة التركيب للذاتي للغات وهو مهج لا يسعى
 إلى إعادة بناء الطرر الأولي كما كان يفعل المقارنون للوقوف على درجة التماثل
 بين لضيح المقارن بها، بل يعتمد على الضيغ المنتمية إلى اللغة لو حدة قصد
 تحديد درجة قدم هذه العناصر واستخراج أقدمها وذلك عندما يتم ضبط عدم
 ضرورة بعض الضيغ وحرووحها عن التسق، العام اعائم اندي يسر عنه وفي
 لضيغ مما يسمح بعدد من بناء نظام سابق أقدم من لتاحه التاريخية

والعلاقة بين اللغة والتاريخ علاقة لبس وبدة لمرحلة التاريخية، وبكتها
 حاصرة بقوة في كل لثقافات القديمة لسي عالجب مسأله تأثير الرمن وأثره
 لإيجي أو استلبي في اللغات البشرية، انطلاقاً من الملاحظة العادية، الممثلة في
 لتطور اندي يلحق اللغة في أصوتها ومفرداتها وتركيبها بذلك فإن العلاقة بين
 اللغة والتاريخ نتي سدو في كثير من الحالات عادة وواضحة وأحياناً لا تشير أي
 منه حقيقي هي علاقة معقدة في واقع الأمر، وبكتفها الكثير من العموص،
 بصر، إلى لحبط لحاصل في الأدهان بين التاريخ، الداخلي والتاريخ لحدري
 لغة، في الوقت لذي يتعين التمييز بينهما⁽⁴⁾ بكل دقة من دون عدل ما يمكن

أن يحصل بينهما من تأثير متبادل ويختلف التاريخ الخارجيّ عن التاريخ الدّاخليّ موضوعاً ومهجاً فمن حيث الموضوع يتناول التاريخ الخارجيّ الأحداث اللّغويّة في شموليّتها، باعتبارها مكوناً من مكونات التاريخ العامّ داخل ثقافة مجموعة بشرية معينة. وينظر إلى اللّغة من منظور التاريخ الخارجيّ على أنها تراث حصريّ يحمل ذاكره المجموعة التي تتكلم هذه اللّغة بحيث تتحول اللّغة إلى نتاج من الأحداث التاريخيّة التي ليس لها مصدر لعويّ صرف، بل ترتبط بما هو سياسيّ وعسكريّ وقانونيّ وفكريّ وهي كلمة واحدة، كلّ ما يتعلق بحياة المجموعة التي تتكلم لغة معينة إنّ الدّريح لخارجيّ بدرجة في إطار لتاريخ بمعناه العامّ؛ تاريخ الأمة والشعب والدّولة بكلّ حوائط الحياة والمؤسسات التابعة

أما التاريخ لدّاخليّ، فيدرس اللّغة باعتبارها سقاً دّخليّاً ساعياً إلى تبيان سمات الحالات التي تنفل منها اللّغة، والتي تشكل مسارها لتاريخيّ على امتداد الزّمن. التاريخ الدّخليّ، هو تاريخ للّغة من حيث بيئاتها الدّخليّة، أي اللّغة في دأنها. ومما لا شكّ فيه أنّ تأثير التاريخ الخارجيّ في التاريخ لدّاخليّ أمر وأوضح⁽¹⁵⁾. ويعدّ اللّسانيّ أنطوان ميه أمر لدين حاولو الجمع ميهجياً من لتصويرين قصد تقديم تاريخ كلّيّ للّغات من منظور شموليّ وإسائيّ

3. خصائص المرحلة التاريخيّة

كان لتّحاة الحدد يرون أنّ السّابحات المقارنة التي نشأ العديد منهم في أحصائها، اهتمّت بتطوّر الفترات السعيدة والمعركة في لتاريخ ذريح للّغات الهنديّة-الأوروبيّة - مّهلة لاهتمام بالحالات للّغويّة القريبة رمباً، أي الفترات الحديثة لهذا التطوّر وفي هذ اعتراف صمميّ بممارسة التحليل التاريخيّ عند اللّغويّين المقارنين وقد سمّرت أعمال التّحاة الحدد تتمسكهم الشّديد باطّراد القوايين⁽¹⁶⁾. أمّا وجود الأصوات والصّيغ الشّدّة فلا بدّ من علّة إنّ عدم تعليل

Ibidem p 7 et suivantes

(15)

(16) يرى بعض المؤرّجين أنّ مبدأ تطوّر اللّغويّة ذريحاً وعدم شمول لغويين لم يكن موضوعاً مسلماً به أو مقبولاً من دأ كلّ لتّحاة نجدد ميهيش تاريخ علم للّغة

الحديث، ص 36

هذا لشهود سببه الجهل بحقائق اللغة المدروسة وعدم معرفتنا بدقة ظروف التطور وملابساته، نظراً إلى ما ينطلقه ذلك من معطيات نفسية واجتماعية وفيرولوجية معقدة. فكل التعبيرات لصوتية تعبيرات آلية تجري داخل اللغة وفق قوانين لا تقبل الاستثناء ورفض لنحاة الجدد التفسيرات واشترواح الفلسفة والنظرية المحضة، مرددين بأن البحث النوعي لدي لا يعتمد التطور التاريخي يُعدّ بحثاً غير علمي، وبالتالي غير مقبول إن ما يطرأ على اللغات من تعبيرات - في نظرهم - ليس إلا نتيجة المصدر التاريخي الذي تبعه اللغات خلال تعرف الأحوال لمكلمة بها ومن ثم فإن المعرفة العلمية بالتطور الذي تعيشها هذه اللغات وبمراحل التي مرت بها، تتطلب استحصار كل هذه العوامل الفاعلة في التطور وملابساتها العامة والخاصة علماً بأن التطور الذي أعده والخاصة والأحداث التي نعرفها اللغات ليست عوامل متجسدة أو يمكن إدراكها بشكل ملموس ومسطح، وإنما هي أمور معقدة جداً، تتطلب إلماماً واسعاً ومعرفة دقيقة وشاملة بحياة اللغات والتعبير الذي تعرفه اللغات ليس حدثاً عابثاً، بل يمكن تقبسه وصوغه في قوانين إنه بسير وفق قوانين إخبارية عمياء باستقلال عن الأفراد لمكلمين باللغة بحسب تعبير أوسوف

واستناد النحاة الجدد من النتائج التي حققها المصاح العلميّة الصاعدة في إطار الفلسفة الوصفيّة السائدة، فاعتمدوا المصاح لاستفرائتي

ويمكن حصر الأهداف العامة للمصاح لتاريخي في هدفين أساسيين

- معالجة التحولات الصوتية بدلاً من الاكتفاء بإقامة المقارنة بين لغات
الصوتية

وضع إجراءات التحليل التاريخي بالتأكد على أوجهتين

أولاً يجب أن لا يقتصر لتحليل التاريخي على وصف أو ملاحظة
لتعابير لحاصه بين حاليين أو أكثر بمعنى متفارتين، وإنما يجب تقديم تفسير
وصفي للأسباب التي قادت إلى التعيرات التي تمت ملاحظتها

ثانياً يجب أن يترك التحليل العصواني والظبيعي المجال منهجية

لملاحظة الاستقرائية ولا استنتاجية التي تُعدّ الغاية التفسيرية للعلوم الطبيعية مثل الفيزياء على الخصوص⁽¹⁷⁾.

أما مفهوم التاريخ عندهم فهو مفهوم حدسي يقوم على التسلسل الطبيعي المحض للرّمس، مما جعل نظرتهم إلى اللّغة نظرة آلية لقد اعسروها جهاراً بتطورها باستقلال عن إرادة الإنسان، داعين إلى دراستها مثل أيّ جهر خاص بتحوّلات والتغيرات التاريخية وقادهم هذا الموقف إلى رفض بصورات لتّحاة المقارنين وخصوصاً أطروحة شلايشر التي تُعدّ لغة حدثاً طبيعياً، وبجعل البحث فيها علماً طبيعياً وقد أكّد لتاريخيون أن اللغة ليست كياناً إحيائياً، وإنما هي مؤسسه إنسانيّة مما يترتب على ذلك أن اللسانيّات ليست حرة من انعدام لطبيعيّة، ولكنها مثل باقي نتاج الحضارة الإنسانية علم تاريخي⁽¹⁸⁾.

ومجمل القول إنّ أعمال التّحاة المحدد تميّزت باعتماد مبالغ فيه على «التاريخ» الذي جعله المحور الأساس ومحرك كلّ تحليلاتهم للّغوية، فمسطور، سلك في تاريخيّة مصره، عدت معها نظرتهم إلى اللّغة آلية في نهاية الأمر، ثمّ بحريء اللّغة إلى وحداد وفصايل بسيطة مستفدة بعضها عن بعض، وتمت دراستها بمعزل عن المحيط بكلّ ملاساته (تأثير الفكر الوصفي) ومن لإبحارات الهامة لتّحاة الثّواب أنهم رشحو جملة من المبدئيّات المهيمنة في لتحليل اللّغويّ خلال نهاية القرن التاسع عشر مذكّر منها ما يلي:

الاهتمام باللّغات المحليّة واللّهجات الحيّة، ذلك أنّ تطوّر لظواهر شكليّ متسوّ يمكن أن يُلحظ بصورة أفصل في إطار كيان لغويّ حيّ ممكن⁹.

بعد الأهميّة البالغة لدعوامل الممتدّة لتطوّر، لا سيّما لعامل النفسي (هرمان بون)، وذلك بالكشف عن مظهر العلاقة المباشرة بين تطوّر الثقافة وتطوّر العالم الداخلي للإنسان.

(17) M -A. Paveau et Serfati: *Les grandes theories* p. 26

(18) ح. مودن، تاريخ اللسانيّات، مرجع سابق، ص 269

(19) سنك يفسش، اتجاهات البحث اللساني، مرجع سابق، ص 89

اعتد اجاب الفيرولوجي في التطور بالنظر إلى ميل المتكلم لطبيعتي
للد أقل مجهود وبطريقة لاشعورية

- التأكيد على أهمية العميات الكلامية باعتبار لغة الجماعة كياناً بصياً
لا وجود له واقعياً، والحقبة الدعوية الوحيدة الممكن الإمساك بها هي لغة الفرد
اعتماد مدبر القدس أساساً للتطور والقياس حالة سيكولوجيته تمكن من
حمل مجموعه من الصيغ الممكنة على صيغ أخرى موحدة ومحقة فعلاً

واهتم هرمان بول بدراسة العوامل النفسية والاجتماعية الفاعلة في تطور اللغات
الدعوية معتبراً إنها مؤثرات حاسمة في تطور الطواهر الدعوية ومن مظاهر اهتمامه
بهذه لعوامل غير الدعوية أنه أفرد لها مؤلفاً خاصاً بها أطلق عليه اسم المبادئ أو
«علم المصالح» وهدفه البحث في ما يشبه القصص التي كادت تعالج في فلسفة اللغة
عند كل من هيردر وهومبولدت سابقاً، وعند كارل فوسر في إطار تشرحية لعلانية
أو بمثابة التي وجهت التيار بوصفي الذي يجسده استجابة لجدد.

لملاحظات اسانقة لمتعلقة التي قدمها ريسو Paul Regnaud (1830)
(9،0) بشأن بواضع المصالح المقارن تصديق في نظره على المصالح التاريخي الذي
يشترك في بعض منها، حيث يذهب الكاتب إلى الحاجة لجدد اللبس أقدموا،
استقراء بهم على ثلاثة أخطاء منهجية كبيرة هي

أولاً خطأ لجدور الأولية الخاصة لمفترضة من بوب من دون مراقبة
تذكر، علماً، كم سبق الإشارة إلى ذلك، أن بوب بدوره عتمدها بطلاً عن
الحاجة ليهود دووما بمحيض منهجي لطبيعتها

ثانياً ينكر أي تحول أو نقل يمكن أن يحصل تلقائياً للأصوات في اللغة
السنسكريتية الأولى، و ستتاح ما يربط على ذلك من تأثيرات في تطور الأولي
للغات لهندو أوروبية

ثالثاً افترض ثاب Constance الفوايس الصوتية د حل للسان نفسه، وهذا
لمبدأ بتعارض مع تصور التطور لتاريخي للجزم المادي في اللغة⁽²⁰⁾

ومن جهة أخرى، فإن مبدأ القياس analogue الذي اعتمده التّحاة انتقد غير كافي وليس له نتائج نظرية أو منهجية ذات أهمية بالغة، فتفسر الظواهر الصوتية mutations phonétiques عن طريق القياس لا يعني سوى إرجاء الصّعوبات وليس حلّها⁽²¹⁾، علاوة على عيب النسق الذي يمكن أن يؤسس لعملية القياس نفسها ويدخلها في نسق موحد، فكل محاكاة قياسيّة تفرص نموذجاً معيّناً، وعليه فإذا كان عدد معيّن من الطرر الأوليّة لصوتية واضرفيّة ودرة على أن تأخذ في عين الاعتبار حقيقة الظّوهر لدعوية لمفاندة لها، فإنّه «يجب» من أجل ساء العلم على أمس صلة، أن يفسّر سبب وجود هذه لظفر الأوليّة نفسها والعلاقات المبادله سها»⁽²²⁾

4. من التاريخيّة المطلقة إلى التاريخيّة الماثاليّة

نسق القول بأنّ ظهور التّحو المقارن عموماً وتيار التّحاة التجدد جاء نتيجة انتقال الدّرس للّعوي من مرحلة فلسفيّة فكرية ترعّمها للّعوي لألماني همولدت وأثر فيها أفكاره المعروفة برؤية العالم لحارحي من حلال اللّغة. غير أنّ سبادة المنهج التاريخي مع التّحاة التجدد سم يمسح الاتّجاه الفلسفي من الاسعات من حديد في صورته أخرى مستلهماً أفكار همولدت ومكيفاً يدها مع ثقافة العصر بمواجهه الفكر التاريخي الذي دعا إليه اسحاة التجدد

وقد ترعّم لردّ على التّحاة التجدد اللّعوي كارل موسر (1872-1949) الذي دعا إلى تاريخيّة مثالّة معتبراً لرؤية الوصعيّة التي اتّبعها التاريخيون والمثسمة

Idem, p 12

(21)

Idem, p 12.

(22)

وبهذا سادح في استسكريتيّة دراسات أخرى هاجم فيها موقف المقارن والتاريخيين بشأن فهمهم طبيبات انصوبه واضرفته ولاشفافته في اللّغة استسكريتيّة في مدنها بدلتات الهندو أوروپية لاسيما الإغريقيّة والابليّة، مدكر منها ما يتصل برفص طروحات لمعاريين وتاريخيين

Paul Regnaud *Les facteurs des formes du langage dans les langues indo-europeennes*, Paris, Imprimerie Pitrat Ainc, 1884

Les grandes lignes du vocalisme et de la dérivation dans les langues indo-europeennes, Paris, Ernest Leroux Editeur 1890

بالانتماء الدقيق بالموضوعية والاهتمام المبالغ فيه بالتفاصيل و لجزئيات وما يترتب على كل ذلك من تعبد صارم، اعتيلاً صريحاً للفكر الإنساني ومقابل ذلك، دعا فوسلر إلى ربط التحليل اللغوي بالمصامين العميقة وبإحياء الفكرية العامة في تفسير مظاهر اللغوية ويستمد فوسلر أفكاره اللغوية في موجهه لنحاة الحدد من مصدرين أساسيين

أ - أفكار همولدت حول لغة باعتبارها مكوناً من مكونات تاريخ الثقافة⁽²³⁾
 ب - أفكار المنسوف الإبطلي سيبينو كروتشه B Croche (1866 1952) في محاور علم الجمال التي تعد اللغة عصر من عناصر تاريخ الفن ويرى كروتشه أن حين نهتم بالتعبير اللغوي كلاً أو جزءاً، نجد أنفسنا أمام ظاهرة فنية عمومية وحياتية على وجه التحديد وبما أن اللغة تعبير فني خاص فهي من علم الجمال

واللغة في نظر فوسلر ظاهرة تاريخية عقلية ويست ظاهرة لغوية بها بحث حاصل بها إن تاريخ اللغة هو تاريخ لفكر في بعده الجمالي إنها في كنهه وحدة يعكس بتأريخ لثقافي للفرد والجماعة. وكان فوسلر يدعو إلى دراسة اللغة لا باعتبارها مظاهر مادية موضوعية كما يفعل النحاة الجدد، أي باعتبارها ظاهرة سمعية، بل يسعى دراستها بوصفها شاهداً على العقل وإدعاً من إبداعاته ويعقل هو الشيء لو فني الوحيد الذي يجب أن ينطق منه وإليه يعود ومن هذه المصطلقات الفكرية العامة، لم يكن فوسلر يدرس لغة باعتبارها مستويات محددة للمعالم تتعين لوقوف على قوايها ومادتها الذاتية، بل استخدم اللغة بوصفها تصويراً للثقافة فقط إنها توثيق لمظاهر غير لغوية وسجل لها

ويلاحظ أنه مع فوسلر لم يصبح يبحث للغة أي موضوع حاصل به فتاريخ اللغة من منظور لتاريخية المثالية ليس له مجال حاصل به، بل هو جزء من تاريخ الفكر وما يتعلق بفهم اللغة يندرج في تاريخ الثقافة باعتبار السبب الذاتية (لشكل لذاتي عند همولدت) بعيداً عن رؤية خاصة وتصوراً للمعالم خارجي أن اجاب لتعبري في اللغة، فإن كارل فوسلر ينظر إليه كجزء من

(23) هيلشر تاريخ علم اللغة الحديث، مرجع سابق، ص 38

تاريخ الفن عموماً وبدرج الأدب خصوصاً (كروتشه). وقد رفع هوسلر وأساخه من التاريخيين المثاليين جملة من الشعرات التي تؤكد في مجملها اعتبار اللغة جزءاً من التاريخ الفكري والثقافي. ولتطور التاريخي ندعة ليس عملية طبيعته أو ضرورة عادة كما يقول بذلك النحاة الجدد ولكنه انعكاس لعويّ سيار ثقافي يجسد يدع لفرد والجماعة بكفئة وعية وليس بطريقة عمياء إن حاصية للغة البشرية أنها حدس جمالي وتعبير ذاتي وشخصي عن مشاعر فردية وجماعية

وفي سياق آخر انتقد هيجو شوشاردت (Hugo Schuchardt 1842-1928) وراء النحاة الحدود المتعقبة طبيعة تطور الأصوات ولفواين لمنحكمة فيها، مؤكداً أهمية العامل الجغرافي في حصول التطور ومساهمة الفرد في تطوير لغته وتسميتها عن طريق العلاقات الاجتماعية التي تجعل الفرد الواحد محط تعدد جماعي

وقد أجد على النحاة الجدد أنهم هم مأوا نظرية جديدة وأن جُلّ آرائهم هي في الواقع عبارة عن صياغة نقدية لآراء أسلافهم لمفكرين وفق ما تقدمه المناهج العلمية الجديدة سواء في العلوم الصرفة أو في العلوم الاجتماعية والإنسانية التي عرفت تطوراً مدهلاً مع بروز الفكر الوضعي كما أحد على النحاة الجدد أيضاً اهتمامهم بالتفاصيل والتجربيات المتعلقة باللغات خلال جمع مراحل تطورها وهو ما جعل تحليلهم اللغوي تحليلاً ذرياً Atomique حوّن من خلاله ظواهر بلغة إلى «ذرات» لا يمكن توفوف على لصوره الكاملة لسنة النعونة، «حيث لا وجود لشيء قائم بذاته، وإنما يوحد متحداً مع الأجزاء الأخرى، يمكنه للكل»²⁴⁾

وحاءت أهمّ الاعترافات المتعلقة بالتطور اللغوي من علماء اللغويات الذين أكدوا، أن التطور اللغوي أكثر تعقيداً مما يتصوره النحاة الجدد إنه أيضاً لإرادة الواعية للأفراد المتكلمين بعمية التطور ووعيهم لإيجابي تشاركه فيها ويمكن الحديث في هذا السياق عن ثلاث طروحات أساسية في موضوع التطور في علاقته بالمجتمع، وهي

(24) ميلكا يمشر اتعاهات البحث اللساني، مرجع سابق، ص 85

نظرية تارد G Tarde الاجتماعية حول دور التقيد وأهيمته في نشأة الظواهر الاجتماعية وهي انتشارها وتطورها، ومنها اللغة

فلسفة لتاريخ عد هيجل ودور شخصية في الدفع بالتاريخ إلى التطور

- نظرية همولدت اللغوية لمتعلمه بالحجاب الإبداعي تتجدي في استعمال اللغة⁽²⁶⁾

ومع ذلك، فإن السحاة اجند مركوا بصماتهم في البحث اللغوي الحديث بحسب تعبير روبر Robins⁽²⁶⁾، كما ساهموا في بهيئة الحق لعدم لسانيات أكثر عمقه ودقة فقد انتقل السحاة لجدد بالدرس اللغوي من مفكر تأملي إلى فكر عملي يقوم على أسس المقارنة لوضعية وقد شهد لهم دو سوسير بذلك حين عسرهم خطوة حاسمة في تاريخ الفكر اللغوي ومعلوم أن سوسير تنمى خلال مراحل تكونه الأكاديمي على هؤلاء للتاريخيين، إلا أنه لم يكن دائماً مقتنعاً بأفكارهم ومبادئهم المبهجة

وفي هذا الإطار المنحصر بالفكر التاريخي وشي أنواع التبادلات الفكرية والسرعات العلمية، بدأت تظهر في الأفق ملامح لسانيات حديثة من خلال بحث دو سوسير ليل الدكتوراه السي أعته في ليرع سنة 1879 حول التسق الأولي للصوائت في اللغات الهندو أوروبية⁽²⁷⁾ في هذا البحث الرائد ستعمل دو سوسير مفهوم التسق مقترصاً وجود صوت لم يكن معروفاً في أي لغة من اللغات الهندو أوروبية وتمكن اللغوي بمبست (1902 1976) حمس سنة بعد ذلك من إثبات افتراض دو سوسير بشأن هد الصوت وذلك بعد كشف لغة لحيثين Hittite وهي لغة مفرصة كاب مستعملة في بلاد الأناضول الوسطى

في هذا البحث تعرض دو سوسير لمسألة الصائتية vocalisme في الظواهر الهندو أوروبية - أي اللغة الهندو أوروبية الأولى التي طرحت جملة من

M A Pavcau et G E Sergati: *Les grandes theories de la linguistique* p 6 26)

روبر، تاريخ علم اللغة الموجر، مرجع سابق، ص 30. (26)

F de Saussure *Système primitif des voyelles dans les langues indo-europeennes*. (27)

Leipzig, chez B G Teubner, 879.

الصعوبات النظرية والمهجية في النحو المقرون. ومعلوم أن نوب صاع انطلاقاً من التفاعلات الصوتية لائحته من الضرفيات علامات وجدوراً على الشكل التالي CV CVC CCV etc التي وضعها بالنظر إلى عدد محدود من أنواع لصوتية timbre ويعدده حاول شلايشر إعادة بناء هذا لظرف الأوروبي الأول انطلاقاً من معطيات اللغة السنسكريتية وحذف مقلصاً النظام الصائتي في الصائت /a/

وأعاد النحاة الشبان صوغ كل المسائل المتوصل بها في إطار المقارنة معيّرين بين أنواع الضوت التي أصيف إليها صوائت مركبة diphtongues وبعض الأصوات الجهورية sonnantes

أما سوسير فلم يكن هدفه في البحث الذي كتبه سنة 1878 حول التسق الأولي للصوائت في الألسن الهندو-أوروبية إعادة بناء النظام الصائتي الأولي primitif للغات الهندو-أوروبية كما دأب على ذلك النحاة الشبان، وقبلهم أتدع النحو المقرون، بقدر ما كان هدفه بناء صورة الحالة القديمة Etat archaïque لهندو-أوروبية في هذا البحث الذي سيكشف عن تفوق بدر في مجال لمقارنه بين اللغات الهندو-أوروبية لأنه أدخل في الاعتد، ومد هذا التاريخ لرؤيه أسقية في معالجة الظواهر الصوتية، أن التفسير الذي قدمه دو سوسير لم يكن قائماً على سلسلة من التبدلات المباشرة بين الظرف الأولي وما بقائه في الألسن الهندو-أوروبية الأخرى. ويقوم تصور دو سوسير في هذا البحث لمصدر على أساس أن الصائتية الهندو-أوروبية هي سق (لاحظ الكتبه في العنوان)، بحيث أن التعديلات التي تجري على هذه الصوائت في اللغات المتفرعة من الظرف الأولي تمثل التسق الصائتي بمرته في كل للغات وليس أسرة واحدة أو لغة وحدة

وكانت الدروس التي ألقاه دو سوسير في جامعة حيف، ما بين سنة 906، و1911 والتي ستصدر سنة 1916 تحت عنوان «دروس في اللسانيات العامة» خلاصه عمدة للأفكار السائبة الجديدة التي قامت على أنقاض الفكر اللغوي المقارن والتاريخي وإن لم تسخ من تأثيراته التصورية والمهجية العامة

الباب الثالث

اللسانيات:

المجال والموضوع والمفاهيم

الفصل الثامن

اللّسانيّات: تحديد المصطلح والمجال

1. صعوبات التّحديد

حاول في صفحات المصّول، لأوّل (3) من هذا الكتاب أن تُقدّم صورة تعريبيّة عن محتوى التعريفات المقدّمة للّغة، بشرّة في نُعدها الشّموليّ وسُحاول لأنّ أسّاول تحديد العلم الذي يدرس هذه النّعة وهو، النّسانيّات Linguistics Linguistique وكما وّاحهت بعض الصّعوبات ونحن نسّاول أن نعرّف «لّغة» وّاحهت من تحديد صعوبات تحديد «النّسانيّات»⁽¹⁾ ونرجع هذه الصّعوبة في رأب إلى أمرين

أولاً وجود اختلافات منهجيّة ومعرفيّة في الأهداف المتوخّاة من وراء درّاسة النّسان الشّريّ كما هو شأن دراسة إلى تحديد نّعه ثبّاً بحظّ الحاصل بين النّسانيّات وممارّسات أخرى تسّاول هي أيضاً

(1) يجدر بنا أن نشير هنا إلى ما يؤجّه النّظر إلى عربي من مشرقه إلى معرّفه من مشرق الصّلاحيّة وأوّلها هذا مصطلح النّسانيّات الذي لا يحظى بإجماع المهتمّين بمصّاب النّسانيّات في النّفاة العربيّة الحديثة وبالنّزعم من النّشأ مصطلح النّسانيّات «فما ربّ تحدّ من يفضّل عن جهل أو بظاهر - متعمّداً مصطلحات أخرى مثل «المعويّات»، «علم النّعة»، «فقه النّعة»، «النّحو الحديث»، «النّسيّة»، «النّسيّة»، «علم النّسان» كما يسمّى بما يسمّى عربيّون Linguistique أو Linguistics انظر كتاب اللّسانيّات في النّفاة العربيّة الحديثة، حمّيات النّشأة والكويّ، مكتبة بعد من النّشأ و تزيّع، الدار لبيضاء، 2006

درسه اللّغة، مثل فقه اللّغة والتّحو والميلولوجيا، لذلك فإنّ حديث عن اللّسانيّات يتطلّب من توضيح هذه الحيلولة لتسهيل مهمّة التعرف باعتبار أنّ هذا التّوضيح نفسه مساهمة هامّة في تعريف اللّسانيّات

بصفة عامّة يمكن تحديد بعض مظاهر الاختلاف بين الفكر اللّغويّ القديم واللسانيّات فيما يلي

الفكر اللّسانيّ المعاصر فكر أكثر شموية من نظيره القديم، إنّ لا يفصل عنه ونكه يحويه ما دام يعمل على تطويره وتدقيقه

- الفكر اللّسانيّ الحديث والمعاصر مراعاة دائمة ومستمرّة للمفاهيم الأساسيّة التي يقوم عليها إنّ المفاهيم اللّسانية وسائر الأدوات الإجرائيّة التي عُولجت بها اللّغة من قبل مختلف التّصوّرات اللّسانية روجعت أكثر من مرة

- الفكر اللّسانيّ المعاصر أكثر انفتاحاً على معارف أخرى من منطق ورباصيّات وعدم نفس وعلم اجتماع وفلسفة وإحصاء وإعلاميّات ولهذا السبب استطاع اللّسانيّات أن تفرص نفسها في إطار العلوم الإنسانيّة كظريّة ومهج لا يستهان بهما

وهكذا تمّ بصفة عامّة؛ لتحتلّ عن كثير من الأفكار لفلسفيّة العقيدة المتعلّقة بأصل اللّغات وشأنتها وما شبه ذلك، إصداً إلى ما جاء به لّسانيّات من روح نظريّة ومهجيّة جديدة قائمة على الوضوح والدقّة في أدوات التحليل وتقنيّاته

إنّ القصيدة تتجلّى إذن، في هذه المتطلّبات التي طرحها اللّسانيّات في ما يتعلّق بتحديد الموضوع وصعد المفاهيم ولأدوات لإحريّة الأساسيّة علاوة على الرّاعة الممهجيّة في استقلاليّة اللّسانيّات ذاتها والاستفادة من العلوم الأخرى إنسانيّة كانت أم عموماً بحثة

2. اللّسانيّات ليست هي الفيلولوجيا

تكوّن كلمة لميدولوجيا Philologie في أصلها الإغريقيّ من شقّين هما Logos وPhilos ويعني الشقّ الأوّل Philos محبة أم الشقّ الثاني Logos، بمعنى النطق/الكلام/الجملة/اللعو وبذلك فإنّ لكلمة في مجملها تعني عند ليون

محبه الكلام أو المحب للطق؛ أي المهتم بقضايا الكلام وقد عرف المفهوم بطورٍ هامٍّ عبر التاريخ. لقد ظهرت أول مدرسة فيلولوجية في الإسكندرية خلال القرن الثاني قبل الميلاد وكان هدف علمتها وضع لتشروح المساعدة على قراءه وفهم نصوص الإلياذة والأوديسه اللتين ألفهما هوميروس سنة 800 قبل الميلاد ومن المعروف أنّ اللغة الإغريقية التي كُتبت بها هذه النصوص أصبحت صعبة المال تتطورها عبر الزمن، كما أصبحت الوقائع والمعطيات «مجرّفة» وتاريخية ولأسطورية التي تحكيها الملحمة تنطّبت شروحاً وتفسيرات لغوية تسهل عملية القراءة وفهم ما عيَّنها ذاكرة حماة الشعب الذي يتكلمها⁽²⁾.

وعندما دخلت أوروبا فترة النهضة أطلق لفظ «فيلولوجيا» على كلّ البحوث التي أحاطت بالاهتمام اللغويين الإغريقية واللاتينية باعتبارهما أداة للاطلاع على الفكر الإغريقي-الروماني القديم وقد أصبح مصطلح الفيلولوجيا منذ القرن الثامن عشر لميلادي مرادفاً للدراسة النقدية للنصوص والمقارنة بينها بدورف على حصن النص عند أديب معبر. هذا هو المعنى الذي أرادته ليعوي فريدرش وولف F. Wolf، ثم أصبح المصطلح يعني في فترة لاحقة دراسة لغة النصوص من أجل الوصول إلى عديت وأهداف أخرى

وتوسّع العربون في استعمال مفهوم الفيلولوجيا، فأصبح يعني عموماً الاهتمام بالإنتاج الفكري لأمة من الأمم والكشف عن معالم حضارتها القديمة في شتى لمظاهر فكرية من أدب وفن ودين وعلاقات اجتماعية وعدادات أخلاقية وشعائر من خلال «اللغة» ومع بداية القرن التاسع عشر، تسع العمل الفيلولوجي متفلاً من اعادة النصوص وتحقيقها وشرحها ليشمل مجالات الأدب والتاريخ ودراسة العادات والتقاليد والأعراف القومية⁽³⁾، لتصبح بذلك الفيلولوجيا جزءاً أساسياً في التكوين العلمي للباحثين في «بحصارات والأديان والثقافات القديمة وندارسين النعوتيين وعبرهم في أشهر لمراكز العلمية وجامعات الأوروبية الحديثة ولا سيما لأسمائه منها

(2) نظر ما قبل عن المرحله السوفيه في باب الثاني من هذا الكتاب، وتحديداً لعديّة فيلولوجية ومصادر المذكورة هناك

(3) منك يمشي، اتجاهات البحث اللساني، مرجع سابق، ص 38

بهذا المعنى يمكن أن نقول بأنّ الفيولوجيا تهتمّ أساساً بالبحث في التاريخ الماضي لتصوص لتعالجها من حيث إنّها وسيلة لمعرفة لمعطيات و لخصائص الاجتماعية والجغرافية والتاريخية والأدبية التي تصاحبها ونظراً لعلولوجيا إلى لتصوص القديمة وذلك لتوثيقها بوثيقاً علمياً بحثاً عن صبط مصادره ومكوناتها، الدعوة وتحليل المعلومات التي تتضمنها وربطها بالمحيط الفكري الذي ظهرت فيه. إنّ العبدولوجيا لا تهتمّ باللسان من حيث إنّه منظومه من لمستويات الدعوة القائمة في ذاتها، ولكنها تهتمّ بلغة التصوص لمعرفة لمصامير التاريخية والأدبية وما تحتويه من لمعطيات الخصائص المتضمنة بالتصوص التي ننتم معادجتها (العدادات و لتقليد وشفافة للذين) والنشاط الفيولوجي بتدور كذلك قراءه النقوش والحفريات والنكبات القديمة كما أنّ تحقيق المخطوطات وشرها شرّ حديثاً يُعدّ من صمم لعمل الفيولوجي

ونقسم بعض المدارس⁴ الفيولوجيا الحديثة إلى أربع مراحل هي

الأولى المرحلة لإيطاليته وترغمها بترارك⁽⁵⁾ توفي (1374)، وتتميز بأنها مرحلة تقليد دم بحياة لإعريقته واربوميته القديمة، ومحاولة استير على بهجه في لتفكير واللغة وصور، وهو ما يعتر تقليدهم لمطوق شيشرون Ciceron، والتحلّي عن أدبيات وصور القرون الوسطى والتعلق بالآداب لرومانية على وجه الخصوص وقد ميّزت هذه المرحلة بشر العديد من الأعمار اليونانية والرومانية بلغة اللاتينية، فتم التعرف إلى هيرودوت وهرجيل وأفلاطون وأرسطو

الثانية المرحلة المدرسة ونُصّف بالنوسع المعروف أو الموسوعة Encyclopedique وتأثرها بالمدرسة لتاريخية الألمانية وقد سبعت المرحلة فمتها مع سكاليجر Joseph Scaliger (توفي سنة 1609) ومن روادها هيري بيتان H Estienne (توفي سنة 1598)

(4) Salomon Reinach *Manuel de philologie classique* Paris. Hachette. 1880.

p 22

وفي هذا الكتاب مباحة دبعه وشاعره بنشاط لفلولوجي مد بشأنه على يد علماء

الإسكدرية في برون اثاث على أملاذ إلى العصر الحديث

(5) بشر أعمار شيشرون

الثالثة، المرحلة الإنكليزية الهوسدنة وتمتد ما بين 1691-1790 ويعتد النقد من مميراتها الحديثة وستوت هذه المرحلة مع ريتشارد سيلي R Benfley (1662-1742) وتمتد حتى نديات الفيدولوجي الكسر وولف، وقد عتد على هذه المدرسة القطاع الإنسي أكثر من أي شيء آخر

الرابعة، المرحلة لألمانية، وتعرف باسمدرسة التاريخية وامتدت مع دروس وولف في علم لعهد القديم sciences de l'antiquite سنة 1783 لتتبع درونتها العلمية اعيب مع August Boeckh (1785-1867) و K. Otfried Müller (1797-1840) وغيرهما من كدر الفيدولوجيين الألمان ومع ذلك فإن الجانب التسلي في الفيدولوجي الألمانية هو اعتمادهم لة ثم في شتيف عن التفاصيل ولحراثات

وكان للوعي الألماني شلايشر و حداً من أتر الدين أكدوا ضرورة لتمييز بين لبحث في اللغة من أجل ذاتها وأسماء علم الحجرة La glottique والبحث في اللغة من أجل عديات أخرى وهو مجال الفيدولوجيا الفيدولوجيا بالسنة إليه المعاد تاريخي، مهمتها تحديد الحياة لروحية لشعوب أو المجموعات الإثنية التي لعب دوراً هاماً وترجمها إليه⁽⁶⁾

وعموماً، فإن الفيدولوجيا تدرس اللغة بعنايه وسله إلى عديات أخرى من أدب، وفن، وتاريخ، وحضاره بقول دو موسير (1857-1913) معرّف مهجته الفيدولوجيا وحدودها بأن الناس ليس الموضوع لوحد لفيدولوجيا التي تترك قتل كل شيء أن تحدد النص ونؤوله ونعلق عليه إن هذه الدراسة تدفع الفيدولوجيا إلى أن تهتم أيضاً بالتاريخ الأدبي والأخلاق والعادات والمؤسسات الاجتماعية إلخ، وحشما تكون هناك الفيدولوجيا فإنها تستعمل مهجتها الخاصة بها وهو النقد، وإذا ما عالجت قصداً لسابته، فكي تقارن بين بصوص تنمي إلى عصور مختلفة، ولتحديد اللغة لخاصة بكل كتب أو لمعرفة وشرح الكلمات ولهو مش والحواشي المكنونه في لغة قديمة أو عامصة⁽⁷⁾

Schneicher Die Deutsche sprache 1860

(6)

ونجد ترجمه فرنسه بعض بصوص هذا الكتاب في

Andre Jacob. Genese de la pensee linguistique, p 120 et suivantes

F de Saussure Cours de linguistique generale, p 13, 4

(7)

- ويمكن تدخيز حصائص المصباح الفيلولوجي بالقياس إلى اللسانيات فيما يلي
- إن موضوع الفيلولوجيا هو النصّ اللعوي المكتوب، من حيث هو معطيات تتطلب توصيحا وتفسيرات تاريخية واجتماعية وحضارية ولعوية وغيرها، وذلك «ليدار تكوين فكرة النصّ ومصادره وقيمة العرض»⁽⁸⁾
 - موضوع الفيلولوجيا هو اللغة باعتبارها وسيلة إلى عدايات أخرى ليست بالضرورة عداية لعوية محضة، فليست السبب اللسانية في ذاتها هي المقصودة بالتحليل، وإنما المصممين التاريخية التي تحملها. أما اللسانيات فتدرس اللسان في ذاته ومن أجل ذاته⁽⁹⁾
 - تهتمّ الفيلولوجيا باللسان المكتوب الذي عاليا ما يكون لسانا ميتا، بينما تهتمّ اللسانيات بالألسنة الحية (أي التي تستعمل في الحياة اليومية)
- تتمنقر الفيلولوجيا إلى صابغ التّقيين والصبغة الشكلية Formalisation لنقواين، على عكس اللسانيات التي تسعى إلى التّقيين والتّعبّد الصّوريّ
- المقارنة الفيلولوجية لا تتعدى في العالب إطار الكلمة الواحدة من حيث اشتقاقها وتطورها أو معرفة أصلها أو علاقتها بكلمات تنتمي إلى ألسنة أخرى سابقة عليها أو لاحقة أو موجودة معها في الحقبة التاريخية نفسها من فصيلتها اللعوية أو من دون قرابة بها أمّ اللسانيات فتنظر لى اللسان باعتباره بنية مترابطة فيما بينها

3. بين اللسانيات وفقه اللغة

إنّ اللسانيات ليست هي الدراسات المسماة «بقه اللغة» الذي هو مصطلح عربيّ صرف وقد استعمل مصطلح قه اللغة لأول مرة عبد أبي الحسين أحمد بن فارس 395هـ وذلك في كتابه⁽¹⁰⁾ الصّاحبي في قه اللغة ولس العرب في كلامها

(8) محمود مهدي حجارى علم اللغة بين التراث والمعاصر، انهيئة امصرية العامة لسألف و لشر، القاهرة، 1970، (المكتبة القاهية عدد 249)، ص 6-7

(9) F De Saussure Cours de linguistique generale p 317

(10) أحمد بن فارس، الصّاحبي في قه اللغة ولس العربية، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، 1970

في هذا الكتاب درس ابن فارس مسائل لغوية كثيرة منها ما يتعلق بالسحر والصرف ومنها ما يتعلق باللاغة والشعر والعروض والتقد الأدبي وهي أمور كانت معروفة في مجتمها لدى كثير من العلماء العرب بشهادة ابن فارس نفسه، الذي يقول في مقدمة كتابه «ولدي جمعاه في مؤلفا مفرق في أصناف العلماء المتقدمين رضي الله عنهم وإنما لنا فيه اختصار مبسوط أو سطر مختصر أو شرح مشكك أو جمع مفرق»⁽¹⁾

و ستعمل المصطلح نفسه بعد ابن فارس أبو منصور الثعالبي تـ 420هـ في كتابه فقه اللغة وسر العربية، وهو أحد واضح عن ابن فارس وكتاب الثعالبي شبيه بمعجم جمع فيه صاحبه الألفاظ التي تدل على أشياء تنتمي إلى الحقل الدلالي نفسه (الألفاظ الدالة على اللباس/أصوات الخيل/أعمار الإنسان إلخ)

ويبدو لنا أن لا علاقة على الأقل من الناحية المفهومة والاصطلاحية بين «فقه اللغة» و«الميلولوجيا»، وأن ما جرت به العادة في بعض الجامعات العربية وعند بعض المستشرقين من مقابلة «فقه اللغة» بالميلولوجيا شيء خاطئ، أو على الأقل يحتاج إلى نظر وقد أدى هذا الخلط والناس إلى استعمال غير دقيق لهذه العبارات (اللسانيات، فقه اللغة، الميلولوجيا) فوجدنا من يستعمل «فقه اللغة» وهو يريد بها «اللسانيات»، ووجدنا من يستعمل الميلولوجيا، وهو يعني بها فقه اللغة لعربي، ووجدنا من يستعمل «علم اللغة» وهو يريد «فقه اللغة» و«اللسانيات»، و«الميلولوجيا» كل هذا التعدد الاصطلاحي والمفهومي لا يُسهل مهمة القارئ العربي على نحو ما سنبيه بيجاز في الفقرة التالية

يؤلف علي عبد الواحد وامي كتابين حديثين في اللغة يطبق على أحدهما «علم اللغة» وكن يود لو يستعمل عبارة «فقه اللغة»، من دون أن يقيم أي تمييز منهجي أو نظري بينهما كل ما في الأمر من اختلاف بالنسبة إليه هو أن «علم اللغة» عام وفقه اللغة خاص بالتبحث اللغوي العربي يقول وامي «وقد كما يود أن نسمي كتاب هذا باسم «فقه اللغة» لولا أن هذا الاسم قد حُصص مدلوله في

(1) المرجع السابق، ص 9

الاستعمال المألوف، فأصبح لا يفهم منه إلا «بحوث» المتعلقة بفقهاء اللغة العربية وحدها. إن التسميتين تصدحان معاً وليس هناك ما يفرق بينهما في عرف علي عبد الواحد وفي لا ما هو مألوف في استعمال هذا المصطلح أو ذاك لكن على أي أساس منهجي يفهم هذا المألوف؟ وبالنسبة إلى من؟ هل يكفي أن يعود إلى المعنى المعجمي كنمّي علم وفقه يقول بطلاً عن ابن فارس كما فعل واهي؟ إن كل علم هو فقه ثم يحذر المصطلح؟

على النهج نفسه سار صاحب دراسات في فقه اللغة، حيث درس أموراً تتعلق في مجملها باللغة العربية من دون تمييز بين علم اللغة وفقه اللغة، لأن من العسير في نظره تحديد الفروق الدقيقة بينهما لدى طائفة من العلماء في الشرق والعرب قديماً وحديثاً وقد سمح هذا التداخل بمطالفي التسميتين هل تتدحج فعلاً بحوث علم اللغة وفقه اللغة لدرجه عدم التمييز بينهما؟ من هم العلماء في الشرق والعرب الذين يمكن اعتبارهم نموذجاً علمياً في عدم التمييز بين هذين بعينين؟ إن كتابات بعض اللغويين على الأقل، في العرب تدحض هذا الزعم

علل صحي اصالح اختياره لعبارة فقه اللغة قائلاً «إذا نحن التمس الفرق بين هذين لصريين من الدراسة اللغوية من خلال التسميتين لمحتلعتين المتش تطلقر عليها وجردها نأفقه لا ورن لها» هل يكون الفرق بين دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل دنها وهو هدف علم اللغة، وبين دراسة اللغة باعتبارها وسيلة لغات أخرى وهو هدف فقه اللغة، فرقاً نأفقه لا ورن له؟ ذلك ما نعلم عكسه في أقطاب الدراسات اللسانية الحديثة ولأسباب دلالة كما عند واهي يفصل صحي اصالح التسمية القديمة، لأن كل علم للشيء هو فقه مقترحاً الافداء باحتاره يقول «إنه يحلوا لنا أن نقترح على اساخثين لمعاصرين أن لا يستلوا بهذه السمية لقديمة شئاً وأن بعثوها على جميع البحوث اللغوية لأن كل علم لشيء فهو فقه فما أجدر هذه الدراسات جميعها أن تسمى فقهاً» فهل يكون مسألة وضع المصطلح مسألة تذوق ذاتي فحسب؟⁽¹²⁾ ونحن لا نكر ما يقوله الدارسون لعرب المحدثون بأن عبارة «فقه اللغة» هي عبارة ظهرت ونشأت في

(12) انظر كتاب اللسانيات في الثقافة العربية حضرات البشاة والكويت؛ مكتبة لمدرس.

أحصاء يدرس اللعوي العربي، سواء شُعمت التسمية بكثرة أو بقلّة عدد اللعويين العرب القدماء. ولذا كذلك صد استعمال عبارة «فقه اللغة» لحدث عن لقصاب اللعوية التي عالجها اللعويون العرب القدماء في بعض مناسبتهم المتعلّقة بجوانب محدّدة من لغة العربيّة، لكنّ لديّ لا يمكن قوله البتّة وهذا من أجل أنّّه الاصطلاحية والمفهومية اللامعة في كلّ معرفة موضوعيّة، هو أن يعدل مصطلح فقه اللغة لعربي الشّاة بمصطلحي فيلولوجيا أو علم اللغة كما تمّ تدوينا في لأديّات اللعوية لعربيّة الحديث.

4. بين اللسانيّات والنحو

النحو من أقدم المدارس التي تنوّر اللغة بالدراسة والتحليل وهو في تعريف بسيط وضع لقواعد التي يستعملها المتكلم في لغة معيّنة. ومن هنا فإنّ النحو كاللّسانيّات يدرس سيرة اللسان وأصعّ القواعد التي يسير عليها، مع تدوينها في لأهداف والوسائل المتعلّقة في تحليل اللسان وبنوّه الوقوف عند هذا الاختلاف نظراً إلى ما يشره البداخل بين النحو واللّسانيّات من الناس وعموم حتى ندى النهضة لمتوّرة من اقراء العرب الذين درسوا النحو وعلمه اللّغة في برامج الجامعات، ولم يدرس عدد كبير منهم ما أصبح شأنه تحت تسمية اللّسانيّات أو الألسنة أو علم اللغة فما هو النحو؟ وما أوجه الاختلاف والاختلاف بينه وبين اللّسانيّات وما درجة التقاطع بينهما؟

يتكفّر النحو في كلّ الثقافات وما أقدم الجهود بدراسة لبيّات اللعوية لوضع لقواعد الفقدرة على تمثيل الأقوال (التراكيب) استلزمة من الأقوال (تركيب) «الحاطة» أو «المساعدة» على عكس اللّسانيّات يتميّز النحو بأنّه مقدرة معيّنة أو مدرسة معيّنة من حيث إنّّه لا يهتمّ بما هو كائن في لسان ما، وإنما يهتمّ بما ينبغي أن يكون عليه هذا اللسان من حيث لتركيب وصيغ القواعد كتدوينها لا يعبّر عنه أوضح النحوي لا يهتمّ باللسان كواقع، وإنما باللسان النموذجي/المثالي أو بمعيار la norme الذي يردّ له أن يسود وينمّر، يدعى النحو بالدراسة الأولى إلى وضع القواعد الضّحيّة التي يسير عليها اللسان عبر عينيّ كلّ ما يراه أو يعتقد من وجهة نظر غيره أنّه غير صحيح أو غير مطابق بقواعد

أما اللسانيات فهي بالأساس رؤية وصفيّة أو/وتفسيريّة لنظّمهر اللغويّة المدروسة من دون إصدار لأحكام الصميّة إنّ للسانيات تتناول ما يقال فعلاً، ولا تهتمّ بما يجب أن يقال كما يفعل النحو من هنا نفهم ما يرد في الدراسات اللغويّة القديمة في الشرق كما في العرب، من عبارات تعكس نوعاً من لرقاة اللغويّة على المستعمل أو المعلم، مثل لا يجوز/لا ينبغي/ستحسن، يجب قول ضعيف قول مهمل/قول متروك) لكن من يقرّر القاعدة العامة؟ وكيف يمكن صبطها في عباب تعظية شامنه للواقع اللغوي؟ تلك إحدى معضلات لأبناء قديمنا وحديثنا

هذه العديّة المعيارية ملازمة للنحو بالمعنى التقنيّ في الثقافة العربيّة كما في العرب، كان النحو يعرف على أنه فن أو صناعة الكتانة والكلام الجديدين «art de bien écrire et bien parler» والنحو في هذا المنظور التقنيّ ليس أية مأصلة في اللغة أو أنه مجموعه من لقواعد التي يحددها تكون اللغة النحو يدرس فن التواصل الناجح وفن الكلام بطريقة معرّ فيها عن الفكر بشكل كامل وواضح عن طريق صيغ التعبير التي يختارها لذلك فإنّ النحو دراسة فعالية معيّة، وليس دراسة سبق معيّن من القواعد أو المفردات أو (الحمل) ويكمّن في بوضوح وتوسيع ماديّ الأداء الناجح أو، نفهم التصحيح لتلك الفعاليّة⁽¹³⁾

أما اللسانيات فتقف عند حدود الوصف والتفسير، تعين وتلاحظ ثمّ تصف ما هو كائن من حيث لغويّة، محاولة إيجاد التفسير لعالم للتراكيب اللغويّة وغير اللغويّة Grammaticale. agrammaticale على السواء

5. تعريف اللسانيات

5 1 صموض عبارة «علم اللغة»

نعتد أنّ عبارة «علم اللغة» Science du langage متسّعة وعبر دفعة ذلك أنّها تسميه تشمل ليس للسانيات فقط، وبم كلّ العلوم التي تتناول اللغة

(3) راي هاريس وتوبس جي تيرر أعلام الفكر اللغوي (التقيد العربي من سقراط إلى سوسير)، ترجمه أحمد شاذكر لكلاي، ح 1، دار الكتب الجديد المصححة، بيروت، 2004، ص 53-54

le langage من بعيد أو قريب لقد قننا سابقاً بأن اللّغة بمعناها العام بسبب من اختصاص اللسانيات وحدها، وأنما هي مجال مساحت أخرى ألا يستحق هذه المجالات لقب «علم اللّغة»؟ ألا تدرس «الغرياء أصوات اللّغة دراسة علميّة» والأمر يصدق على علم النفس والمنطق ولزبصّات فهذه المجالات المعرفيّة تدرس اللّغة أيضاً دراسة علميّة وبالتالي، فإنّ سمية «علم اللّغة» تطبق عليها بصرف انظر عن موضوعها. صحيح أنّ هذه العلوم تختلف عن اللسانيات من حيث منظورها للّغة، ومن حيث الوسائل المستعمدة، ومن حيث العايه والأهداف التي تسعى إليها هذه الاختصاصات وفي رأينا أنّ أساس الخلط والعموص هو التعريف العام الذي يُعطي للّسانيات «اللسانيات هي التّراسة العلميّة للّغة»

لكي نقرب أكثر من هذه اللسانيات نطرح لسؤل التالي ما اللسانيات؟ ومن الطبيعي أنّ أيّ إحانة تقنصي أرسنة نظريّة وفكريّة يسلط منها ويفسّر في صوئها العمل اللساني سواء في صورته العربيّة أم في صورته العدة وقد أشرب في الفهرات السّابقة من هذا الفصل إلى الخلط المفهومي الذي تكشف عنه كثير من كتبات اللسانية العربيّة الحديثة⁽⁴⁾ فيما يتعلّق بتحديد بعض أسط المفاهيم الأوّلة والجوهرية مثل «علم اللّغة» و«فقه اللّغة» و«السّحو» و«الفيلولوجيا» سائر موضوع اللسانيات من خلال تحديد مجالها

ممكن القول بأنّ ما يميّز اللسانيات هو عدميّتها وموضوعيّتها فإنّ تجنّي هذه لعلمية وهذه الموضوعيّة؟ تتطلّب العميّة بصفة عامّة وجود قوعد وأصوّر محدّدة تتّصل مع الظواهر لمعشّتها ها في اللّغة مثل هذه الأصوّر موجودة فعلاً في مجال اللسانيات، وهي في محمّتها ما قدمته مختلف لمدارس اللسانية الحديثة والمعاصرة من بيويّة وتوبيديّة ووطبقيّة، بعضها تمّ تجاوزها؛ وبعضها ما يراي قائماً حوله إجماع؛ وبعضها فيه نقاش بحسب لوجهة التي تتّأها لدرسو

اللسانيات دراسه علميّة للّغة، ما في ذلك شك، وهذا هو المنطق على أنّ اللّغة المقصودة ها ليس ها أي علاقه بالمفهوم الحسنّي أو الواقعي للّغة؛ أي اللّغة كأصوّر سمعها ونعرف إليها اللسانيات مد دو سوسر تقسم ما يعرف

(14) مرید من التفاصيل نظر كتاب اللسانيات في ثقافة العربيّة الحديثة، الدار البيضاء.

بالتظاهرة اللغوية إلى ثلاثة مستويات: «لغة والناس والكلام»⁽¹⁵⁾ أو ما يسميه تشومسكي «قدرة والإيجار». موضوع النسبيات ليس هو «اللغة بمعناها العام؛ أي الملكة اللغوية أو القدرة على اللغو بعض النظر عن العرق والجنس والمجتمع وهو ما يسميه الفرنسيون بعد دو سوسير Le langage وإنما اللسان la langue ذلك لتسق من القواعد المجردة، العامة لمشاركة بين المتكلمين داخل مجتمع لغوي محدد والتعامل مع الناس من منظور النسبيات الحديثة محكوم بعدة محدّدة هي «دراسة اللسان في ذاته ومن أجل ذاته» وهي «القبلة الشهيرة لدو سوسير»⁽¹⁶⁾، التي كانت وراء استقلالية النسبيات كعلم قائم في ذاته له إطاره وموضوعه وأدواته الإحصائية والسمعية المسمّية من غيرها من المحاللات التي كانت مدمجة معها أو يفرضه منها كالتحوّل وللاعه وتحليل النصوص والفيولوجيا وغيرها من الممارسات اللغوية أو العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تناول دورها قصب لغة من زاوية خاصّة بها

5 2 السمات المميزة للممارسة العلمية⁽¹⁷⁾

لإجابة عن الأسئلة السابقة وغيرها نقود إلى لدّحول في مجال العلم وخصائص النشاط العلميّ الصحيح كما يمارس اليوم في كلّ العلوم لكنّ أوسى المعصيات تكمن في أنّه من الصعب على أيّ كان أن يقدم تعريفاً عاماً وشاملاً للعلم، ومن التعرّف أنّه في الوقت الذي يتحدث فيه لجميع عن الإبحار العلمية لنظرية منها والتطبيقية، وعن مذهب البحث العلميّ ومعايير لتفكير علميّ وعن أسس لعدم وف إلى ذلك من العبارات، لا نعتز على تحديد واضح للعلم وهذا الأمر جعل بعضهم يقول إنّ العلم مفهوم مهم⁽¹⁸⁾.

وقد يستعنى عن لتعريف المباشر لعدم لتقديم جوابه الاستيمولوجية أو أسلوبه أو مذهب أو خطواته أو مهجّة البحث العلميّ وهي كلّها عذرات تُحيل

(5) نظر الفصل المنعق بالبحث عن هذه المستويات الثلاثة من تظاهرة اللغوية

(6) F. de Saussure *Cours de linguistique generale* p 317

(7) نظر معاد في طبعه النسبيات العامة أوليب مذهب، محنة فكر ونقد، عدد 96،

إدار مدارس، 2008

(18) فلاديمير كوركوف، البحث العلمي، ص 4، دار انجدة، بيروت، د.م.

في مجملها على المعنى نفسه وقد يعرف العلم بعايانه وأهدفه. يقول كارن بوبر (1902-1994) «ليس في دهي صورة للعلم باعتباره ظاهرة بيولوجية أو كأداة للملاءمة أو كمنهج غير مباشر للإنتاج وكتي أفكر في حواسه الإستيمولوجية»⁽¹⁹⁾ ويقول آخر «إنه (العلم) في آن واحد موقف تجاه الطبيعة وحملة من المعارف وأساليب تفسير وعمل»⁽²⁰⁾ وقد يحدد أساليب العلم في كونه «ملاحظة صورة ومراجعات متكررة ومناقشة مفتوحة»⁽²¹⁾ ويذهب بعض لابسيمولوجيس إلى أنه من لعث اختصار العلم في منهج واحد أو في فوعد معينة بسيطة نظراً إلى التاريخ، المعقّد للعلم نفسه إن مقارنة في هذا الاتجاه تنشط العلم ونحتصره ليس غير⁽²²⁾ وسواء توصلنا إلى تعريف أولي للعلم أم لم نستطع ذلك، فإن هذه التحديدات والمواقف المتنوعة تؤكد فعلاً وجود شيء اسمه العلم، وأن هناك اتفاقاً يكاد يكون عاماً حول ما يمكن وصفه بأنه علمي وما ليس كذلك «إن بإمكان تحديد السمات المميزة التي يمكن بموجبها أن تصنف بصورة ما أو أفكاراً معينة بأنها علمية وقابلة لأن توضع في صنف العلم»⁽²³⁾

فما لمقصود بالعلمية عندما يتعلق الأمر بوصف ممارسة أو نشاط ما؟

للعلمية دالتان العلمية بمعنى العام وتتمثل هنا في مجال اللسانيات في كون اللغة (الظاهرة العامة) ودراسة لألس بصفة خاصة تستحق أن تكون موضوع اهتمام لعلماء وأن مجموعة متفقة من الأحداث والنظريات أقيمت حولها أما المعنى الضيق والخاص للعلمية، فيشير إلى الموقف الذي يساهم اللسانيون حالياً إزاء موضوعاتهم، وهو ما يمكن أن يكون إحدى أهم سمات اللسانيات في القرن العشرين ومعنى القول بأن اللسانيات علم بالمعنى الضيق، أنها تعالج موضوعاً

(19) K. Popper *Logique de la decouverte scientifique* Paris, Payot, 1973, p 284

نظر ترجمة هذا الكتاب في سبسه عالم لمعرفة - وهناك ترجمة أخرى مطلق الكشف العلمي، ترجمه ماهر عبد العادر محمد بدر، دار لهضة لغوية، بيروت، 1976

(20) كوركايوف، البحث العلمي، مرجع سابق، ص 41

(21) المرجع السابق، ص 80-81

(22) F. Feysrabend *Contre la methode*, Paris, Seuil, 1981, p 15

(23) S. Toulmin. *L'explication scientifique* p 15

بوعياً (اللغة المكتوبة واللغة المسطوقة)، وأنها تستعمل إجراءات يمكن توصيلها ووصفها بكيفية سقّية وقابلة للتشريح بالنسبة إلى المادّ التي تعلّنها إنّ هدف اللسانيّات هي الأساس هو تحليل الموادّ والوقوف عليها وربطها إذا أمكن بالقواعد والأطر المتروك واللامتناهي للمظاهر.

وتقوم العلمية على ثلاث قواعد هي

- الشموليّة exhaustivité، أي لمعالجة لمادة لكل الموادّ الملائمة
- تماسك coherence، أي غياب التناقض بين مختلف مكونات التحليل في مجموعته

الاقتصاد Economie إنّ الصّياغة المحتصرة أو التحليل الذي يتضمّن حدّاً أقصى من المبررات يكون أفضل من نظيره المطوّ أو المركّب⁽²⁴⁾ عموماً بقول عن مدرسة فكرية بأنّها علميّة إذا كانت وصفاً مستقفاً يعتمد على ملاحظات يمكن لتحقّق منها موضوعيّاً في إطار نظرية عمّة ملائمة للمعطيات المسروطة على البحث.

دلتّ على أن الإطار لتاريخيّ الذي ظهرت فيه اللسانيّات منذ بداية القرن العشرين، ثمّ تمت وتطوّرت إلى أن وصلت إلى ما هي عليه اليوم من تقدّم نظريّ ومهنيّ، مرتبط أساساً بسية ثقافية غربية معرفيّة وسياسيّة واجتماعيّة، بإمكان أن ينظر إلى اللسانيّات من زاويتين مختلفتين متباعدتين ولكنهما في العمق متكاملتان

أولاً الزاوية العامة باعتبار اللسانيّات نظرية ذات طابع علميّ عامّ كما هو الشأن في العلوم الأخرى، وبالتالي لها من المبادئ العامة التي يمكن تطبيقها على اللسان الطّبيعيّة بصرف النظر عن طبيعة الاختلافات الحاصلة في بيئاتها أو المظاهر المتعلّقة بكلّ لسان على حدة وقد درج على تسميته هذه الزاوية باللسانيّات العامة أو ما يصطلح عليه التّوليديّون بالنظرية اللسانية العامة أو النّحو لكتني⁽²⁵⁾

(24) R. H. Robins: *Linguistique générale une introduction* Paris, Armand Colin, 1973. 1964, p 20-21

(25) ينظر أعمال شومسكي الأخيرة، حيث يرد الحديث بإسهاب عن مفهوم النّحو لكتني

ثانياً الزاوية الخاصة، وهي الجانب المتعلق بلسانيّات خاصّة في تناولها لسان محدّد كالعربيّة أو الفرنسيّة أو الإنكليزيّة أو غيرها. «إنّ الزاوية الخاصّة مجال لا حتّار المادّي العامّة وميدان لتفسير مدى فعالية ما تفرّجه الزاوية العامّة من قواعد ومبادئ كلّية في إطار التطبيق على لسان محدّد أي ما يُسمّى بالنحو الخاصّ»⁽²⁶⁾.

والواقع أنّه لا يمكن دائماً الفصل بين التّعين العامّ والخاصّ، إنّهما في حقيقة الأمر وجهان لعملة واحدة، ويسهما من العلاقة المتبادلة لا يمكن إنكاره أو تجاهله. غير أنّه يتعيّن من جهة ثانية عدم الخلط بينهما لما لفصلهما منديّاً من أبعاد نظريّة عامّة في تطوّر كلا البعدين. وتفكيك اللّسانيّات إلى راويين أو بعدين ليس إلا توصيحاً للجواب الموضوعيّة التي يمكن أن يتّسم بها العمل اللّسانيّ في تحليله للغة، سواء باعتبارها ظاهرة لسانية عامّة أو على مستوى وصف تفسير ظواهر محدّدة في لسان معيّن كالعربيّة أو الفرنسيّة أو الإنكليزيّة.

لقد أثّرت تشومسكي العلاقة الجدليّة بين الزاويتين ميّناً كيف أنّ التّصورات والمبادئ العامّة والأدوات المفهوميّة يجب أن تُوضع باستقلال تامّ وكلّي عن اللّسان الخاصّ الذي نقد له، إلّا أنّ هذا لا يعني أنّ النّظريّة العامّة لا علاقة لها بالنحو الخاصّ إنّها تحدّد طبيعة وصورة وهدف الجهر التّحويّ الذي سيتكفّل بدراسة صوتيّات وصرفيّات وتركيب ودلالة الألسن الطّبيعيّة في إطار نحو معيّن وكما أنّ النّظريّة العامّة ليست قارّة، فإنّ النحو الخاصّ المقترح لدراسة لسان معيّن أو ظواهر جرّيّة منه ليس ثابتاً. إنّهما حاضمان للتّعديل المستمرّ عن طريق التحليل الدائم للظواهر اللّسانية الخاصّة بلسان معيّن، وعن طريق التجاور الدّائمي للنّظريّة العامّة نفسها. وهكذا كلما ظهرت وقائع جديدة سواء في مستوى النّظريّة أو في مستوى النحو الخاصّ وجب أحد ذلك بعين الاعتبار، مما يسدعي في آتية ضرورة إعادة النّظر والمراجعة بعين التّحيين والتّعميق واستخلاص النتائج النّظريّة والمهجيّة.

وتتمكّن العلاقة بين العامّ والخاصّ بالشكل المتلارم والمترايط من الوصول

إلى وضع نظرية أكثر فعالية وجدوى من حيث إنها ستكون أكثر شمولية في معالجته نبيت معوية بأحد في الاعتدال معطيات الألسن الطبيعية كذا وكيفاً

هذا لتصور لعمل لسانی ولطبيعة اللسانیات بعده عند أكثر من باحث لسانی حديث لقد عرف مثلاً بـميسب للسانیات بأنها دراسة اللغة والألسن يقول «إن للسانیات موضوعاً مردوحاً إنها علم باللغة Langage وعلم بالألسن Langues»⁽²⁷⁾

وفي الاتجاه نفسه ين مانفريد بيرفيتش Manfred Bierwiech أن للسانیات وجهين، دراسة ألسن خاصة ومحددة وهي ما سميها اللسانیات الخاصة ودراسة لاطرادات العامة وهي ما يسميها للسانیات العامة كما يؤكد بيرفيتش علاقة لتك من بين اللسانیات العامة و للسانیات الخاصة يقول «إن هذه الاطرادات العامة لا يمكن اكتشافها إلا بدراسة الألسن الخاصة كما أنه لا يمكن نحصل الألسن الخاصة إلا إذا كان مطلقاً على لأقل في شكل مروض بعض الاطرادات العامة»⁽²⁸⁾

إن تحديد طسعة البحث كما تتحلى من خلال ما سبق على سبيل التمثيل لا احصر، بوضح أن هذا التحديد يعد من الأوليات المنهجية في تدوين القصص المعنوية علمت وعلى أساس هذه التعريفات يمكن القول بأن هناك تصورات في تحديد مجال البحث اللسانی

أولاً اللسانیات الوعته التي ترى أن مجال البحث اللسانی يجب أن لا ينعدي إطار وصف لألسن الخاصة، وبالتالي فإن للسانیات هي دراسة الناس الوحد على مستوى السيات الصوتية والصرفية والتركيبة والدلالة نجد هذا التصور بمجال للسانیات عند جل المسیين السیویین (الوظيفية لتورية) وهو تصور واقعي-تجريبي تصنيفي لا ينعدي إطار لسان الواحد

ثانياً اللسانیات الكلية (أو الفرصية) وهي التي تنطلق من دراسة خصائص

E Benveniste *Problèmes de linguistique générale*, tome I Paris. Gallimard. (27)
1966, p. 9

يعمل دار لكتاب الجديد المتحدة، على ترجمة هذا العمل ويمنه إلى لغة العربية
M Bierwiech *Modern Linguistics*, Paris, Mouton. Lahague, 1954. (28)

النسائية كملكة عامة تتصل إلى الألسن الخاصة. ويعتمد هذا النوع من النسائيات على مجموعة من الفرضيات Hypotheses العامة التي يسعى إلى تحييدها. إن النسائي في هذا التصور بمجال النسائي يسو من انقوعد والمبادئ العامة، وليس سقفاً من العلاقات. ومن هنا فإن دور النسائيات هو وضع قواعد بحوث مماثلة ومطابقة لتلك التي يملك الفرد المتكلم مع إيجاد نظرية شاملة لها تعرف في إطار عقلانية عموماً ونظرية لتحو التولدي بصفه خاصه بالكائنات للعوثة، أي الخصائص المادية والصورية المشتركة من جميع الأنس مهما ختلف) نجد هذا التصور الفرضي عند النسائي الدماركي لويس هيلمسييف Louis Hjelmslev 1899 1965 وسيمست 1907 1976 وتشومسكي (1928)، وهو التصور السائد الآن في معظم الدراسات النسائية لعالمية⁽²⁹⁾

و لواقع أن هذه التعريفات نظراً عموماً خاصة بالنسبة إلى المندى، لذلك فإن أهم شيء يمكن أن نعرف لما للنسائيات ويحدد موضوعها ومهجعها هو ممارسة النسائيات نفسها وممارسة الأعمال التي تسجر في إطارها صحيح أن هناك بعض القواعد العامة والمبادئ الأساسية التي يجب أن تتوافر في كل بحث يريد لنفسه صفه «النسائية» أو طبع لعلمية، غير أن هذه المبادئ ليست قواعد منهجية بقدر ما هي «إرادة» بعض «الأوهام» أو «المعرفة الحاطئة» حول أمور تتعلق باللغة وطبيعتها وعلاقة المتعلم بقواعد بحثه ومن هذه المبادئ

إن عام النسائيات ليس هو الذي يتكلم أكثر عدد من الأنس الأحيائية، وبالتالي يسعى لمميز بين لحدث النسائي ومتعدد الألس Polyglottes

ليس هناك تمييز أو مفارقة بين «لسان» و«لسان»؛ فجميع الألس متساوية أمام البحث العلمي أم أفصنة لسان على لسان، وأهميته ومساهمة في الحضارة الإنسانية العامة، أو الخاصة بحضارة محددة، فهذا ليس من شأن النسائيات ولأن عدد الحضارية لسان (تراث/ثقافة) لها قيمتها المرجعية، لكن ليس الأمر كذلك بالنسبة إلى النسائي anguste الذي ينظر إلى الألس باعتباره سيات صورته إن النسائيات نعالج كل الألس باعتبارها أساقاً للتواصل، ومن

(29) نريد من تفصيل حول علمه النسائيات يمكن الرجوع إلى درسا في طبيعة النسائيات لعامة أوليات منهجية، مجلة فكر وقد عدد 96، آذار، مارس، 2008، لرباط

هذا فن «الدوارح» أو اللهجات هي فعلاً ألسنة بالمعنى العلمي، وستحق من لعدية والدرس ما يستحقه اللسان الوطني أو الرسمي

- يُشترط في الباحث أن يكون موضوعياً (وإن لم تكن هناك موضوعية مطلقة) كما هو الشأن في سائر المجالات العلمية الأخرى ولذا تبه أو التعصب لهذا اللسان أو ذلك لا يحدم البحث العلمي ومن هنا يرفض القول بتمابر الألسن من حيث إنها نيات مجردة وبمير الواحد عن الآخر؛ من حيث استهولة أو الصعوبة فجميع الألسن سهلة وجميع لألسن صعبة في لوقت نفسه

اللسانيات ليست ممارسة لغوية معارئة ليس اللساني مجمعا لغوياً أو نحوياً يقوم بدور «الدركي»، يأمر بهذا الاستعمال اللغوي أو ينهى عنه فليس للساني سلطة على اللسان أي كدت طبعه هذه السلطة إن دور اللساني هو الوصف أو/و لتفسير من دون إبداء لرأي من الناحية المعيارية

5 3 أي دور لللسانيات في تدريس النحو واللغة؟

ما من شك في أن معرفتنا بالنشاط اللغوي عند الفرد وفيرت على دراسته لغة وكيفية تعليمها لتكر ولتضمار هي ليوم بمفصل مختلف مروع اللسانيات وماهجه في مستوى عال جداً من الدقة والتحكم؛ تنجور بالتالي ما كما يعرفه عن النحو واللغة في القديم شرفاً وعرباً فمعلومات عن النحو واللغة أوفر وأعم وأدق، وقدره الدارمين ليوم على التفسير العلمي بالمعنى للذيق وللمقدرة الموضوعية لهما، جعلت من اللسانيات علماً طلائعياً، لا فقط بالنسبة إلى العلوم الإنسانية التي تبنت النموذج اللساني كطريقة تفكير وتحليل - في تعاملها مع الظواهر الإنسانية والاجتماعية - بل لقد افتحمت للسانيات نجاح كثير من المجالات العلمية الأكثر دقة مثل ازيصيات والإعلاميات ولترجمة الفورية ولترجمة الآلية عمدا يمكن للسانيات أن تصنع للنحو واللغة⁽³⁰⁾؟

أولاً الرؤية الموضوعية التي نصيف إليها ها ضرورة الابتعاد عن دور

(30) لمزيد من التفاصيل انظر درسي النحو اللسانيات بين الانعصام والاتصاف، مجلة فكر

ونقد، لعدد 72، آذار مارس، 2009، كريباط

العصاب الفلسفية الحقيقية مثل إشكاليته أصل اللغات أو أصليته لسان على لسان
إنح

ثانياً الأدوات النظرية المسهجة المضبوطة والخطوات المحددة لمعالجة
لعصاب التحوية واللغوية وفق تصورات هيكلية واضحة

ثالثاً حملة من المبادئ التي تقوم عليها السيات الذهنية للغات الشرية،
أي الآليات المعرفية والإدراكية للغة، وهو ما يعني أن استيعابها وكيفية اشتغالها
من شأنهما أن يُعيد النظر في القواعد التحوية التي يتعين وضعها

رابعاً الأرضية النظرية والمسهجة لبناء الأبناء وتبرير اختيارها من حيث
صياغتها وأشكالها، وعلاقتها باللغات والكفايات Adequations، أي الأهداف
لمرمع تحقيقها، وكذلك الشروط الداخلية والخارجية للآلية لسان التحو مثل
التعميم والبساطة والوصوح. وفي الأدبيات التوليدية التي وضع أسسها اللساني
شومسكي ما يكفي من هذه المصوغات المسهجة التي من شأنها أن تجعل التحو
مستراً وأكثر علمية، وبالتالي فعلاً في تحقيق الأهداف المنوخة والعياب
المبوبة به

خامساً النسائيات تساعد على الكشف عن السيات اللغوية تركيبياً ودلالياً
شكل أعم وأوضح وأدق وفدات، بالتالي، من الممكن إعادة صوغ القواعد
لمعيارية صوغاً تتحقق فيه درجات عالية من التعميم ولشمول والبساطة والدقة
والوصوح

سادساً فهم أعمق لطبيعة اللغة الشرية ذاتها وواقعها ومنها اللغة العربية،
من يمكن من إعادة النظر في كثير من الأفكار الموروثة عرسية المستويات مثلاً
(أي تحليل اللغة على أساس أنها تراث من المستويات الصوتية والتركيبية
والدالية) نمك من تحليل جديد للعلاقات الممكنة بين الوحدات اللغوية صوتياً
وتركيبياً ودلالياً كيفية مماثلة بين هذه المستويات أف في مستوى فهم الواقع
للغوي، فالنسائيات وفروعها مثل السوسيولسائيات تقدم لنا معلومات هامة عن
وصعية الازدواجية التي يعيشها كثير من المجتمعات، ومنها المجتمعات العربية
تكشف النسائيات وفروعها عن حقيقة الوصع اللغوي الذي عالياً ما يتم تجاهده
لأسباب سياسية واجتماعية، واعتباره وصعاً متجاساً وبالتالي لا بطرح مشاكل

معينة. سنحصر هه علاقة اللّغة العربيّة «بالدوارج» عربيّة وغير العربيّة في المستوى الترموي (مشاق التّربية والتّكوين في لمعرب مثلاً يدعو إلى الانصاح بمردوح داخليّ على اللّهجات المحليّة وحارجيّ على اللّعب (الأحيّة) وواقع أنّ هه الاهتمام ليس ستجده سياسيّة لواقع اجتماعيّ فكريّ معقّد، ولكه أصحّ معطى حقيقيّ يعرف تعنّم اللّغة العربيّة وتعليمها وفي هه الاتجاه هه بعض الاقتراحات التّطريّة الفعّالة لرصد هه لواقع بذكر منها على وجه استّحديد مفهوم تحويل القدره code switching أي الاستفان من القدره السّعويّة Competence لحاضّة باللّغة العربيّة إلى القدره الحاصّة بالذّارجة-شعوريّ أو لاشعوريّ⁽³¹⁾ وبالفعل لم يعد حافياً على أحد أنّه لا يمكن تعميم اللّغة العربيّة من دون أن يأخذ في الاعتبار علاقة التّدخل بينها وبين مختلف «الدوارج» مفهوم لقدره «بمقصود كما تحدّده الأدبيّات التّوليديّة؛ أي المعرفة الضّمّية باللسان لتي نمكّن من توليد ما لا حصر له من لحمل التّحويّة والقدره على إربة الانتاس أو الحكم على درحة التّحويّة وما شابه ذلك من تعامل المتكلّم السّامع مع سبق لسانه

سابعاً نقادي التعريفات المفهوميّة القائمة على لدّالة واعتبار الروائر tests الشكّية مثل شوريّع والوظيفة والعلاقة والمواقع في تحديد طبيعته لممولات (الوحدات والعلاقات بينها) مما استدعى إعادة لنظر في لتقسيم اثلاثيّ لأجزاء المحطّات وجهد الأسناد تمام حنّان واقتراحه بتقسيم السّاعّي معروف في هه، لباب⁽³²⁾، وهو دبيل واضح على هه التّوخّه نحو إعادة لنظر في كثير من لأفكار لقديمه لني يصعب اليوم لاستمرار في لأحد بها تربويّ

ثامناً استحلّي عن النّظرة التجريبيّة لّلغة ووحداتها، وبالنّدي مدعو اللّسانيّات إلى لاهتمام بالوحدات، لدّ أنّه والبحث عن نظم عدم بعلاقات سها سوء في مستوى محور لتوريّع أو في محور لاختيار مثلاً من لمعلوم أنّ قصايا الحملة

(31) الاقراص في الأصل لعبد القادر القاسمي القهري وقد قدم عبد اللطيف شوط وعبد المجيد حقه عملاً تطبيقيّاً مهمّاً ورائد في هه الإطار بعنوان تحويل لعمدة من المعرّنة إلى العربيّة في كتاب قصاي في اللّسانيّات العربيّة، مشوار كسه ابن مسك، 1992

(32) نعم حنّان، اللغة لعميّة ممها ومبها، الهسه بمصريّة العامة سكّات، القاهرة، 1973

العربية وردت متفرقة بين أبواب منعته من المنظومة النحوية العربية مثل باب الفعل وباب الصاع وباب الانتداء وباب الاشغال والتقديم والتأخير القصور نسبي لسات الحملة كما نحه في أعمال انساني الفهري وداود عنه وحلين عميره والأعمال لجامعة بكثير من لثبات المعرره يتم شكل هيكلي سائي يربط بين الحصاص لتوريعة ولعقولة للباب المدروس والأبواب لأخرى التي تؤلف معه السية العامة لجمعه وهكذا تمت لرهه اسطرية على أهمية الرهد بين الحممة الفعية والحممة لاسمته، والتوحيد بين لسيات لتي عتبرت اسمية في النحو العربي، كالحملة لموصولة والجمال الاستهامية³³

تسعا اقتراح مفاهيم صورية جديدة أكثر وصوحاً ودقة مثل (لسثير تنكيث/الحقق، لإصعاد لدراسة الطواهر الدعوية التي تعطيها بعض، لمفاهيم مقدمة مثل التقديم و لانتداء وكثير مما جاء في باب لاشتعال)

وأخيراً لا بد أن نربل من لأدهان ما قد يفهم من هد الكلام وعبره مما قيل في سياق معابر وما رده البعض من كون اللسانيات جاءت لتعوض النحو إن اللسانيات ليست بديلاً لنحو النحو ضروره تعيمية واللسانيات ضرورة علميه

6. اللسانيات من تعدد المذاهب إلى وحدة المبادئ

إن الحديث عن اللسانيات، لا يعني البتة أن لتصورات اسفترحة في بدارها شكل موضوع إجماع، أو اتفاقاً تاماً بين الباحثين اللسانيين لهد عرف البحث العلمي في مجال للعه مد بداية القرن العشرين تطوراً مدهلاً، يتعدر معه الوقوف عند جميع جريئات هذا التطور ومفصيله إن تعدد لتصورات وسوع الاهتمامات، وتكاملها، واحتلاف المواقف، نجاء القصاي اللعوية لمطروحه،

(33) نحن هنا على أعمال الأساد انساني لفهري في إطار النحو سويدي وبالخصوص اللسانيات وللة العربية، در توفان بشر، لدار انشاء، 1984 مريد من لتفصيل حول مساهمه لسنانيات لعربية في دراسة للعه العربية بطر كتاب اللسانيات العربية دراسة في المصادر والأسس النظرية والمهحية، مشورات كيه لأداب، لدار انشاء 1998، وكديث جامعة إسماعيلي علوي اللسانيات في لشافه العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قصايا التلقي وإشكالاته، در الكتب الجديد لمتحدة، بيروت، 2009

يجعل من المسير في كثير من الحالات، الحديث عن اللسانيات وكأن الأمر يتعلق بعدم واحد أو بتصور واحد متكامل ومتحاسن.

16 اللسانيات العامة دلالة المفهوم

شيء من خلال التسع العاشر لنقصا والموضوعات التي درست تحت مسمى باللسانيات، أنها شملت البحث في مسائل للغة التالية منفردة أو مجتمعة - البحث في قصايا تعريف اللغة البشرية وتحديد طبيعتها التسمية والاجتماعية والتسميولوجية والنتائج النظرية المترتبة على تحليلها من هذا المنظور أو ذاك

- وصف البنيات اللغوية في مستويات لتحليل اللغوي، مثل الأصوات والصرف والتركيب والدلالة والمعجم وما أصيبت إليها حديثاً مثل التداوليات البحث في المسائل والمفاهيم العامة لمتحركة في مستويات التحليل السابقة؛ ووحداتها (وحدة صوتية/ صرفة/ مركب/ مكوّن/ إلخ)، سوء من حيث تحديد طبيعتها، أو دورها، أو القيود عليها، أو من حيث علاقتها بوحدة المسويات الأخرى

- الاتجاهات لعمدة للبحث اللساني الحديث أو المدارس اللسانية بحث في النماذج اللسانية⁽³⁴⁾، سوء من حيث طبيعتها، وكميته وضعها، أو من حيث القصايات النظرية و المسهجة المتعلقة ببنائها، وعلاقة كل ذلك بالأسس الطبيعية المدروسة

- البحث في المصاح التي يسمي اتساعها في دراسة اللغة وطرائق حثاها عملياً.

وقد تقدم اللسانيات في صورة أعم وأوسع وأشمل، فتعرض بعض لكتابات اللسانية العامة تصنيف النعت وتوزعها جغرافياً، ومن حيث عدد المتكلمين بها، ومستويات اللغة من أدبي ودارج.

I I Revsin *Les modèles linguistiques*, Paris, Dunod, 1968 (trad. du russe) (34)
v O, 1967

و لملاحظ أن بعض القصص التي كانت تدرس في بداية لقرن العشرين في إطار اللسانيات، أصبحت اليوم، تتمتع باستقلال منهجي ونظري، مُحددة لنفسها ما يندرج من مبادئ نظرية عامة وخصائص منهجية، مستقلة جريئاً أو كلياً عن اللسانيات، كما هو الشأن بالنسبة إلى علم الاجتماع اللغوي، وعلم النفس اللغوي وأصبح الجغرافية اللسانية وصاعه الأطللس اللغوية جزءاً من دراسة مستقلة كلياً هي علم للّهجات Dialectologie

إطلاقاً مما تقدم، يمكن التمييز بين نوعين من المادى في اللسانيات العامة

أ - مادى مرتبطة بالإطار المنهجي العام للسانيات وتتعلق

بطبيعة البحث اللساني، ومجمله، وصبط موضوعه وهدف درسته

علاقة لنظرية العامة لمقاربة اللغات لطبيعية لحاصة

المميز بين المعدلين الأني والتطوري في التحليل اللساني

اعبار للسان مستويات يتغير عدم الحفظ بينها

نسبة اللسان وما يترتب عليها من مبادئ منهجية ومفاهيم إجرائية هامة

مثل السية، والعلاقات والنصه وما شابه ذلك من مفاهيم ستعملت في إطار اللسانيات النيوية وغيرها

ب- مادى مرتبطة بالإطار النظري أو المنهجي لتصور لساني معين، وهي

في أصلها مفاهيم تصورية، أو أدوات إجرائية أنست عن فعاليتها في التحليل اللساني، فأصبحت مبادئ ثابتة تحدد هذا الإطار النظري أو ذاك ومن هذه مبادئ، نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر:

لشائيات اللسانية لسان/كلام، ودال، مدلول، ودلالة، قيمة، وغيرها من

ثابتات

مفاهيم عامة مثل الوحدات الصوتية (لهوبيمات) والتقابل والسمات

لصوتية المميزة، وما شابه ذلك في التحليل لصوتي الحديث عند مدرسة براع، ومسوى العبارة والمصموم في لتحليل الكلوسيمات على سبيل التمثيل لا الحصر

- إجراءات التقسيم، واستوريع، والاستبدال، والتعاقب، ومحوري التوزيع والاحتبار في اللسانيات الوصفية، عموماً والمدرسة التوزيعية خصوصاً

- مفاهيم تصوّريه ومهجة عامة مثل التمييز بين السية السطحية ولسية العميقة، والتمييز بين القدرة والإنحار والتحويلات واستغلالية التركيب وأولويته ومثل ذلك من المفاهيم الأساس في اللسانيات لتوليدية

المبادئ الأساس في اللسانيات الوظيفية مثل

- وظيفة للغات الطبيعية الأساسية هي لتواصل
- موضوع الترمز اللساني هو وصف القدرة اتواصلية للمتكم والمخاطب
- النحو الوظيفي نظرية لتركيب والدلالة منظوراً إليهما من وجهه تدويته
- يسعى الوصف اللغوي القامح إلى لكهانة إلى تحقيق أنواع ثلاثة من الكهانية الكهانية التسمية والكهانية التداولية والكهانية المظية⁽³⁵⁾

وبالإمكان الاستمرار في تقديم المبادئ الأساسية لمتعلقة بهذا التصور أو ذلك، إلا أن ما يهمنا، هي المبادئ التي تشكل القسم المشترك بين مختلف التصورات اللسانية الحديثة، أي تلك المبادئ التي يمكن عدّها مصطلحات مؤسسة لعلمية اللسانيات دنيها، ومؤطرة لاستغلاليها المهجة ولم يكن بإمكان البحث اللساني، بدون هذه المصطلحات أن يصل إلى ما هو عليه اليوم، من صسط ودقة، سوء في أوروبا، على يد دو سوسير وأتباعه، أو في أميركا على يد بومسند وهاريس Harns Zellig (1909-1992) وتشومسكي وغيرهم وتبدو أهميته لمبادئ الأساس في اللسانيات في كون وضعها لم يتمّ عباطياً إنها ليست معطاة شكل قلبي وحاهر، وإنما تمّ ساؤها نظرياً واحسرت تطبيقاً.

(35) أحمد المتوكّل، الوظائف التداولية، دار ثقافة، الدار البيضاء، 1985، ص10

الفصل التاسع

اللّسانيّات العامّة : المادّة والموضوع

1. دو سوسير وتأسيس اللّسانيّات

لا يكتمل الحديث عن اللّسانيّات الحديثه وماهجها، ويطوّر بصوّراتها وهرّعها إلى مدارس واتجاهات، من دون ستحصار دور النسبي السّويسري فرديان دو سوسير (1857-1913) في لمسار الذي قطعنه للّسانيّات؛ حتى عدت بمودحاً له قيمته لنظرية ول منهجية متميزة في حقن علوم الإنسانيّة وما عرفت للّسانيّات وغيرها من لمجالات اللّغويّة، الفريّة منها أو امساحلة معها من تطورات، لم يكن ممكناً من دون المساهمة لإيجابية للمفاهيم ولتصوّرات اوارده في امحاصرات دو سوسير، وهي لمفاهيم ولتصوّرات التي غالباً ما أعد صوعها في مجالات معرفيّة أخرى، مثل علم النفس، وعدم الاحتماع، والسيميائيّات، وفلسفة اللّغة، مما يجعل دو سوسير مرّجعاً لا فحيد عنه في استدلالات التي طرحت في جنّ المجالات لمرسطة باللّغة وفصايد. ويُمكن ففون بأن امحاصرات دو سوسير عرفت مند ظهوره سنة 1916 مساراً متميّزاً ومكانه مرموقة قلماً حظي بها عمل علمي آخر طوا القرن لعشرين

لمد كان مؤلف دو سوسير دروس في اللّسانيّات العامّة الذي نشر سنة 1916، بعد وفاته موضوع بعيد من الدراسات اللّسانية وسيميائية وفلسفيّة وبيستمولوجيّة)، أفصت كتبها إلى قراءات متنوعة ومحتتفة لمكر دو سوسير وبصوّراته وتُجمّع كلّ هذه القراءات على حصص أفكار سوسير اللّسانية؛ وعلى

عقريه الرّحل وحسنه لعلمي المتميز، وريادة نصوّراته، ودورها الحاسم في تأسيس لسانيات جديدة بكلّ الموضوعات والمقاييس.

بعد فتح محاضرات⁽¹⁾ دو سوسير الدب أمام نظور نظري مدهل للسانيات أولاً وللمعلوم لإسانية ثابتاً، بفصل المفاهيم الجديدة التي جاء بها فجّل لتصورات التي ظهرت في اللسانيات بعد دو سوسير، برجع في مجمل أصوبها لأولى إلى هذا الرّحل وتتميز التصوّرات الواردة في لمحاضرات بقوتها على الثبات ولضمود آدم نظور اللسانيات نفسها ورغم لتحولات النظرة ومهجية التي عرفها لدرس اللساني الحديث، فإن لسانيات دو سوسير ظلت حاصره بها لا ترفض التطور النظري الجديد لسانيات، بل سادته باعتبارها ما تزال قابله لأن تدمج في إطار هذه التصوّرات لجديده فماداً قدّم دو سوسير للسانيات الحديثة؟

يُسّ دو سوسير أنّ كثيراً من الممارسات اللغوية القديمة لم تُعدّ مفضولة بالنظر إلى مظاهر الفصح المهيّج فيها من عدة جوانب، وبالتالي يتعيّن البدء في البحث اللساني عن نهج جديد يمكن من تأسيس علم لغويّ جديد على أسس نظرية ومهجية جديدة.

بدأ دو سوسير علمية اللسانيات من حيث يسعى أن يبدأ التأسيس النظري لأيّ علم فكلّ ممارسة فكرية تُريد أن ترقى للمسوى العلمي الحدّ والمقول لممثل في وضع نظرية عامة حول طرائق تناول القصص اللغوية، بحث أن تسعى إلى تحقيق حمّة من الشّروط لمهجية لعامة منها.

التسليم بصحة بعض المفاهيم لأولية والمُسلّمات لاسانسية

تحديد طبيعة مجال البحث لاستقصائي وحدوده

- دراسة هذا المجال من وجهة نظر معينة وبواسطة مهجية خاصّة⁽¹⁾

ومعلوم لدى دارسي المصباح العلمية، أنّ العلم لا يقوم إلا إذا حُدّد موضوعه أولاً، ثم المصباح ثانياً يفان عادة إنّ الموضوع هو الذي يخلق

(1) J. P. Cornille *La linguistique structurale Sa portée ses limites* Paris, Larousse, 1976, p. 2.

المصباح، أما في مجال النسائيات فليس الأمر كذلك، نحتاج إلى تحديد المصباح أولاً، ثم لموضوع ثانياً «إن وجهة النظر هي التي تحقق الموضوع» بحسب تعبير دو سوسير ⁽²⁾ C'est le point de vue qui crée l'objet

نحتاج النسائيات عكس لعنوم الأخرى إلى تعريف مُسبق للموضوع الذي سنبحث فيه ومن هه المصطلح المصباحي، بدأ دو سوسير تحديد موضوع النسائيات، ممتراً بين مفهومين أساسيين عابداً ما يحتلطان في أذهان كثير من لدارسين هما مفهوم المادة *matiere* والموضوع *objet* ⁽³⁾ وقد بين دو سوسير بوضوح أن مادة النسائيات ليست ما نعرف عليه القدماء حين حصروها في لغة لتصوص القديمة، ولغة الأدب لراقي المكتوب مع ما ترتب على ذلك من إهمال واضح للهجات الحديث ليومي، وإقصاء معتمد لها، وبما في أشكال التعبير الشري

إن المادة *matiere* التي يسعى أن يصبّ عليها البحث لتعوي بحسب دو سوسير، يجب «أن تشمل جميع مظهر الكلام الشري، سواء أعلق الأمر بكلام لشعوب لمبوخشة، أم بكلام الأمم المنحضرة، وسواء أعلق الأمر بلغة لعصور الكلاسيكية، أم بلغة عصور الاسطاط، مع لاهتمام ليس بلغة الضحيحة فقط، أو بلغة الجميلة، وإنما بكل أشكال لتعبير الإنساني» ⁽⁴⁾ ويهد التمييز يكون دو سوسير قد جعل النسائيات تعاق لواقع اللعوي، من خلال لعادية بلغة بحية ليومية؛ مهما كانت قيمتها الحضرية والتعبيرية، ودرجة أدبها ومستوى بشارها

يتضح ممّا تقدم، تأكيد دو سوسير على أهمية اللهجات وقيمتها في لدرس الإنساني الحديث، وهو ما يُفسّر همام النساين المحدثين باللهجات، و للعب المحلّة إلى جانب للعب الرسمية، أو للعب الأدبية لعنفة والاهتمام باللهجات والحديث ليومي العادي، يعني اعتماد المستوى المصنوق

(2) De Saussure *Cours de linguistique generale*, Edition critique préparée par

Fulio De Mauro. Paris. Payot, 1974

Idem. p 23

(3)

Idem, p. 20.

(4)

قبل المستوى المكتوب. كما حدد دو سوسير دور اللساني لجديد في تناول هذه «مادة» وليس للبحث اللساني أن يسأل المادة اللغوية كما يحلو له، ولكن مهمته في نظر دو سوسير تتحدد فيما يلي

وصف كل اللسان التي يمكن الوصول إليها؛ ووضع تاريخها وهذا يقتضي وضع تاريخ للأسر اللغوية؛ ومحاولة بناء اللسان الأم *la langue mere* لكل أسرة أو فصيلة لغوية

البحث عن القوى الموحدة *forces en jeux* بصفة دائمة وشاملة في كل لسان؛ مع استتاع القويين التي يمكن أن ترد إليها بعض المظاهر الحاضرة في تاريخ لسان معين

- تحديد اللسانيات وتعريفها بنفسها

بتنقضي مما سبق، أن دور اللساني جديد بالقياس على ما كان عليه الأمر قبل دو سوسير كان اللغوي سابقاً يدرس اللغة لأسباب غير محددة سلفاً ولم يكن وصف اللسان وصفاً موضوعياً هدفاً في ذاته إلا في حالات نادرة، بل كان لأجل عدايات أخرى؛ منها الديني، والأدبي، والفلسفي، والتربوي إلى غير ذلك من العدايات والأهداف التي حاول اللغويون تقديم الوصول إليها من خلال دراستهم للغة

وساد الاعتقاد قبل دو سوسير، ومع التاريخيات على وجه التحديد، أن القويين اللغوية عمياء لا يمكن التخلص منها، لأنها قوى طبيعية خارجة عن إرادة المتكلمين بلسان معين أما دو سوسير، ف يرى أنه بالإمكان الوصول إلى هذه لقوانين التي بصفها بأنها «قوى متضاربة»، وذلك بوصفها والتعميد لها ومهمته البحث عن القواعد العامة للآراء المتحركة في اللغة من المهام الجديدة للساني، لم يسكن لها من أثر إيجابي في تطور الترمس اللساني الحديث، بل تطر إلى الأبعاد المسهية التي سيحدثها هذا المسعى في البحث اللساني بعد دو سوسير

2. المازق المنهجي

ويدهي أن اللسانيات لا تتناول لظواهر اللغوية من كل حواشيها التاريخية، والاجتماعية والنفسية والحصرية. إنها تدرس اللغة باعتبارها وسيلة للتواصل

على أساس أنها مظلومة من المستويات لضوئية والصرفية والتركيبية والذلاية
وبذلك يسعد دو سوسير عن التعريفات التي تجعل من لوطيفة الأساس لغة
تمثيلاً لسية لفكر على نحو ما نجد في النحو الفلسفي وأعمال المعوتين لمقارنين
إن تحديد اللغة باعتبارها تمثيلاً لسه الفكر يُعيد إلى الواحدة عدد من
الإشكالات التي ما فتئ الفكر الإنساني مشغولاً بها منذ القديم ويتعلق الأمر
بتحليل الأعداد؛ والجواب لمتعددة للغة في علاقتها بالفكر، وهي الإشكالات
التي تستحضر القصائد المتداولة منذ قرون في إطار ما عرف بنظرية معرفة ولم
يكن تعداد دو سوسير عن هذه التصور ولید لصدفة، ويتم إعداد منه وبأكيداً قوياً
على كون النسائيات بحث أن تظل مستغنة عن غيرها من العلوم الإنسانية
ولاجتماعه التي تهتم بدورها باللغة، وتداول بعض خصائصها الفردية أو لفسية
أو لاجتماعه أو الفكرية

من المعروف أن النسائيات بوصفها علماً يدرس اللغة واللغات، علاقات
وتنوع مجالات معرفة وعلمية أخرى تتناول اللغة موضوعاً لدراسة. وبين هذه
العلوم والنسائيات نوع من التقاطع والالتقاء في تدل لمعلومات والمعطيات
ولاستفاده منها فالنسائيات ليست هي الإثنوغرافيا Ethnographie أو ما قبل
التاريخ Préhistoire، وهما معاً مجالان يهتمان أيضاً بالإنسان «بشرى» إن للسان
في هذين العنصرين ليس أكثر من وثيقة والنسائيات عبر الأثروبولوجيا التي تهتم
بدراسة الجنس «بشرى» وإذا كان اللسان حدثاً اجتماعياً، فهذا لا يعني بالضرورة
إدماج النسائيات في علم لاجتماع أم علاقة النسائيات بعلم النفس فهي أشد
تداخلاً فاللسان في جوهره ذو طبيعة نفسية وكل ما في لغة مرتبط بشكل أو
بآخر بالنفس فهل تكون النسائيات هي علم النفس الاجتماعي؟ بالتأكيد لا كما
أن النسائيات ليست هي لفلولوجيا رغم العلاقة الوثيقة بينهما وما يمكن أن
تقدمه كل مجال للآخر من معلومات هامة إن ما يهتم «النسائيات» يهتم كل مهتم
بمعالجه الموضوع من مؤرخين وفيلولوجيين وغيرهم^{٥٩}

إن تصور دو سوسير الواردة في محاضرات هي محاولة حادة وغير

مسوقة لتأسيس لسانيات علمية مستقلة عن المعارف والعلوم التي كانت تنجذب
البحث اللغوي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كان البحث
اللغوي في المرة المذكورة منقسماً بين رؤيتين

رؤية اجتماعية تعتبر اللسان ظاهرة اجتماعية يجب تحديده على هذا
الأساس، مما يجعل من البحث اللساني بحثاً اجتماعياً بالدرجة الأولى. هذه
الرؤية يقودها كل من أطوان ميه وحوريف فندريس Joseph Vendreyes⁽⁶⁾

رؤية نفسية تعتبر أن لا مجال لتحقيق عمية الدرس اللغوي إلا من خلال
اعتبار اللسان ظاهرة نفسية، وبالتالي فالمباحث اللسانية مباحث نفسية يوظفها علم
النفس ويدافع عن هذه الرؤية فان جيكن Van Ginneken⁽⁷⁾ وسيشاي Sechehaye

يرفض دو سومير النظرتين معاً بالنظر إلى طبيعة المجال اللساني؛ لأنهم
لا تسمحان بتحديد الموضوع الخاص باللسانيات فكلا الموقفين يُدرجُ اللسانيات
إما ضمن العلوم الاجتماعية، وإما ضمن علم النفس، بينما يؤكد دو سومير مبدأ
استقلالية اللسانيات. ولهذه العادة أعدد دو سومير صيغة التصورين الاجتماعيين
والنفسيين بتحديد موضوع الدرس اللغوي للسان نفسه، وإدماج هذين التصورين في
إطار رؤية اجتماعية نفسية أو على الأصح في إطار علم النفس العام أو علم
النفس الاجتماعي Psychologie sociale وفي ضوء هذين التصورين ينتهي دو
سومير إلى أن اللسانيات تشكل جزءاً من العلوم الاجتماعية، وتحديداً وعلم
الاجتماع باعتباره علم قوامين الحياة للكائنات الواعية في المجتمع. غير أن علم
الاجتماع هذا يجب أن يفهم من وجهة علم النفس، وبالتالي فإن علم النفس هو
لدي يحدد المكانة المبسطة للسانات من دون أن تصهر فيه.

هذا الموقف لموفق بين علم الاجتماع وعلم النفس يشكل حلقة نظر دو
سومير لموقائع اللغوية على النحو الذي سمعنا فيه لقول في الفقرات التالية،
لاستبصار فيما يتعلق بعلاقة اللسان بالكلام، أي لجمع التصوريين ما هو ظاهرة
اجتماعية (اللسان) وما هو ظاهرة فردية (الكلام)

(6) Joseph Vendreyes. *Le langage* Paris. Arbin Michel, 1964 923

(7) Van Ginneken. *Principes de linguistique psychologique essai de synthese*. Paris,

Marcel Rivore, 1906.

غير أن جديد دو سوسير في موضوع الدرس اللساني لا يكمن في لجمع بين التصورين السالقين فحسب، بل في تأكيد أن اللسان موضوع اللسانيات هو شيء آخر غير الجانب الاجتماعي أو النفسي فيه. إن اللسان كما يقول «ماهية مجردة» والمجرفة التي قام بها دو سوسير بحثاً عن استقلالية اللسانيات، تتمثل في كونه راهاً على اعتبار اللسانيات جزءاً من علم لم يوضع بعد. فلم تكن السيمولوجيا هي محاضرات دو سوسير سوى مشروع فكري أو برنامج عمل إن اقتراح السيمولوجيا كمجال أوسع نتمي إليه اللسانيات، محاولة فريدة و متميزة تتم عن عبقرية منهجية كبرى لتجروح اللسانيات من مارق التأسيس، والانتعاد بها عن التصورين الاجتماعي والنفسي

إن لقراءات والتحريجات الاصطلاحية الجديدة التي قام بها دو سوسير، سواء في نظوره لعلاقة اللسانيات بالعلوم الاجتماعية، أو بالسيمولوجيا، أو بالعلوم الأخرى التي تتقاطع واللسانيات، أو في تحديده لجديد لطبيعة للسان، أو غير ذلك من الأهميات النظرية التي تقدمها محاضراته، إنما نبين موضوع حرص لرجل على تأسيس إطار نظري متكامل وتام يتعلق باللسانيات وحدها، بضمن استقلاليتها، ويساهم في وضعها العلمي بشكل طبيعي بماتر حاصل في علوم أخرى وتُجسد لمحاضرات في الأخير وعي دو سوسير لكامل الأسس الإبستمولوجية التي أراد أن يبني عليها صرح هذه اللسانيات العلمية الجديدة

واستقلال اللسانيات لا يتأتى منهجياً إلا بخلق إطار نظري عام يبدأ بتحديد الموضوع تحديداً منهجياً، يُمكن من رسم لعلامح الحاضنة باللسانيات، باعتباره دراسة علمية لموضوع اشتغلت به علوم أخرى ادّعت غير التاريخ المعرفي أحقيتها به وصداقتها في الانكباب عليه؛ مثله هي حال الدراسات للغة القديمة، من نحو وبلاغة، وفقه لغة، وصيدولوجيا، وتحليل النصوص

واعتماد اللغة موضوعاً مشتركاً تتعاضده معارف أخرى، يستلزم لبدء بتحديد موضوع اللسانيات، تحديداً يُسر لعلامح الحاضنة بهذا لموضوع غير أن لموضوع في لسانيات؛ لا يُقدم نفسه بشكل نقائلي، إنه نتيجة عمل تصوري ومنهجي إن وجهة النظر هي التي تخلق الموضوع وليس العكس كما يقول دو

سوسير⁽⁸⁾ إنَّ للغة تبدو لأول وهلة اكتملة غامضة ومتراكمة لا رابط بينها⁽⁹⁾، وبالتالي فإنَّ أيَّ تعامل معها بهذه الكيفية المبسطة، بقود إلى عدم التمييز بين النسبيات، وغيرها من المعارف التي تتحد هي الأخرى من اللغة موضوعاً لها

لنحروح من هذا المأرق المبهجي؛ بتعيّن الانطلاق من أرضية محدده، تكشف الطبيعة التصورية لموضوع النسبيات، وتضمن استقلاليتها يتعقّق لأمر باللسان باعتباره معياراً ومقياساً تؤخذ في صوته باقي التظاهرات أو الوقائع اللغوية⁽¹⁰⁾ ويبدو اللسان من دون غيره ضمن هذه الوقائع غير المتجانسة، وبلاّ لتحديد مستقلّ يسمح للفكر أن يطلق من أرضية نصورية مقبولة⁽¹¹⁾

لكن ما موضوع النسبيات بالتحديد؟ ما الذي يميّزه من اللغة الموضوع في علوم الإنسانية والاجتماعية لأخرى؟

بدل مفهوم الموضوع (objet) على عدة معاني منها

• غاية كلّ نشاط فكريّ

• المعطيات التي يمكن عادة ملاحظتها أو تصوّرها إنَّ لأشياء لا توجد
بأسسه إلى إدراك كما هي في الواقع، وإنما هي نتائج نشاط معيّن
يحدّد نظريته علمية⁽¹²⁾

والمعنى المقصود في عبارة «موضوع النسبيات» هو ابعده لمتوّجه من كلّ
نشاط فكريّ وفي هذا الساق، فإنَّ النسبيات تدرس اللسان في ذاته ومن أجل
ذاته⁽¹³⁾ كما أنّ تحديد الموضوع يتعلّق كذلك بمصطلح المعطيات لني سحري
عليها التحليل

(8) De Saussure *Cours de linguistique generale*, p 23

Idem p 23

Idem. p. 23

Idem. p 25

(12) حوّن ديبوي، المنطق نظرية البحث، ترجمة ركي نحب محمود، دار المعارف،
نقدرة، 960

De Saussure: *Cours de linguistique generale*, p 3, 7

(8)

(9)

(10)

(11)

(12)

(13)

يميز دو سوسير إد، بين مادة لسانیات وموضوعها تشكّل لمادة كما رأيت من مجموع الأحداث اللغوية. أما لموضوع؛ فهو للسان في ذاته ومن أجل ذاته، وهي لفكرة التي رزدها كل اللسانيين بعد دو سوسير، والتي نجدها في صيغ أخرى واعتبارات مثله في مدارس لسانیة مختلفة، لا تنبئ بالضرورة موقف دو سوسير، على نحو ما فعل تشومسكي حين جعل من القدرة اللسانية *Competence linguistique* موضوعاً للسانیات⁽¹⁴⁾

بهذه الكيفية، ولهذه الاعتبارات المبهجة والتصورية أصبح تحديد دو سوسير لموضوع اللسانیات وعدة أساسية في التفكير اللساني الحديث يقول مدرسته: «إنهم لا يدركون أنه لا يمكن أبداً إدراك غير جانب واحد (من الإنسان)، يتعبر بحسب الكيفية التي يتناولون بها هذا الموضوع. إنهم لا يدركون أن الخطوة الأولى للفكر العلمي الذي يستحق هذه الصفة، هي بالسط تحديد وجهة النظر التي يتناول من خلالها لأحداث القديمة للملاحظة ولكي يدرس اللسانیات، لا يتعلق الأمر بمحصر أحداث اللسان من دون منهج محدد أو بحسب منهج مستخلص مصادفة، مختلف من باحث إلى آخر، وربما بتحديد مدته قائم في ذاته أولاً وقبل كل شيء، ورويه تحديد رؤية لسانیة حاصلة، نسمح وحده بصمد الوحدة التي حية للسانیات من جهة، ونضمن من جهة ثانية، لاستفلا انتهائي بهد العلم ضمن علوم لإنسان الأخرى»⁽¹⁵⁾

3. تقسيم الظاهرة اللغوية: لغة/ لسان/ كلام

يقوم مفهوم دو سوسير الجديد لموضوع اللسانیات على تصور جديد بظاهرة اللسانية من خلال تقسيمها إلى ثلاثة مكونات

اللغة *Langage*

اللسان *Langue*

الكلام *Parole*

(14) N. Chomsky *Aspects de la theorie syntaxique* Paris, Seuil, 1971-1965, p. 14

(15) A. Martinet *Au sujet des fondements d'une theorie linguistique* Paris, Publications Paulot, 1968, p. 20.

ما حصائص كل مستوى؟ وكيف يشتغل؟ وما علاقته بالمكونات الأخرى التي تشكل معه ما يدرج عادة في التعبير العادي تحت اسم اللغة؟

3 1 اللغة⁽¹⁶⁾

اللغة بمعناها العام ملكة مميّز الإنسان من غيره من الكائنات، وهي ملكة طبيعية في الإنسان تجعله قادراً على التعامل مع بيئته في المجتمع عن طريق نظام من الإشارات الصوتية وهي أيضاً مدركة شمولية؛ بمعنى أن جميع الأفراد يملكونها من الناحية البيولوجية في كل زمان ومكان، بصرف النظر عن كل خلاف عرقي أو أيّ اعتبار حضاري أو ثقافي حاصر.

ونخرج اللغة بهذا المعنى عن نطاق التنفيد أو الضبط أو التحديد أيّ كانت طبيعته على الأقل في الوقت الراهن وقد يتمكن البعض عدداً من كشف أسرار هذه الميزة وهذه شبه اتفاق بين اللغويين على أن هذه الملكة تشكل في جوهرها نوعاً من الاستعداد الفطري عند الإنسان لاستعمال نظام صوتي من طبيعة أخرى داخل المجتمع ونظهر أن اللغة بهذا المعنى وتشقّق se cristalliser في نطاق المستوى الثاني من الظاهرة اللغوية.

3 2 اللسان

ما الإنسان؟ وما علاقته باللغة؟ يجب دو سومير قائلاً بالنسبة إلى، يختلف اللسان عن اللغة إن الإنسان ليس سوى جزء محدّد من اللغة كظاهرة عامة إنه نتاج جماعي للغة ومجموعة من الاصطلاحات اللازمة التي يكتفها للمجتمع ليسمح للأفراد المتكلمين بممارسة هذه الملكة⁽¹⁷⁾ من هذا المطلق، يُعتبر اللسان صورة عن اللغة وحرراً أساساً منها ويختلف اللغة عن اللسان في كونه ماهية لا يمكن التقعيد لها إن نظرة إلى اللغة في كلّيها تبين أنها معدّدة لأشكال multiformes وغير متجانسة Heterogene يدرج ضمن عدة مجالات فبريائية وفيريولوجية ونفسية إنها تنتمي إلى المجال الفردي كما إلى الجانب الجماعي، وهي غير قابلة لأن تصنّف في أيّ نوع من لوائح اشترية، لأن لا

Saussure: *Cours de linguistique générale* p. 25 et suivantes

(16)

Idem. p. 25

(17)

يستطيع الكشف عن وحدتها⁽¹⁸⁾ «وحيثما يَنُظَرُ إلى الظاهرة اللسانية، فإنها تقدم هوية مردوحة، فهي

فيولوجية ونفسية في الوقت ذاته

باعتبارها ظاهرة نفسية. فهي ظاهرة إدراكية وتصورية في لوقت ذاته

إنها تقتضي في الوقت نفسه مؤسسة اجتماعية ذاتاً وتطوراً ثابتاً⁽¹⁹⁾

أما «اللسان شيء منظم يُمكن التّقييد له وصيغته في مختلف لمستويات (صوت/ صرف/ تركيب) إنَّ اللسان وحده قابل لأن يكون موضوعاً Objective ويقوم اللسان على أخصية اللغة مع وجود طرف آخر هو المجتمع والمجتمع يدع دوراً أساسياً في تكييف الملكة اللغوية مع اللسان في لمحظ الاجتماعي سدي بوحده فيه الإنسان وإد كات اللغة قدرة، أو موهبة، أو استعداداً بيولوجياً، أو تكوينياً، فإنَّ اللسان شيء مُكتسب وليس ظاهرة عريضة مثل المشي إنَّ المجتمع يسمح للفرد المتكلم بدوره لاستعداد اللغوي في إطار جماعي مشترك

إنَّ طبيعة اللغة عند الإنسان ليست طبيعة كما يظهر من خلال عمدة الكلام عند الفرد إنَّ جهازنا الصوتي لم يوضع أصلاً للكلام مثلما وُضعت لأرجل للمشي⁽²⁰⁾ ما يبدو طبعياً عند الإنسان في مسألة اللغة بمعناها لعام، هو قدرته بمحض الاستعداد لأولي على تكوين لسان حاصراً بالمحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه؛ أي القدرة على تحويل الملكة إلى نظام من العلامات المعبرة عن أفكار متميزة⁽²¹⁾ دخل المجتمع، لذي يحتاج فيه هذا الإنسان، لأسباب اجتماعية وعيها، إلى سادل حراته وتجاربه، ونقل أفكاره إلى غيره، أو نقل

(8) سوسير، المرجع السابق، ص 25

(9) Semir Badir Saussure *langue et representation*. Paris. L Harmattan. 2001, p. 6

(20) يُشير دو سوسير إلى موقف اللساني الأمريكي ويتني Whitney من هذه المسألة يرى ويسى أن استعمال للجهاز الصوتي من بمحض لصدقه وتسهيل الأمور على الإنسان من غير (دو سوسير CLG، ص 26)

(21) Saussure *Cours de linguistique générale*, p 26

تكون ساطعة إنَّ اللسان أداة التواصل بين أفراد المجتمع إنَّ وجود لسان ككاش
لعوي بهذه الكيفية هو الأمر الطبيعي

3 3 لسان-كلام

إضافة إلى التمييز بين اللغة واللسان، ميّز دو سوسير بين اللسان والكلام
وهو التمييز الذي يكسبي أهميته منهجية كبيرة جداً، لأنه سمح بتحديد موضوع
اللسان تحديدًا دقيقاً. ويعدّ التمييز بين اللسان والكلام؛ وما تفرّع منه من نتائج
منهجية ونظرية هامة، بمثابة مصادرة *axiome* أولية غير مسوقة في الفكر اللساني،
وغير متفوّعة عن غيرها من المفاهيم الأولية أو ردة هي المحاصر ب. إنَّ اللسان
سوى لعوي قائم في ذاته، وحاصر لكل مجتمع على حدة، بقول «اللسان العربي»
و«اللسان الفرنسي» و«اللسان الألماني» وهكذا.

واللسان في نظر دو سوسير مجموعة من العلامات العرفية والاصطلاحية
التي يتمّ اتّوافق حولها يستعملها أفراد المجتمع لتعبير عن حاجتهم ليومية
العامة ولخاصة إنَّ اللسان مؤسسة اجتماعية، وهو متاح ما هو جمعي *Collectif*
بالمعنى الذي يعطيه عالم الاجتماع الفرنسي دوركهيم *Emile Durkheim*
(1857-1917) لمفهوم الجمعي، ولا دخل للفرد المتكلم فيه. إنه لا يخلقه ولا
يغيّره، وإنما يأخذه قسراً عن الجماعة التي يعيش فيها. يقول دو سوسير ليس
اللسان من وظائف الفرد المتكلم، بل هو أثر يستخله بكيّفية سلبية⁽²²⁾ بتكلم
الفرد لسان مجتمعه من دون أن يكون له دخل في حثاره، كما تتعلّمه بطريقة
سلبية. إنه يُقرضُ عليه اجتماعياً إنه يتنفذ من دون تدخل كبير أو جهد نصف دو
سوسير وضع لسان داخل العشيرة المعوية كما يلي

إنه كثر مسودع داخل عقول الأفراد الذين يتكلمون لساناً واحداً ويظهر
هذا لكثرة استعمال الأفراد له

يوحد اللسان عند أفراد الجماعة المعوية الواحدة على شكل مجموعة
بصمات *empreintes* موضوعه في كل عصر

للسان موجود على شكل مجموعة من الضور الكلامية المحتزنة عند جميع الأفراد⁽²³⁾

إن هذا «الكثر» وهذه «الصمات» و«الضور الكلامية» لا يمكنها فرد دون غيره، وإنما هي ملك لجميع مستعملي هذا اللسان قاطبة إن اللسان شبه قاموس تتفاسم الأفراد سُحاً متطابقة منه مع بقاء لمصموم شيئاً مشتركاً بين جميع الذين يملكون نسخة من هذا القاموس لكن هذا القاموس في الوقت ذاته يكون خارج إرادتهم، حين لا يستعملونه ويرسم ذو سوسير هذه الأفكار لمعتر عها شأن لسان كما يلي

$$1 = .1 + 1 + 1 + 1 + 1 \text{ (نموذج جمعي)}^{(24)}$$

شير الرقم انتهائي إلى نموذج المشترك بين جميع المتكلمين

وخلاف للسان، فإن للكلام نشاط لعويّ فرديّ، يتعلق بسعيد قواعد نظام لسان معين وبعمارة أخرى، فإن أداء المتكلم بنظام اللسان العدم والمشارك وإيجاره به، هو لدي يسقيه ذو سوسير كلاماً إن الكلام قائم على إرادة الفرد ومعنى بديكاته؛ لأنه يقوم بتركيبات يستخدمها وهو ما يوقره اللسان من إمكانيات لتعبير عن الأفكار والأعراض الشخصية والكلام لا يوجد بتقريفة نفسها عند المتكلمين بلسان معين، وإنما يختلف من شخص لآخر فكل واحد طريقته الخاصة في أداء قواعد اللسان المشترك بشعر المرء وهو متكلم نوع من الحرية في انصاف بعمليته الكلام نحن متكلم متى شئنا، لأن الأمر يتعلق بما دون سوان ولا نتحكم المجتمع في عمية الكلام الفردية، لأنه نمثك فقط سلطة مراقبة ما هو عدم ومشارك من قواعد النظام اللعوي بين الأفراد إن اللسان طهرة اجتماعية قسرة ومدومه للجميع، وكل حروح على لنظام اللعوي العدم يُعرّض بمنكم جسمه من الضعوبات الاجتماعية المتعلقة بدماجه داخل السه الاجتماعية لعاقه دابها والحبون والاحلال المعني بالسه إلى المجتمع مظاهر نفسية تُترك آثارها التعوية في المرحلة الأولى بالاهقية نفسها التي تُترك بها مظهرها المرصته

Idem, p 30

(23)

Idem. p 38

(24)

الأخرى وفي كل الثقافات يكون الإحساس بالأسباح والحروح عن التمدد، اللعوي المشترك (المألوف) بدايةً لتمييز بين لعادي والمرصي *Pathologique* بين أفراد المجتمع ويُمكننا أن ننظر إلى الشعر والإبداع الفني الأدبي عموماً، باعتبارهما قدرات لعوية حارقة للمألوف وللمشترك بين عامة الناس.

وعلى عكس الترفيم السابق يبين ترفيم عملية الكلام تعذلاً لا محدوداً

$$(1+1'+1''+1'''+1''''+1''''')$$

دون أن ينتهي التسلسل إلى شيء مشترك، إذ لا حصر ولا حد لطريقة المتكلمين في تأدية نظام قواعد لسانيهم.

ولتمييز بين اللسان والكلام، بحسب دو سوسير يُقضي إلى التمييز بين ما هو جماعي وما هو فردي فاللسان شيء جماعي والكلام شيء فردي، وبين ما هو جوهري وما هو ثانوي وعرضي فاللسان جوهري والكلام ثانوي وعرضي. إن دراسة اللغة كظاهرة عامة تشمل جيبين متميزين ومتكاملين في الوقت ذاته

- أحدهما أساسي موضوعه اللسان *la langue* الذي هو اجتماعي في جوهره ومستقل عن الفرد.

- وثانيهما ثانوي موضوعه الجاب الفردي لسان وهو الكلام *la parole* (25)

لكن كيف يمكن الرهنة واقعياً على وجود هذا التمييز النظري بين اللسان والكلام؟ يقدم لنا دو سوسير بعض الأمثلة التي تُبين بوضوح صحة ما ذهب إليه من تمييز بين اللسان والكلام كما سبق تعريفهما أعلاه.

يتعلق المثال الأول بحالة المريض بالأفازيا *Aphasie* وهي الاضطرابات الحاصلة في عملية اللغو أو فقدان القدرة على الكلام كلياً أو جزئياً وهي الحالة القصوى والمتقدمة للأفازيا أي فقدان القدرة على الكلام كلياً، يظل المريض متمكناً من شفرة *code* اللسان، أي نظام القواعد العامة التي يسير عليها اللسان، فالمريض لا يستطيع الكلام، ولكنه مع ذلك يظل قادراً على فهم ما يسمعه من

كلام لأحرير، وما يُوجّه إليه من خطابات وبإمكان المريض بالأفاريا رجبة محيطيهم بإشارات اليد أو الرأس أو باقي وسائل التعبير الممكنة مما يعني أنهم يدركون ويفهمون ما يوجه إليهم من خطابات.

هذا الوضع يعني بكل بساطة، أنّ المريض بالأفاريا يفقد الكلام [بالمعنى لدو سوسيري] أو لقدرة عليه، ولكنه يظلّ محتفظاً باللسان باعتباره مجموعة من القواعد المجردة المشتركة الموجودة في دماغه⁽²⁶⁾ والمثال المشار إليه يُوضّح عملياً، أنّ ثمة فرق بين اللسان والكلام، اللسان كنظام موجود في أدمغة الناطقين به، والكلام باعتباره استعمالاً فردياً وتنميداً خاصاً للنظام اللعوي العام المشترك.

أما المثال الثاني الذي قدّمه دو سوسير للبرهنة على الفرق القائم نظرياً بين لسان والكلام، فيتعلّق بما يسمّى بالأس الميتة⁽²⁷⁾ Les langues mortes فمن المعروف؛ أنه باستطاعتنا أن ندرس نظام قواعد الألس الطبيعية القديمة⁽²⁸⁾، مثل المصرية القديمة ولأشورية ولسريانية والكندانية وغيرها من الألس التي عالباً ما تُوضف بأنها ألس ميتة، لأنها لا تمثّل لجماعة بشرية لفعيية التي تتكلم بها وتستعملها بطريقة عادية. هو كان اللسان والكلام شيئاً واحداً لما استطعت تعلّم قواعد هذه الألس، ولوجب أن تقرر هذه الألس من لوجود نروان من كان يتكلمها.

3 4 بين اللسان والكلام

رغم ما يبدو في ثنائية دو سوسير من استقلال شكلي بين لسان والكلام، فإنّ العلاقة بينهما علاقة تلام. إنّ اللسان ضروري ليكون الكلام، لكنّ الكلام بدوره لازم ليكون اللسان وكما أنّ اللسان ضروري لكي يحدث الكلام آثاره ويكون ملموساً، فإنّ الكلام ضروري لتنظيم اللسان⁽²⁹⁾.

ولم يكتب دو سوسير بالإشارة إلى لترايط المتبادل بين اللسان والكلام، بل

(26) Idem, p. 15.

(27) Idem, p. 31.

(28) طبعاً يمكن دراسة الألس الميتة متى توفر المواد لتلازمه أو المخطوطات بذلك مثل النقوش أو الكتب أو أي وسائل أخرى يمكنها أن تحفظ بنظم هذه القواعد.

(29) De Saussure Cours de linguistique générale, p. 37.

أصاف إلى ذلك شيئاً بالغ الأهمية، هو أن الكلام أسبق تاريخياً من لسان وأساني لتفسير كل ما يطرأ عليه من تعبيرات وتطورات فكر ما هو نظوري وحركي في اللسان لا يكون كذلك إلا بمصل الكلام وفي كل الألسنة نجد أن كثيراً من التعبيرات اللغوية، إنما يكون مصدرها النشاط اللغوي الفردي، ثم تنسب الجماعة اللغوية هذه التعبيرات لحديدة والاصطلاحات الفرديّة⁽³⁰⁾ كن هذا يعني في تصور دو سوسير «أن أي تحديد لغوي هو قبل كل شيء تحديد فردي» وينتهي دو سوسير إلى نتيجة حاسمة، تتمثل في أن «الكلام هو لسان بطور لسان ويسميه»⁽³¹⁾

ونظراً إلى طبيعة المروق والخصائص المميزة لكل من اللسان والكلام، فإنه من الممكن في تصور دو سوسير أن يصع لكل من اللسان والكلام علماً خاصاً به ومن المحتمل وجود علمين متميزين علم خاص باللسان وعلم خاص بالكلام بطلق عليهما دو سوسير

«لسانيات اللسان *linguistique de la langue*»

ولسانيات الكلام⁽³²⁾ «*linguistique de la parole*»

إن اللسانيات الجديدة التي أقام دو سوسير صرحها، تنحد من اللسان موضوعاً وحيداً لها، كما يتحلى من قولته الشهيرة التي حُتمت بها المحاضرات «إن الموضوع الوحيد والحقيقي للسانيات هو اللسان في ذاته، ومن أجل ذاته»⁽³³⁾ ولهذا نقول كما سمعت لإشارته إلى ذلك قيمة إستيمولوجية على قدر كبير من الأهمية في تاريخ الفكر اللغوي الجديد، لأنه حدّد بالصبط الإطار النظري والمهجي الخاص باللسانيات، ومكّنها من الاستقلال بنفسها عن غيرها من العلوم والدراسات اللغوية

3 5 حدود الموضوع في اللسانيات

رغم تميز دو سوسير المهجي بين «لسانيات اللسان» و«لسانيات الكلام»،

Idem. p. 37

(30)

Idem. p. 37

(31)

Idem. p. 36.

(32)

Idem. p. 3, 7

(33)

بمعرفة عنه أنه تحدث عن لسانيات الكلام وإذا كان دو سوسير يؤكد فعلاً إمكانية قيام علم لساني خاصّ بالكلام، فلماذا لم يهتم به، بالرغم من العلاقة القائمة بينه وبين اللسان، على الأقلّ من الناحية النظرية؟ لماذا تمّ إقصاء الكلام رغم لأهمّية التي يكتسبها في النشاط اللغوي عند الإنسان؟ ربما يكون رفض دو سوسير للكلام كموضوع يدرس اللسانيّ الذي كان يصدّد التأسيس له باعتباره (الكلام) سميات إنحائية فردية ذات طبيعه غير مجسدة وغير قابلة للتصنيف، وغير خاضعة لأيّ تعييد

وقد أدرك اللسانيّ الفرنسيّ أندريه مارتينييه (1908-1999) الإشكال الذي تُثيره العلاقة بين اللسان والكلام، وما يترتب عليها من الساس وعموص في فهم أفكار دو سوسير وتوظيف معلوط لها. يقول مارتينييه في هذا الصدد: «إنّ استمير الضروريّ جدّاً بين اللسان والكلام يمكن أن يفهم منه أنّ الكلام يملك تنظيمًا Organisation مستقلاً عن نظام اللسان، مما يجعلنا نتصوّر وجود علم خاصّ بالكلام مقابل علم خاصّ باللسان غير أنه يجب الافتتاح بأنّ الكلام لا يعمل سوى على تحقيق نظام للسان؛ إذ لا يمكن لوصول إلى معرفة اللسان، لا بالكلام ولشكوك لدى بحدّده عند المتكلمين»⁽³⁴⁾

ومن الواضح حدّاً: أن لا أحد يشكّ في القيمة النظرية للبحث في أهمّية الكلام؛ ودوره الأساس في عملية اللعونة ودراسة الكلام هي أولاً دراسة مساعدا على الفهم العميق للسان وكمية اشعاعه وتحققه في العشائر اللعونة شكل عاديّ وطبيعيّ، كما أنّه إلى ذلك مرنسّه. لا أنّ دور الكلام وفيمته؛ سعي أن لا يظلّ محصوراً في تعيته، وحصوه بمطوق لسان، كما يفهم من قول مارتينييه السابق، بالرغم من الترابط المتينة نظريّة وعمليّة بين هذين الحاسين الأساسيين في النشاط اللغويّ الشريّ. إنّ إهمال الكلام وإقصاءه من حيز الدرس اللسانيّ هو في الواقع إهمال لحوب هامة وضرورية في كلّ عمله توصل عد الإنسان

ويرى شارل مالي Charles Bally (1865-1947) أنّ دو سوسير بالغ في

André Martinet *Elements de linguistique generale* Paris, Armand Colin. (34)
1974, 1960, p. 25

إعطاء كل هذه الصبغة الذهنية لسان يجعله شحنة لحكمة، لجمعية ويصعظ هو على فكرة اللغة العاطفية *langage affectif* كما يسميها وهي رأيه أن هناك صراعاً دائماً بين كلام الأفراد والنظام للعوي الذي لا يمكن أن يُرصى الجميع فاللغة المنظمة العادية الثقافة تكفي الرعة في نقل الأفكار وفهمها، لكن الكلام من ناحية أخرى، يقف في حده الحياة العملية، فأما ما يعثر الكلام عنه فهو الإحساس والرعة والعمل. وإنتاج الكلام عاطفي داني في لعب وفي هذه الحرب الحصارية بين الكلام واللغة يسجج لكلام دائماً في إدحان بعض حدوده إلى القعدة المحاصرة، هذه الحدود هي الكلمات أو الصيغ المتحدثة بالعاطفة³⁵ وللسان يكفي إلى حد معين لنقل لأفكار وأشعار المعيشة من قل لمنكلمين، لكن الكلام من ناحية ثانية، يستعمل في الحالات الخاصة لدى كل فرد على حده للتعبير عن مواقف ليست بالضرورة جمعية أو مشتركة داخل الثقافة لاجتماعية لواحده، بسبب ما يمكن أن يشعر به من أحاسيس وما يعثر عنه من رغبات في محطات العمل أو الانفعال إن إنتاج الكلام عملية عاطفية تعبيرية بامتياز

لقد قطع البحث في مجال فهم أليات الكلام عند الأفراد أشواطاً هائلة تمكن فيها من صبط كثير من قواعد لكلام التي كانت تبدو في نظر لعديد من اللسانيين لمحدثين أمثال دو سوسير ومارتينييه وغيرهما عبر قابله بملاحظة الموضوع، بله لتفسير لعدم والتفعيد الكلي لها

ومع تقدم البحث اللساني في القرن العشرين تغيرت نظرة اللسانيين إلى مفهوم الكلام ولم يعد ينظر إليه على أنه محال غير متحسس وحاصر بما هو فردي وبما لا يمكن التحكم فيه أو التنبؤ به³⁶ لم يعد لكلام ذلك العنصر المرتبط بالفاعل النفسي المتحرك على الدوام، لحاصر بكل فرد وعبر انقباض للإدراك³⁷ إن أليات الكلام أصبحت حاصلة للتفعيد ولو بدرجة أقل من

(35) عن تمام حبيب: مباحث البحث في اللغة، ص 37، در الثقافة، اندر السبب،

974، 997 وكنت كتاب شارل بالي، اللغة والحياة، بالفرنسية، ص 23-24

(36) معرض بهذه المسائل في كتاب المعين اتجاهات البحث اللساني الحديث، لا سيما ما

يتعلق بالبحث لندومي القوي

(37) *Langue Française* Paris, Didier-Larousse, N° 9-Fév 1972, p. 12.

النسائيات لا سيما ما يتعلق بعص لقواعد لتوعية المدرجة في م أصبح يعرف
بعمته القول Enunciation⁽³⁸⁾

ومعلوم أن بعض رواد مطرقة لقول/ لتلقظ حاولوا الكشف عن مظهر
بدخل لمرء المتكلم الذي لم يستمر في إنتاج الكلام؛ أو لحظات على نحو ما
يحدث في أعمال شارل بالي وديكسون وبهبيست وديسرايخ Weinreich (1926)
1967) وكوليولي Cuholi (1924) وبوبيه Pottier (1924) وغيرهم ويسعى
تحليل آليات الكلام عند المتكلم إلى الكشف المردوح عن المتكلم والآخر
(السامع) على نحو ما تكشف عنه دراسات ماكسون عن اتصالات Shifters
وبهبيست حول لصانتر⁽³⁹⁾ وتمثل أعمال هؤلاء النسائيات مرحلة لسانة جديدة
بحدوت حدود البحث في آليات اللسان إلى البحث في آليات الكلام وما
يصاحبه من إجراءات لغوية ويعكس هذا الانتقال تحولاً هاماً في الدرس النسائي
بحديث نحو المرید من توسيع حدوده.

وسمى لذلك كنه، أصبحت مسألة اعتبار الكلام شيئاً ثانوياً في الدرس
النسائي المعاصر قضية متجاوزة والكلام فذل لأن يُفقد له هو الآخر على
مسوى الاستعمال الجماعي، وهو موضوع الأبحاث اللغوية التي مدرج ليوم في
إطار ما يعرف بالتدويبات a pragmatique، وفي بعض مروع ما يسمى بتحليل
الحظرات

ومهما قيل بشأن ثنائية لسان كلام، فقد كان لها تأثير كبير في مسار الفكر
النسائي الحديث وتقدمه كانت ثنائية دو سوسير مثلاً أساساً لتقسيم ولتعبير
سدي وصعه ترويتسكوي (1890 1938) بين لهوينايتك والهيولوجي وطور
للنسائي إدانماركي لويس هيلمسييف (1899 1966) تصوراً مماثلاً أكثر تحريداً

(38) المرید من التوضيحات المتعقبة بهذا التصور في كتاب انقسط اتجاهات البحث
اللساني الحديث

(39) F. Benveniste «Nature des pronoms», in *Problèmes de Linguistique générale* 1966
يعتقد مفهوم Shifters لسي وصعه ياكسون بكلّ عناصر للغة التي لا يملك في
داتها دلالة محددة مثل لصانتر أن أنت نحن إلح التي يحيل على كلّ متكلم
ومحاطب نظر

Jakobson: *Essais de linguistique générale*, t.1 Paris. Minuit, 1963

ودقة انطلاقاً من تصوّر دو سوسير، ستعرض لبعض ملامحه خلال حديث عن موقع هيلمسليف في «تدريس اللساني البيوي الحديث»⁽⁴⁰⁾. ومعلوم أن تشومسكي وضع في إطار التحوّل توليديّ ثنائية قدرة-إنجاز وهي قرينة جداً من ثنائية دو سوسير من عدة جوانب

وبصفة عامة، يتفق كل اللسانيين البيويين على لقول إن موضوع اللسانيات الوحيد هو اللسان وليس شيئاً آخر والاختلافات الحاصلة تتعلق، إما بطبيعة هذا اللسان، وإما بتعبير المصطلح المعلاقة بسمية اللسان مثل شجرة Code حطاطة Schema أو المعيار norme مثلاً هو الشار عند هيلمسليف وتسمية كلام محطاب discours عند العديد من اللسانيين أمثال عتوم Gustave Guillaume (1883 1960) وسيفيست

(40) حول ار - وبصورت هيلمسليف لسانته، يمكن الرجوع إلى مصطفى علمان، اتجاهات البحث اللساني الحديث، (فيد لإعداد)

الفصل العاشر

نظرية العلامة اللسانية

1. النظرية الاسموية

سادت الدراسات لعوية القديمة حول لعامة اللسانية، تصور منطقي مسمي، يعدّ أرسطو رائده. وتمّ تبنيّه من قبل كثير من فلاسفة المرون، الوسيطى وما بعدها ومؤدى هذا التصور، أنّ اللسان لا يعبّدى كونه حشداً من الأسماء التي يعادل عدداً مماثلاً من الأشياء في العالم الخارجى ويعرف هذا للتصور بلاسموي Nominalisme أي أنّ اللسان لا يريد على كونه يربط أسماء بأشياء ومن دون ادخول في تفاصيل نظرية أرسطو حول الإشارة، يشير إلى أنّ هذه الأخيرة ليست سوى حالة خاصة من الرمز، وتتكوّن من ثلاثة أبعاد هي

الضوت

لشيء الموجود في العالم الخارجى

لحالة النفسية عند الإنسان لتي يتم من خلالها الربط بين الضوت والشيء وهي حالة عاقمة مشتركة بين جميع البشر

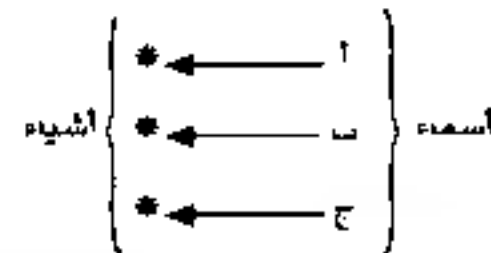
ويتمّ الربط بين الإشارة والشيء الخارجى عبر ثلاث علاقات نختلف في طبيعتها وعاباتها وهي

علاقة بين الضوت والمعنى وهي علاقة لعوية بامبار

العلاقة بين لاسم والشيء وهي علاقة ذات طبيعة أنطولوجية

- علاقة لاسم بالمسمى تجمع بين لشيء وما يقال عنه، وهي علاقة منطقية (بين المسمد ولمسد إليه)^(١) والمعنى من وجهة نظر أرسطو مطبق لعقل بمعناه العام (إدراك/تصور/فكر)

إنّ اللّغة في هذا التّصوّر لا تعدو كونها قائمة أو حشداً Nomenclature من لألفاظ التي تربط بأشياء العالم الخارجي ويرسم دو سوسير تصوّر الاسمية للسان كما يلي⁽²⁾



يرفص دو سوسير التّصوّر لاسمويّ للسان بعدة أسباب منها

تفترض النظرية الاسمية وجود أفكار قليلة جاهرة سابقة في لوجود على الكلمات، أي أنّ الفكر يوحد باستقلال عن للسان غير أنّها إذا تفحصت الألس البشرية وجدت الأمر غير ذلك لو كان الأمر كما تقول الاسمية، لما وجب أن تختلف الألس في استعمال الألوان والأرصة والضّمات وتحديد المحالات لمتعلقة برؤية العالم الخارجي وإدراكه لغويّاً

إنّ اللسان لا يكوّن من الأسماء فقط، ففي كلّ لسان، ثمة مفولات مركبيّة أخرى لا تقلّ أهميّة عن الأسماء ولها الدور والوظيفة نفسها، مثل الفعل والحرف ودقي الأدوات

يختلف إدراك الأشياء لموجوده وتصورها لغويّاً من لسان إلى لسان، بحسب ما يتيح كلّ لسان لمستعمليه من إمكانيات لغوية، تسمح بإدراك العالم

(١) Aristote *Organon* 2 de l'interpretation paragraphe, 16a, Paris. Vrin. 1977, trad

J. Tricot, p. 77 et suivantes

(2) عن دو مورو De Mauro في تعليقه على محاضرات موسر، ص 440 وروني Roulet

E محاضرات دو سوسير، Hatier 1975، ص 39

الحارجي والوعي به، ولا يمكن تصوّر الأشياء تصوّراً كليّاً؛ أي باعتبارها معاهيم عامة وكثية تصدق بالنسبة إلى كلّ الألسن، وإنما من خلال كلّ لسان على حدة⁽³⁾.
 يفهم من النظرية الاسمية، أنّ تعلّم الألسن الأجنبية (أو ترجمتها)، يحتصر في مقابلة ما لذي من الأسماء في اللسان الأصل، بأسماء من اللسان لهدف لذي يريد تعلّمه (أو ترجمته). ومعنوم أنّ تعلّم الألسن الأجنبية ليس بهذه الصورة المسطّطة

ينتهي دو سوسير إلى أنّ اللسان ليس على هذه الشاكلة لمسطّطة التي تتصوّره بها النظرية الاسمية. إنّ اللسان سق (سبة) مركّب ومعقد صوتيّاً وصرفيّاً ودلاليّاً وتركيبيّاً إنّ اللسان ليس مجرد ألفاظ يقابل أشياء موحودة في العالم الحارجي، ولكنّه مجموعة من القيم، حيث إنّ العنصر الواحد لا قيمة له إلا في إطار العلاقة التي تربطه بغيره من العناصر الموجودة معه في التسق نفسه فكيف نعرف دو سوسير علامات اللسان؟ وما الحديد في تعريفه؟

2. تعريف العلامة اللسانية⁽⁴⁾

يرى دو سوسير أنّ العلامة اللسانية *signe linguistique* لا تربط بين شيء ولفظ كما يذهب إلى ذلك الاسميّون، ولكنها تربط بين مفهوم *concept* وصورة سمعية *image acoustique* بهذا المعنى، فإنّ لعلامة اللسانية لا تربط اللفظ بالشيء الموجود في العالم الحارجي ربطاً مباشراً، أي أنّها لا تربط الشيء المسمّى بالاسم، بل تُسند للشيء الموجود في العالم الحارجي صورة مفهومية *image conceptuelle* تقابلها صورة سمعية ليست الصورة السمعية هي الصورة الضوئية المادّية الفيزيائية فحسب، ولكنها الانطباع الذي تُثيره الصورة في أنفاسنا⁽⁵⁾. إنّ العلامة اللسانية كيان بصريّ دو وجهين إنّ تصوّر الشيء ذهنيّاً

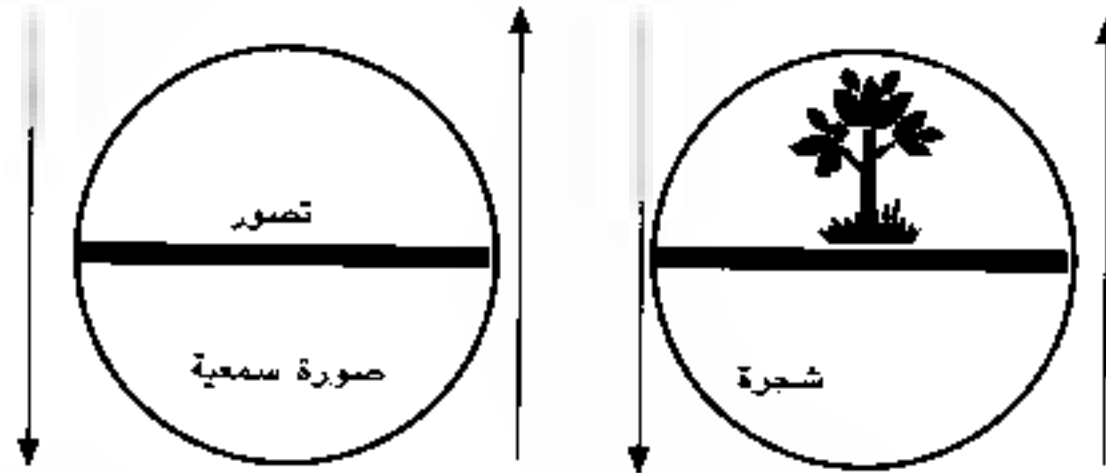
(3) ومعلوم أنّ علاقة اللسان بالواقع ولتصورات الثقافية الحاضرة متكشف عنها بكل وضوح ودقّة أبحاث أنثروبولوجية في النصف الأول من القرن العشرين على يد كل من سابر

Sapir وورف Whorf (نظر ص 48 وما بعدها من هذا الكتاب)

(4) نظر تحليل دو سوسير في محاضراته، ص 34 وص 97 وما بعدها

(5) لمرجع السابق، ص 99

يستدعي بالضرورة الصورة السمعية، ولعكس صحيح، كما يوضح ذلك الرسم التالي



ومجمل القول، إن العلامة النسانية في نظر دو سوسير ليست ماهية بسيطة، مثلما يوحي بذلك التصور لاسموي، ولكنها مرتكزة من مفهوم Concept وصورة سمعية Image acoustique أو صورة ذهنية وصورة سمعية يحمل هذا المفهوم وطراً إلى الالتباس لدى صاحب بعض التسميات الواردة في التحليل اللغوي القديم للعلامة، يقترح دو سوسير سداد المصطلحات القديمة بأخرى أكثر وضوحاً ودقة للتعبير عن مكونات العلامة وعده، يستند مصطلحي لصورة السمعية والمفهوم تدعى، بالذات signifiant والممدول signifie والذات هو لمجموعة بصوتية لمطوقه /kitabun/، وأما المدلول فهو مجموع الحصاص المعنوية التي يثيرها في الذات كتاب/ ومدلوله هو مؤلف + نه عول + عدد من الصفحات + صفحات مطوعة + محتوى فكري

ويلاحظ شأن تصور دو سوسير للعلامة النسانية أنه أتمد المدلول عليه (المرجع) Réferent وهو شيء الموجود فعلاً في لعالم الخارجي ولا شك أن دو سوسير أراح نهج الإفصاء البحث للنسبي من الحوص في قصاب فلسفية شائكة لا تعرف صعوبتها، لا الملاسه والمطافة، نتي تدرج في إطار إشكالية الإحالة Reference⁽⁶⁾

(6) يعبر فريجه (1845-1952) G Frege أحد الملاسه لفنيس الدين وضحووا مكينة لا تفعل لحدد المعنى بين لمرجع Réferenc والمعنى Sens في إطار فلسفي منطقي =

وفي التعريف السابق للعلامة اللسانية، لاحظ أن دو سوسير حافظ على كثير من الاعتبارات النفسية والاجتماعية في فهمه للتواهر اللسانية، لا شك أنها من محنات الترجمة النفسية والاجتماعية التي سادت في القرن التاسع عشر والظائع النفسية السار في تصور إشكالية العلامة اللسانية، جعل العديد من اللسانيين المحدثين في أمريكا يعنون دو سوسير بالذهني mentaliste في طرحه لفصاح اللغة عموماً، ولنظرية علامة بصفة خاصة وتطلق صيغة اندهسة على كل تصور لقضايا اللغة مسطوراً إليها من وجهة نفسية تقوم على تحديد الواحد ب اللسانية انطلاقاً من دلالاتها، وهو ما يعترض نوعاً من لتوري بين تنظيم اللسان وعظيم الفكر⁽⁷⁾

وقد حاول اللساني لذاركي لويس هيمسليف في صوغه الجديد لنظرية دو سوسير حول العلامة اللسانية نقادي الاعبارات النفسية التي عبرت مفاهيم دو سوسير، وقد اقترح هيمسليف تعويض مصطلحات دو سوسير أدل واملول، بمصطلحات أقل شحنة نفسية هي ثنائية تعبير expression محتوى contenu⁽⁸⁾

في اللسانيات الأميركية الوصفية لا نجد أثراً واضحاً لأفكار دو سوسير وبصورتها حول ثنائية لسان - كلام ولمكونات العلامة اللسانية من دال ومدلول ويعبر لتورية أن موضوع لوصف لسانى الأساس بالنسبة إلى الدرس اللسانى هو اقول enoncé لمنجر فعلاً ونس شيئاً آخر

3. اعتبارية العلامة

يمتد اعلامه اللسانية كيداً بسيطاً كما يعتقد من خلال لنظرية الاسموية، ولكنها بحسب تصور دو سوسير شيء مركب من مكونين دال ومدلول. أمّا

= محص يبحث في الصورة المصطفة بمفهوم التحقيق وقد تم ترحبه أن عدوتين مثل
L etone du matin l'etoile du soir بهم معيار مختلف ولكنهما محيلان على المرجع
نفسه وهو كوكب الزهرة Venus انظر مقارنه فريجه انشار إليها صدقاً في مؤلفه
Ecrits logiques et philosophiques Paris. Seui, 1971 1896

M. Filipi Introduction a la linguistique et aux sciences des langages. Paris. Ellipses, 1995, p. 9.

LOUIS Hjelmslev Prolégomènes à une théorie du langage, Paris, Minuit, p 79 (8)

العلاقة القائمة بينهما فهي عشوائية Arbitraire، ولذلك يحدث عن اعتباطية العلامة Arbitraire du signe⁽⁹⁾ والمقصود بالاعتباطية، أن المدلول ليس مرتبطاً بالذات بأية علاقة مهما كان نوعها، أي لا علاقة بين المجموعة الصوتية والتصور (المفهوم). وبعبارة أدق، ليس في الطبيعة ما يجبرنا على مفصلة هذا الذات بمدلول

وتتجلى الاعتباطية في عدة مستويات وليس في مستوى العلاقة بين الذات والمدلول فقط نجد الاعتباطية في المستويات التالية

بين الذات والمدلول، وهي لعلاقة التي تهتم لحدث اللساني بامتيار

بين الذات والمدلول عليه

بين المدلول والمدلول عليه

بالنسبة إلى المستوى الأول، لا يوحد أي ربط مهما كانت طبيعته بين الذات والمدلول فالذات الذي هو لمجموعة الصوتية المشكّلة للعلامة، إما منطوق مثل ktaabun، وإما مكتوب (حرفي) أما المدلول فمجموع الحصاص المدلولية التي يثيرها في الذات/كتس منطوقاً أو مكتوباً، كأن نقول إن مدلوله هو مؤلف + عنوان + عدد من الصفحات + صفحات مطبوعة + محتوى فكري +

فلا علاقة بين الوحدات الصوتية كـ /+ رت /+ /+ بـ /+ (بالإضافة للمحركات) ولوحدات المدلولية فالكاف في العلامة «كتب» لا تقابل الوحدة المعنوية «مؤلف»، و«الهاء» لا تقابل «له عنوان» و«ساء» لم توضع للذلالة على الوحدة المدلولية/التصورية «عدد من الصفحات» وهكذا

أما الاعتباطية بين الذات والمدلول عليه، فتتجلى في غياب أي ربط بين ما هو صوتي صطلاحي وما هو مجسّد ماديّ فعليّ وليس بين مكونات الذات والمدلول عليه في العالم الخارجي أي علاقة محاكاة تجعلنا نسمي هذا الشيء بهذا الاسم ولا يسعى أن يهتم كثيراً بعض الدوائر التي قد توحى بسوء من

لمحاكاة لطبيعية للأشياء لني ترمز إليها¹⁰ (الأوبوماتوبيا أو لأصوات المحاكية بطبيعية)

يصدق الأمر نفسه على العلاقة بين المدلول والمدلول عليه. إن تسمية لأشياء، وهي عملية ذهنية محصورة تقوم على تصوّر الأشياء الموحودة في العالم لحارحي. ولا يحصل هذا التّصوّر بالطريقة نفسها عند جميع البشر، وإنما تتغير من ساد إلى آخر إن تعدّد التّصوّر ب راجع إلى خلاف التّصوّرات الثقافية للأشياء الموحودة في العالم لحارحي. نحن لا ندرك أشياء العالم الحارحي إلا من خلال دلّعه التي نتكلم بها. وبعبارة أخرى، ليست لحصائص المدلولية حصائص كلّية مشتركة بين جميع البشر، وإنما هي سمات خاصة تفرد بها كل عشيرة لغوية على حدة. إن التّصوّرات الإدراكية للواقع تمرّ حتماً عبر دلّعة ولها صفات نسبية، لأنها ليست قائمة في المدلولات كمعطى موضوعي عن الأشياء التي نتصوّر.

ومجمل لقول إن الاعتباطية القائمة بين المكونات الثلاثة بعلامة لسانية تجعل تسمية الأشياء نتيجة العرف الاصطلاحي بين المتكلمين باللسان الواحد وليس شيئاً آخر. ومن الواضح أن ما يُسمّى في الدّعة العربية «كرمي»، يمكن أن يسمّى شيئاً آخر في الدّعة العربية، أو في باقي اللّغات، بل يمكن تغيير لأسماء متى توافر الاصطلاح وتحقق العرف.

3 1 ملاحظات حول اعتباطية العلامة

لبن القور باعتباطية علامة اللسانية بقول حديد في تاريخ الفكر اللغويّ عموماً لقد عرف الفكر اليونانيّ على سبيل لتمثيل لا الحصر نقاشاً واسعاً وحدلاً قوياً بين عدد من الفلاسفة حول هذه الإشكالية حيث انقسموا، كما يمكن فهم ذلك من خلال محاوره أفلاطون كراتيلوس Cratyle (بين لطبيعيّ كراتيلوس و الاصطلاحي هيرموغينس)، إلى تيارين بارزين

- تيار يفون بطبيعة لعلاقة بين الكلمات والأشياء، وهو ما يعني أن دلالات الكلمات مستمدة من طبيعة الأشياء ذاتها، أي أن ثمة تطابقاً تاماً بين الشكل والمعنى. وهذا هو مذهب الفيلسوف هيراقليطس Heracleite

- تيار يقول إنَّ العلاقة بين الكلمات والأشياء علاقة اعتباطية، بحيث لا يوجد في طبيعة الأشياء ما يجبر على تسميتها بهذه الأسماء أو تلك، وبالتالي ليس هناك ما يدعو لمقاومة هذا الشكل اللغوي بهذا المعنى أو ذاك إنَّ لعلاقة بين الكلمات والأشياء ليست سوى نتيجة اصطلاح بين الأفراد المستعملين هذه الكلمات داخل العشرة للغة الواحدة ويمثل هذا الاتحاد الفيلسوف ديموقريطس Democrite⁽¹⁾.

وقد اتَّحد أفلاطون من هذه لمسألة موقفاً وسطاً فقد قال في البداية إنَّ الصلة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله كانت في بدء نشأتها واضحة سهلة التفسير، ثم تطورت لألفاظ ولم يعد من اليسير تبيان تلك الصلة أو إعطاء تفسير لها كما اعتر أفلاطون أنَّ الأسماء أدوات يمكن من تقسيم الواقع، وأنَّ استعمال مفردات اللغة ليس استعمالاً اعتباطياً، بل يحصص بقوِّد اللغة لي سكتها إلا أنَّ هذا لا يعني في نظر أفلاطون أنَّ لمفردات للغة هي انعكاس للأشياء، وبالتالي ليس صحيحاً أنَّ معرفه الأسماء يمكن من الوقوف على دلالتها وحصائصها اللغوية، إذ ليس هناك تطابق بين اللغة والواقع إنَّ اللغة عند أفلاطون ليست واقعاً محدداً إنما ليست أكثر من مرآة تعكس الصورة والتمثيلات التي يمتلكها الإنسان عن عالمه الواقعي (فكرة المثل عند أفلاطون)⁽²⁾.

وحصص الرواقيون للبحث اللغوي المنعقد بالعلامة اللسانية وعلاقة لقائمه من مكوناتها حيزاً خاصاً يشبه ما ذهب إليه دو سوسير يقسم الرواقيون الفلسفة إلى ثلاثة أقسام المنطق والأخلاق والسياسة وينقسم المنطق إلى فرعين

(1) لمزيد من تفاصيل نظر بركه بحدود الفلسفة ونظريته اللسانية، في مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 30-31 مركز لإحياء لغوي، بيروت، 1983.

(2) أفلاطون محاوره كراتيستوس، أو فلسفه اللغة، ترجمها وقدم بها بدراسة بحبيبه الدكتور عزمي طه اسيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة، عمان 1995. فلسفه إلى النص العربي يمكن الرجوع إلى

Platon. *Cratyle et autres dialogues* Paris. Editions Garnier Flammarion. 1967

(Trad. et note par E. Chambry), p. 430 et suivantes.

للسلاعة Rhétorique وهي معرفة القول الحدد انطلاقاً من حصبات
صحيحة التأليف والتركيب

الحدد Dialectique هو معرفة القول المضادق دحل لحطبات ويعرف
كذلك بأنه نعم بالصدق أو لكذب وينقسم الحدد بدوره إلى مستويين مسوى
الذل ومستوى المدلول، وينقسم الذل بدوره إلى

• دال صوتي signifiant voca وهو كل صوت صادر عن لإنسان أو
لحيوان وليس له دلالة

• دال منقوط signifiant prononce وهو صوت لإنسان وليس به أية دلالة

• دال منطوق signifiant énoncé وهو دال منقوط له دلالة معينة

كما وضع لرؤاقيوت نظريته متكاملة للعلامة السانية وقسموه إلى ثلاثة
عناصر مرتبطة فيما سها وهي - ما هو مدلول ما هو دال الشيء⁽³⁾

وتجدر الإشارة إلى أن القول باعتباطية العلامة السانية لا يعني مفوضى
والحرية المطلقة في حيدر الألفاظ ونس معنى الاعتباطية بين الدال والمدلول
أيضاً أن المتكلم به الحرية الكمية في اختيار الدلالات التي يريد أن يعطيها بهذه
لعلامة أو تدك إن متكلم في حالة سكونه Erat synchrone معينة للسار لا
يحدد أبدأ دلالة العلامات بني ستعملها، ولا يمكنه أن يعير منها أو يحدد عنها.
إن السار ظاهرة اجتماعية نامتبار، وهذا يعني أن السار علامته ودلالات هذه
علامات يوحد خارج الأفراد ولا يعترف المجتمع للوعي بهذه لمجتمعات
للعونة، لا في حالات خاصة جداً (السلطة، الأدسة التي تمكن بعض الأدباء من
لتأثير في مواقع شعري)

3 2 اعتباطية أم ضرورة

كان لمكره الاعتباطية ردود أفعال كثيرة ومحففة بين الفسوف والفصص، إن
تصور دو سوسير لأعباطية لعلامة كما هو وارد على الألف في المحاضرات منه

1916⁽¹⁴⁾ ليس واضحاً تماماً. وقد نتج عن عموم النص الأصلي ردود فعل مختلفة حول الاعتباطية فهل يتعلق الأمر بعموم في فكر دو سوسير نفسه أم بعموم في صياغة النص الذي قلعه بأشرو المحاضرات وعجزه عن نقل تصور دو سوسير بكل أمانة؟

لقد أشار أكثر من باحث إلى العموم المحيط باعتباطية العلامة اللسانية، لكن أهم نقد للاعتباطية هو الدراسة التي قدمها اللساني الفرنسي إميل بنفيسيت حول طبيعة العلامة اللسانية عند دو سوسير⁽¹⁵⁾ لاحظ بنفيسيت أن فكرة الاعتباطية التي جاء بها دو سوسير حقيقة بديهة، لكنها مع ذلك تبدو عنه غير واضحة الصياغة تماماً ويشير بنفيسيت إلى العموم والنقص اللذين يطعنان برهنة دو سوسير واستدلالة على اعتباطية العلامة ويرى بنفيسيت أن دو سوسير حينما أراد أن يبرهن على أن الرّابط بين الدال والمدلول ربط اعتباطي، أقحم من جديد المدلول عليه وهو الشيء الموجود في العالم الخارجي وجعله طرفاً رئيساً في العلامة اللسانية، بعد أن كان دو سوسير قد أعد هذا المدلول عليه كما نعرف في تحديده للعلامة اللسانية ذاتها، فهي دال ومدلول

إن دو سوسير، بحسب بنفيسيت، حين يقرر بين الكلمة الفرنسية /bof/ ونظيرتها الألمانية oks (ثور)، يقرر أنهما مختلفتان على مستوى الدال، رغم أنهما يحيلان على الشيء نفسه في العالم الخارجي و عثر بنفيسيت أن المقارنة

(14) من المعروف أن محاضرات سوسير نشرت عدّة مرات في شكل نصوص مختلفة نسباً في لشكل والمصموم، نفاً عن كراسات طلبته وقد نشرت للمحاضرات لأول مرة على يد شارل بالي سنة 1916 ثم قام Robert Godei بنشرها مجدداً تحت عنوان *Les sources manuscrites du cours de linguistique générale* سنة 1967 وأعاد بنفيسيت Engier نشر المحاضرات من جديد معتمداً بنصوصاً جديدة تم تكن معروفة، ما بين 1968 و1974 وقد تم مؤخراً العثور على نصوص جديدة كتبها سوسير ضمنها العديد من أفكاره الجديدة حول قصدي اللغة واللسانيات نشرت هذه النصوص الجديدة مع تعديلات في كتاب جديد نظر

F. de Saussure *Ecrits de linguistique générale* Commentaires de Bouquet et R. Engier Paris, Gallimard, 2002

(15) Emile Benveniste: «Nature du signe linguistique» (1939) in *Problèmes de linguistique générale*, 11, Paris, Gallimard, 1965, p. 49-55

من علامتين من لسانين مختلفين ليس لها م يَرَرها، لأن المدلول عليه المسحصر في هذه المقاربة، هو الواقع في العالم الخارجي (الشيء) كحكاية للعلامة اللسانية لا دخل له.

ويتهيئ بتبسيط إلى أن الاعباطي في المسألة، هو أن هذه العلامة ولست الأخرى هي التي تنطق على هذا الشيء من الواقع، وليس على غيره⁽⁶⁾ ومن ثمة، فإن الرابطة بين الصورة السمعية (الدال) والتصور (المدلول) ليس اعتباطية كما يقول بذلك دو سوسير، بل هو رابط ضروري *lien necessaire*⁽⁷⁾ إن التصور «ثور» سيكون في شعوري مطابقاً للمجموعة الصوتية (الدال) ثور ومماثلاً لها بالضرورة.

وبالرغم من صواب ملاحظة بتبسيط فإن ذلك لا ينفي العلاقة لاعتباطية بين الدال والمدلول، لأن ما هو ضروري أو ما أصبح ضرورياً بين مكوني العلامة، من طبعاً في الشيء وليس ضرورياً من تلقاء نفسه شيعة تشبه أو تطابق من أي نوع كان، ولكنه يكون اعتباطية في الدالة، ليصبح ضرورياً نتيجة لغرف والاصطلاح ثانياً وأخيراً.

وفي إطار آخر يرى جورج مونان أن دو سوسير لم يكن واضحاً حول المدلول، فهو أحياناً يكون في نظره مرادفاً للتصور، وهو أحياناً أخرى، يكون مرادفاً للشيء، أي مفهوم الموجود الذي يمكنه أن يكون ماديّاً أو نفسياً أو منطقيّاً⁽⁸⁾.

4. امتداد نظرية العلامة في الدرس اللساني الحديث

انطلاقاً من الدور لهم لدى تلعب العلامة في مطوقها العام (لعونة كات أم غير لعونة) كركن أساسي لا محيد عنه في التواصل الإنساني، سواء بين الإنسان والإنسان داخل المجتمع الواحد، أو بين المجتمعات المختلفة، أو بين الإنسان والطبيعة، أو بين الإنسان والعالم الآخر، فقد عرف دراسة العلامة تطورات ملحوظة أهررت

Idem, p 52

(6)

Idem, p 49

(7)

Mounin *Clefs pour la linguistique*, Paris, Seghers, 1968, p 135

(18)

جملة من التصورات الجديدة التي يتعدت كما قلنا عن لتصورات القديمة المشبعة بالمسعة الأرسطية لعممية إدراك الأشياء من خلال اللغة واحتلت نظرية العلامة النسبية حيزاً كبيراً في اهتمام لدارسين مختلف مشاربهم الفكرة وتحصصاتهم من سانيات، وعدم دلالة، وفلسفة، ومنطق وعلم نفس وليست نظرية العلامة في شقها الاعتباطي عند دو سوسير اكتشافاً جديداً، بقدر ما هي تحول نوعي وبقاء لتصورات والتحليل التي تناسب طبيعة البحث اللساني وتقصي باقي الإشكالات المرتبطة بالعلامة وتصورها في المجالات المعرفة الأخرى

ورغم ما قيل بشأن نظرية العلامة عند دو سوسير، فإن الأحد بمفاهيم الذات والمدلول كوجهين للعلامة النسبية شكك في ذاته وقد واضحاً بين المقارنة النسبية الجديدة والتقاليد اللغوية القديمة لعائمه أساساً على الفلسفة والمنطق وهو ما جعل مفاهيم مثل «الضرورة للسمعة» و«التصور» تفقد وربها الفلسفي الميتافيزيقي⁽¹⁹⁾ الذي تميزت به عبر تاريخها اطويل وهكذا تحولت مفاهيم العلامة والذات والمدلول إلى مفاهيم إخراجية لا تُنسب فيها على الأقل من الناحية النسبية الضرف بذلك يكون دو سوسير، وبعده لتسبون المهتمون بالعلامة عموماً، وبعلم لدلالة حاضه قد وصعوا حداً للتساؤلات والمناقشات الفلسفية التي سادت مرحلة النهضة لأوروبية وم بعدد بين النمطس les modistes و لاسموييس les nominalistes حول ما يد كان لمعنى هو افكره أو شيئ آخر غيرها

وللوقوف على طسعه هذا التحول النوعي، نشير إلى أن الدراسة اللغوية عموماً والدراسات الدلالية خصوصاً، كانت قل نظرية العلامة عند دو سوسير، تحدد جوهر علامة في لتسق لتسبي الذي توجد فيه وتؤدي فيه وطيفة سمح مستعملها الترابط سها وبين لعالم اإخراجي. وفي هذا لتياق ندرج كما أشرب إلى ذلك مجمل المفاهيم الفلسفية المستعملة بالتعيس denotation عند حور سيوارت مل (1806-1873) والماصدق Extention عند المنطقة الوصفيين أمثال كراب (1891-1970) أو Bedeutung عند الفيسوف لمظفي ولريصني فريجه (1848-1925) أو مفهوم المحتوى كشيء عند لفيلسوف هوسر

(19) A. Rey *Les theories du signe et du sens*, t 2, Paris, Klincksieck, 1973, p. 53

(1859-1938)، وهي كلها مفاهيم موعلة في التحريد لمطفي أو الأنطولوجي (الوجودي) تم إبعاده بكيفية صارمة من قل للتبيين والتسمائير مقدس الاحتياط بنظرية دو سوسير حول العلامة⁽²⁰⁾.

5. معنى المعنى

حول كثر من الدرس في اللسانيات والتسمائيات اقتراح جملة من التصورات الموضحة في مجملها لنظرية العلامة عند دو سوسير، أو الهادفة إلى برانه لعموم المحيط بها قصد التأسيس لنظرية عممة (واضحة ومستقلة عن تفكير فلسفي) حول المعنى ومن أشهر التصورات التي قُمت في هذا الإطار لتقسم الثلاثي الذي وضعه أوعدن وريتشاردز Ogden and Richards اللذان درسا قصص الدلالة الدعوية من وجهة نظر سدوكية في كتابهما الشهير معنى المعنى The semantic of semantics 1923 وهو العمل الذي يعدّ تحوّلًا هامًا في التعامل مع قضايا الدلالة الدعوية في نظر لمهنيين بالعلامة والدلالة لأنهم سارا في حظ لا يتطابق تمامًا مع الحظ لفلسفي السابق وإن لم يفصلا عنه كاملاً⁽²¹⁾.

يقترح أوعدن وريتشاردز مصطلح الرمزية Symbolsme (لا علاقه بها بالرمزية في محار الأدب) للدلالة على المحال لعام الذي «يدرس دور الذي نلعه اللغة والرموز بمختلف أنواعها في حياة الإنسان وخاصة تأثيرها على الفكر»⁽²²⁾ إن الرمزية بحث في الطرق أو الأساليب التي تنوّر في الرموز (لكلمات، لعلامات الدعوية) بمساعدتها على تصوّر الأشياء في العالم الخارجي، أو عافيا عن القيام بذلك. إن الرموز نقل الأفكار ونوذجها وتنظيمها وتسمح بسماعها وبوصف لما نوجه هذه الرموز، وما تنظمه من أشياء حولها، وما نسجه ونفقه من أحداث، يسعى بنا أن يميّز في كلّ عمدة كلام من شئش أساسيين: تصوّر (أو الفكر) والأشياء

Idem, p 11.

(20)

(21) أحمد محار عمر، علم الدلالة، ص25، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1988

(22) عميد لقصّ لبي ترجمه راي Rey في المصدر السابق، ص12، وقد تصوّر وليلاً

في تقديم وجهة نظر أوعدن

إنّ لفكر، أو الإحالة كما يقال عادة، هو، لموجه أو المنظّم أو المسموع أو لمقول. إلا أنّه، وكما نقول عادة، بأنّ البستانيّ يقطع عشب الحديقة، سما بحر يعرف أنّ لآلة هي التي يقوم فعلاً بذلك، يقول كذلك، إنّ الرّموز تسخر الوقائع وتنقلها، رغم أنّا نعرف أنّ العلاقة بين الرّموز ولفكر علاقة مباشرة إنّ الكلمات لا تعي شيئاً في ذاتها، رغم الاعتقاد لسائد بعكس ذلك إنّ الكلمات لا تمثل شيئاً م له معنى Meaning، لا عديم يستعمل كأدوات مأسسة إلى كل من يتصوّر الأشياء

وتتطلّب كلّ عمليّة رمزيّة ثلاثة عوامل أساسية

- الرّمز The symbol وهو في مجال اللّغة الكلمة المطبوعة أو المكتوبة ولمكوّنة من تتابع معيّن من الأصوات

- لفكرة (أو التّصوّر) Thought وهو المحتوى لعقليّ الذي يحصر في ذهن المنكلم لحظة تلقّيه الرّمز وقد تكون لفكرة حدثاً واقعياً أو تصوّريّاً أو حاشة نفسية نحيلية أو فكرة مرتبطة بمعنّد ثقافي أو اجتماعي محدّد

لمدلول عليه أو لمرجع Referent وهو الشيء الموجود فعليّاً في العالم الخارجيّ

وهي كلّ عمليّة كلام تقوم بين الرّمز أو الكلمات (الدّل عند دو سوسير) ولفكر (التّصوّر أو عمليّة الإحالة) (لمدلول عند دو سوسير) والمدلول عليه (الشيء الموجود في العالم الخارجيّ) حملة من لعلائق وتتوصّل مختلف حوارات علاقة تصوّر الأشياء بواسطة الكلمات، يقدم أوعدي ورنشادر لرسم الذي اشتهر بالمثلث لدلاليّ Triangle semantique موضحين به مختلف العلاقات القائمة بين العناصر الفاعلة في عمليّة المعنى



فبين المفكر و لزمرة علاقة سببية. فعندما نكلم، فإن الرمز الذي ملحا إليه يكون حثيثاً مساً في ما يقوم به من فعل لإحالة على الأشياء الذي يقوم به، سيما تشكر لعوامل لاجتماعية والنفسية لحرء الآخر من هذا الفعل. إن الرموز هي المعنى الأساس التي يقوم من أحدها بفعل لإحالة ولتأثير المشود بكلماتنا (رموز) في لآخرين وتكوين مواقفنا الشخصية وعندما يبقى (سمع) ما يقال، فإن الكلمات (الرموز) تدفعنا إلى أن نقوم في لوقت نفسه بفعل الإحالة، وأن نبقى موقفاً ما

وتكون لعلاقة بين المفكر (التصور) والمطلول عليه (وهو لمرجع) إما علاقة مباشرة، أو غير مباشرة فهي مباشرة، عندما يعلق الأمر مثلاً، برؤية مستوى من (على الورق أو غيره)، وغير مباشرة، عندما تتصور أو تحيل مثلاً، على سبب، حيث تكون هناك سلسلة طويلة من المقدمات الذاتية التي توجد بين فعل الإحالة ولمرجع (الكلمة المؤرخ لتصر المعاصر شهد عيان لمرجع/ سبب)

وسن بين الرمز والمطلول عليه (المرجع) سوى علاقة غير مباشرة، تكمن في أن فرداً ما يستعمل لرمز لتمثيل «مرجع ما»، بمعنى أن الرمز ولمرجع ليسا مرتبطين مباشرة، وإنما بطريقة غير مباشرة مرورة بالمكون لآخر للمثلث الذي هو المفكر إن العلاقة بين الكلمات والأشياء ليست علاقة مباشرة، وإنما هي علاقة امر صية كما يشير إلى ذلك في الرسم اسباق الحظ المنقطع في قاعدة المثلث ترهد بين الرمز والمطلول عليه

ودراسة أوعده وريتشارد تدرج ضمن التجدد المفكري من نظريتين بورتين هي إدراك لمعى

Theorie conceptuelle نظرية تصوورية

Theorie de reference نظرية الإشارية

نصوم النظرية التصورية على ربط المعنى بالأفكار لموجودة في عقول المكلمين والسمعين نصرف لنظر عن طبيعة هذه الأفكار من حيث شأنها ومكوناتها ونعود هذه النظرية في جذورها الأولى إلى رأي أرسطو الفائز بمطابقة معنى للمفكر أو للمعقل. وقد عمل الفيلسوفان الإنكليزيان دايميد هيوم

(1711 1776) وجون بوك (1632 1704) على دعم هذا الموقف من خلال فلسفتهم التحريسية. بينما مفهوم النظرية الإشارية على ربط للمعنى بالموحودات لحداريته ربطاً مباشراً، وهو موقف كثير من الاسموتيين (انظر ما قلناه عن نظرية العلامة عند الاسموتيين) في القرون الوسطى. فلكن أعطي تعريفاً دقيقاً للمعنى أحتاج إلى معرفة موضوعية لعالم المتكلم⁽²³⁾

بالنسبة إلى صاحبي كتاب معنى للمعنى يجب أن تسير دراسة للمعنى في اتجاهين متكاملين وإن كان مختلفين من حيث الأصوات والأهداف فهتم بجانبين جانب لعلاقة بين الكلمات والأفكار (لموقف التصوري)

وجانب يتناول العلاقة بين الأفكار والأشياء؛ أي الربط بين الكلمات والأشياء التي ترمز إليها الكلمات بواسطة الأفكار (الموقف لإشاري) وللإشارة؛ فإن الدراسات النسبية في مجال دراسة المعنى اللغوي تتسنى الموقف لتصوري معدة سلك لإشكالات فلسفية التي تثيرها إشكالية الإحالة

6. العلامة والمعنى

انطلاقاً من راء دو سوسير السابقة حول لعلامة النسبية ومصور أوعند ورسبردر يصوع أولمان Stephan Ullman (1914 1976) نظرية لعلامة كما يلي



وللعلاقة بين هذه لأطراف الثلاثة ليست متساوية. فبين الكلمة (الاسم) والمعنى رابط مباشر فالمعنى (نلاحظ هنا أن المعنى عند أولمان يحل محل

(23) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مرجع سابق، ص 54 58

لإحاطة في مثلث أو عدد وریشارد) يتعلّق بالشيء، نلاحظ مرة أخرى، أنّ أولمان استدلّ مصطلح «مدلول» عنيه *referent* بمصطلح آخر هو الشيء *la chose* أي أنّه يعكسه على مستوى الذّكرة، بيد أنّه لا يوجد أيّ رابط مباشر بين الاسم والشيء إنّ الاسم لا يوحى بالمدلول، وإنما بالفكرة حول الشيء، وبالتالي يكون للمعنى وسيطاً بين عالم الكلمات وعالم الأشياء إنّ الرّمز يقوم مقام الشيء، بينما تكون الفكرة إشارة إليه إنّ الاسم يوحى بالمعنى ويعكس صحيح بالنسبة إلى أولمان وعلى عرار موقف دو سوسير، يجب تعداد الشيء المادّي فعليّ، لأنّ الارتباط بين الواقع أو الشيء وصورته المعكسة في أذهاننا، إنما هي مشكلة تحضّر علم النفس، سما ينبغي أن يكتفي اللسانيّ بما يهمه من هذه العلاقة أيّ علاقة لقائمة بين الرّمز والفكرة أو ما يربط بين الرّمز والفكرة

هذه النظرة لمكونات العلاقة لزمريّة في تعريف اللّغويّ بصرف، جعلت أولمان يقترح مصطلحات دعوية نوعيّة تكون أقرب إلى الإدراك العاديّ وتحقيق هذه المعايير فترح «أنّ يستعمل مصطلحين بالذات من حملة المصطلحات المعبّدة التي يمكن أن تتدوّر في هذا المقام وتدبّر هذه المصطلحات، هما اللفظ بدلاً من الرّمز، ومدلول بدلاً من «فكرة» أو «رابط ذهنيّ» وسوف نعرّف اللفظ حينئذٍ بأنّه الصيغة الحارّجة للكلمة وأمّ المدلول، فهو لفكرة التي يستند عليها اللفظ»⁽²⁴⁾ ويطلق أولمان على علاقة الإحاء المبادلة *Relation d'évocation* *reciproque* بين اللفظ والمدلول مصطلح المعنى *sens*، وهي العلاقة التي شكّل في نظره الحدث الأساس وموضوع علم الدلالة⁽²⁵⁾

ومكّنت كلّ هذه لتوصيحات وعبرها من حل حملة من الإشكالات ونصبها التي عاقت في القديم تطوّر الدرس للدلاليّ وأبنته حكراً على لفلاسة ولمناطقة ثم علماء النفس فيما بعد ومعاد هذه التوصيحات أنّ معنى سن هو بفكر (عند لفلاسة وعلماء النفس) بما يحمله هذا اللفظ من شحنات معرفيّة

(24) أولمان دور الكلمة في اللغة، ترجمه وتعليق كمال محمد بشر، مكنته نشر،

بهران، 1962

(25) S. Ullman *Precis de sémantique française* Editions Francke Berne, 1975, 1^{ère} édition 1962, p. 21-23

معتقد، بل المعنى الذي يهتم البحث النفسي، كما ورد في كلام أوسمان يمثل في العلاقة بين النقط والإدراك أي المدلول وهكذا أصبح يفرق بين المدلول في لغة معينة كالعربية أو الفرنسية والفكرة المعترّة عنه الموجودة في استقلال عن هذه اللغة أو تلك فيسم يربط المدلول نسبة لغوية محددة باعتباره جملة من الخصائص المدلولية أو ما أصبح يُعتر عنه في الدلالة، السيوية بعد عريمان وبوتيه بالسمات Semes، تكون الأفكار مستقلة عن المعطيات، لغوية المتعلقة بهذا اللسان أو ذلك، لكنها لا تتحدد إلا في إطار علاقات لغوية داخلية خاصّة بكل لسان على حدة، بينما يكون النظام المفهومي أو التصوري قابلاً لأن يتحقق ليس بشكل عام ومطلق بالنسبة إلى كلّ الألسن الطبيعية، وإنما بحسب الأنماط، لغوية والعلاقة الخاصة بكل لسان

الفصل الحادي عشر

المفاهيم الأساسية في التحليل اللساني البنيوي

١. البنيوية في إطارها المعرفي العام

يأخذ المنهج اللساني السيوي حيزاً واسعاً من اهتمام الدارسين في اللسانيات وعلوم الإنسانية على السواء، ومرد ذلك، إلى أن هذا المنهج المستمد أصلاً من مفاهيم لنظرية والإحرائية التي اقترحتها اللسانيات العامة في بداية القرن العشرين، لاسيما الأفكار الواردة عند دو سوسير ومن جاء بعده، قد ساهم بشكل كبير في تطوير العلوم الإنسانية بصفة عامة

ولم تعد للمهجية السيوية تقتصر على المجال اللساني وحده، بل تُشير structurer كل شيء، بدءاً من أن يستعمل هذا التعبير تُشير المجتمع وللأشعور والثقافة ولأدب وللمكر والتسما والمسرح والمطبخ واللباس ولإعلانات الإشهارية وكل مرافق الحياة لاجتماعية والسبسية والمكرنة ولاقتصادنة يظهر ذلك في أعمال ليفي ستروس (Claude Levi-Strauss 1908) (وجاك لكان Jacques Lacan 1901-1981) ورومان ياكسون Roman Jakobson (1896-1982) ورولان بارت Roland Barthes (1915-1980) وكريستان ميتز Christian Metz (1931-1993) وإدغار موران Edgar Morin 1921 ولويس ألتوسير Louis Althusser (1918-1990) وميشال فوكو Michel Foucault (1926-1984) وغيرهم

ونظراً إلى الإشعاع غير المحدود للمهجية السيوية، من الخطأ الاعتقاد

وجود تيار سيوي منجاس أو مذهب فكري موحد، بل العكس هو الصحيح، إذ نلاحظ تعدداً في الرؤى، وتعدداً في الأدوات، وتعدداً في المفاهيم والمصطلحات، وتعدداً في التطبيق والتحليل، وتعدداً في مواقف النتائج

لأسباب السابقة، يصعب دعاء تحديد الخصائص العامة للمهجة السيوية ولو اقتصر الأمر على مجال معرفي واحد كاللسانيات أو النقد الأدبي أو الفكر وليس هناك منهجية سيوية واحدة، وكسر، هناك سيويون لكل منهم شخصيته وأصاته الخاصة⁽¹⁾

يرى عالم النفس جان ساغنه أنه على الرغم من الاختلاف الذي يطمع المذهب السيوي، من حيث تعدد أشكائه وتوجهاته، يمكن الاعتراف بوجود نوع من المثبات المشترك Idea, commun الذي بحث فيه وعنه كل السيويين⁽²⁾ ويطرأ إلى استحالته الوقوف على مجمل الاختلافات الفردية أو الجماعية التي تميز سائر السيويين في أوروبا وأميركا، لا يسعد إلا أن يبحث في تقواسم المشتركة التي تصم هذا لحشد الهائل من رجالات الفكر والمعرفة في القرن العشرين

والحقيقة أنه لا يمكن فهم التطورات والتحويلات النظرية والمهجية التي حصلت في مجال اللسانيات عموماً وظهور ما سُمي باللسانيات، سيوية بصفة خاصة، من دون الرجوع إلى الإطار المعرفي الذي يعد من الناحية التاريخية، عملاً أساسياً في ظهور المهجة، لسانية لحديثة في صورتها لسيوية أولاً، ثم في نظورها ثانياً

لقد راكمت الثقافة العربية الحديثة خلال القرن التاسع عشر جملة من المكتسبات العلمية والمهجية التي فادت إلى اشتق مباح جديدة صاحب ظهور ما يعرف بالعلوم الإنسانية التي تُعد في الواقع آخر ميسكرات لفكر العربي الحديث وقد شكّل الفكر الوضعي الأرضية الفلسفية التي قامت عليها المباح العلمية الحديثة، سواء في مجال العلوم الصّرف أو في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية لاحقاً

(1) J P Cornille *La linguistique structurale* Paris, Larousse, 1977 p. 2

(2) جان بياجيه السيوية، مرجع سابق، ص 5

كان هدف لعلم في القرن التاسع عشر تجميع الحقائق وإعدادة تنظيمها، ثم بناءها بشكل موضوعي؛ إما مادياً أو تصوّرياً، وهو ما جعل الاعتماد على المعطيات و لواقع المادّية المدموسة أمراً جوهرياً في المقاربات المحتملة التي تمّ التحوّل إليها في العلوم ومع تقدم العلم والمعرفة، أصبح من حديد أنّ لظواهر المدروسة في كلّ لمجالات معرفية ليست بهذه السهولة التي كان يُنظر إليها، سواء أتعلق الأمر بالظواهر النكوبية أو بالظواهر الإنسانية والاحتماعية (بنة ثقافة مجتمع نفس) وعرفت العديد من العلوم الضرف حملة من التحولات لتتحوّل إلى فادب إلى ما يشبه الثورات في تصوّر الفصا وبصوّر لحدول، فجادت المسجرات العلمية الكسرى في محال لسولوجيا، وكابت التعديلات المنطقية ولرّياصه الجدرية في إصار ما عُرف بأزمة الأسس في الرّياصيات، وأحيرُ حصلت لثورة المعرفة الكسرى في العلوم الفيريدية، مع ظهور النظرية أسسها لأشتاين (1879 1955)، وهذه الأمثلة أبرر المعلم وليس كلّها وهي ليست بةاية البحث والاستكشاف لعلمي وكان لهذه التصوّرات بجدسه نتائج بجاية على المعرفة الإنسانية، إذ مكّنت من تفسير حديد بل كثير من لظواهر لكوبية ولشربة التي كانت تعتبر قل الآن عدمه، أو مستعصية على الإدراك

وبالمثل، عرفت العلوم الإنسانية ولاحتماعية ظهور تصوّرات ومقاربات حديدة ليشوك الشري وللسبح الاحتماعي، لاسّما مع ظهور لجشطت Gestalt (نظرية الشكل) والنظرية السلوكية Béhavionsme المناثرة بالعلوم الفيريدية مع بافلوف (1849 1936) كما أحدث لتحليل النفسي الذي وضع أسسه فرويد (1856 1939) ثورة حقيقة في فهم الطبيعة النفسية الواعية واللاواعية لمكان الشري

هذه التحولات العلمة وغيرها دفعت المفكرين ولعلماء إلى إعدادة النظر في مقومات «العلم» وأسسها لمهجية وبم بعد لهدف من العلم جمع لمعطيات ونصيفها، مثلاً كان الأمر في المنهج لتحريتي، وبما أسعي إلى محاورة تفسير الظواهر والتنبؤ بها من خلال اسبحث الشموبي عن بخصائص الثابتة وعبر بمحاولة إلى أساس المكر العلمي الحديث بعلوم على عتار لعالم ببه منظمة ومنظمة، وليس جمده من الظواهر المتعرف والمعرولة تسير بمقوّة وصدفة

وشكلت علاقة المعطيات بالمصباح في العلوم الإنسانية بداية معطف جديد حاولت من خلاله العلوم الإنسانية والاحتداعة البحث عن درجة قصوى من الموضوعية، محاولة بذلك الاقتراب ما أمكن من العلوم الصرفة صطفاً ودقة.

2. تحولات الدرس اللغوي

في هذا الإطار العام، يمكن أن ندرك التحولات التي صاحبها الدرس اللغوي منذ القرن الثامن عشر، سواء في اقتراح مفارمه جديدة للغة، أو في نظرتها إلى الوقائع اللغوية وفي أفكار وتصورات دو سوسير الواردة في محاضراته ما يبين بروز مثل هذه الأفكار الجديدة في فهم حقيقة اللغة الإنسانية وطبيعتها وكمية التعمد معها ولم يكن دو سوسير سوى تطوير نوعي لأفكار فرانسوا دي شلايشر فيما يتعلق باستقلالية اللسانيات وعلميتها من حيث تحديد لموضوع والمصباح والعناية من الدراسة

فمع اللسانيات التي دشها دو سوسير، أصبح ينظر إلى اللغة على أنها «موضوع» معرفة مستقلة قابلة للدراسة المنظمة، باعتبارها جملة من الأحداث والوقائع المعقدة على عكس ما سدو عليه في واقعها المادي الملموس وأصبح هدف التحليل الوقوف على العلاقات والوظائف التي تجمع بين الوحدات المكونة للغة في مختلف المستويات، بعيداً عن لعوامل الخارجية، أنما كانت طبيعتها، وليس بحسب الطبيعة المادية أو الخصائص التاريخية الفردية ولتمييزه بالصدفة، كما تُقر بذلك للسانيات المقارنة والتاريخية في تعاملها مع لوقائع اللغوية، باعتبارها وقائع معزولة ومنفصلة بعضها عن بعض، سواء في واقعها الحالي أو في سيرورتها التاريخية

وساهم الفكر العلمي الجديد، الذي أشربا سائفاً إلى بعض سماته لجسدية، في بلوره أسس منهجية جديدة فادت إلى مطلقات فكرية لم تكن مألوفة، من قبل، نذكر منها ما يلي

وضع تصورات جديدة للتنظيم المنهجي للمعرفة وللظواهر المدروسة

- تفسير الوقائع المدروسة بطريقة معايرة وعلى نحو حديد (مراجعة المقارنة التحريية بأسسها المعروفة)

تداخل الاختصاصات لإيجار مهام معرفية واسعة النطاق

نقل الإحراوات المنهجية من فروع علمية دقيقة إلى مجال العلوم الإنسانية⁽³⁾

ومن نتائج هذا التفكير الجديد في مجال اللسانيات الحديثة، اتساع المعطيات للقوة المعتمدة على عكس ما كان معمولاً به في المفاريس المقارنة والتاريخية اللتين حصرتا اهتماماتهما القوية في اللغات لهندو أوروبية، أو لغات ذات الحضارات الكسرى، لاسيما ما كان منها أوروبياً وهكذا فتحت لمعطيات الجديدة لمشاركته ذات أمام تخصصات وفروع لسانته حديده ليس لها مجال لحوصل فيها

وفي حصص هذه المنعيرات التي صاحبت تطور المعرفة العلمية، أصبح المنهج دور دافع الأهمية في كل نشاط فكري يروم الموضوعية و العلمية فالمنهج يسمح بوصف دقيق لمظاهر المسحوت فيها وهو أيضاً يمكن من المقارنة بين الظواهر قصد معالجة أشمل وأعمق وأخيراً يُعدّ المنهج وسيلة فعالة نحو صوغ القوانين والقواعد العامة، سواء انطلاقاً من لملاحظات أو من الافتراضات العامة

في سياق الاهتمام المتزايد بالمنهج ودورها في المعرفة العلمية، شكّبت المنهجية لسيولة المستمدة من اللسانيات محاولة حادة لجعل الإنسان محل دراسة علمية موضوعية ودقيقة على عكس ما هو معمول به في العلوم لأخرى ويُعدّ دور سوسير في مجال اللسانيات وليفي ستروس في مجال الأنثروبولوجيا نموذجين مميزين ورائدين في حقل العلوم الإنسانية

وكان للسانيات الحديثة الشاة دور في إثاق المنهج السوي، وفي تحقيق الفكرة الشوعية التي حصنت في منهج العلوم الإنسانية والاجتماعية بكمية غير مسبوقة وهكذا كان سوسير أولاً ولمن جاء بعده، لاسيما بروتسكوي وياكسون دور بارز في الدفع بعلمه البحث لسانتي نحو آفاق جديدة، كما كان سمي ستروس بدور نفسه في استثمار المنهجية لسيولة المستمدة من

(3) مينك إيمش اتجاهات البحث للساني، مرجع سبق، ص 03.

النسب، كما شهد على ذلك أعماله لعبد، «متعلقة بدراسة علاقه العرانة
واندم والأسطورة في المجتمعات ابدائية

واكتست للمهجية السيوية فيمتها لمعرفة انطلاقاً من دوعها اواصح
وموقعها التي إراء دراسته فصاا الإنسان بكل أبعاده اللعوية و لتسية والاجتماعية
والثقافية، حيث تم التأكد على دور العلوم الصرف، وأهمية المصح في لمبحث
الإنسانية والاجتماعية. وترفض المهجية السيوية، بقول بضرورة وجود نموذج
معرفي وعلمي خاص بالإنسان، كما كان يروح لذلك في بعض الاتجاهات
الاجتماعية في مرحله ما قبل السيوية، من خلال القول بخصوصية الإنسان
وقصديه المعقدة. إن هذا الموقف معرفي والمهجتي هو الذي جعل البعض يقول
بأن «السيوية في أساسها نظرية في العلم (إسييمولوجيا) تؤكد على أهمية النموذج
في كل معرفة علمية، وتحلل لعلاقات الداخلية والنسب الناصر قيمة كبرى في
اكتساب أي علم»⁽⁴⁾

نقد ظهرت السيوية في الثقافة الفرنسية المعاصرة أول ما ظهرت في مجال
اللسانيات (من خلال أطروحات مدرسة ترع، ابتداء من سنة 1926)، لنستقل بعد
ذلك إلى مجالات معرفية أخرى تجاوزت حدود فرنسا لاستمت بعد السجس
لتاريخي المعروف بين فيلسوف لوجودية جان بول سارتر (1905-1980) ورائد
السوية الاثروبونوجي ليبي سروس

والعلاقة بين السيوية والفلسفة تنجني أساساً في وجود نظرة فلسفة حفية
وراء المفردة السوية نعلق الأمر بتصوّر مانويل كاط (1724-1804) لنسب
اشامل الحفّي اللازمسي الذي ترجع إليه كل المظاهر الحارحة للأشياء
والكيونات، بل حتى التصوّرات الفكرية والمظاهر لمرية يمكن ردها إلى سق
مثالي ومتعال Transcendental، ويتميز هذا النسب بكونه قنلياً *a priori* تتوفر فيه
أسس قانية ذات طبيعه مثالية قانلة لأن نلمح فيها جمع الأنظمة والنظواهر، مهما
تعددت وتنوعت في الواقع المادي الفعلي

(4) مؤدركري، الحدود الفلسفية للسائية، حوبت كنه لاداب، جمعه الكويت 1980، ص 9

وبالدرجة والكيفية نفسها الذين تؤكدهما الفلسفة الكانطية فيما يخص أهمية العلاقات لذاتية هي كل مقارنة موضوعية، تؤكد السيوية ضروره سر أعمار لنظام الذائحي لطواهر المدروسة وليس على صورتها لتحريرته الحسية و لمبركة

كما يلاحظ في إطار التصور لسيوي، وجود ميل نحو رفض السرعة لتحرية في التعامل مع تطواهر المدروسة من خلال تأكيد السيوة على ضرورة تفسير مواقع العودة إلى المادى العقلية لعامة فهي تحليله للمحتتمات استتية، لاحظ بيبي ستروس أن ما يجمع بين الثقافات لس ما هو ملاحظ على أرض الواقع كما تقول بذلك دراسات التحريية، وإنما يسعى أن تشكل هذا البحث على مستوى الساء العقلي الحي نظراً إلى وجود طسعه ذهنية ثابته للذهن الشري لا تتأثر بأفرد وجماعات محددة إن ثمة نوعاً من الآليات الثابتة (لمسطق الذائحي الضمني) التي تشتغل بها العقل الشري أبداً وجد^(٩).

ومعلوم أن لمدرسة التحريية لها تصور مخالف للتصور السيوي فيما يتعلق بمفهوم العلاقة بين الأشياء ولأطراف المكونة للعلاقة وحدات ذرية قائمة بذاتها - بحسب التحريية - وهي لي تعطي للعلاقة قيمتها، ويستحيل تصور لعلاقة دور عناصر التي يتوافر كل منها على استقلاليتها، وله دوره الخاص، ويمكن تصوّره استقلال عن العلاقة التي يشرح فيها أم السيوة، فترى أن العلاقة هي الأساس، وهي التي تعطي لمعاصر قيمتها ودورها في كل عمله م مهم عند سيويين ليس فقط الكل، كما تقول بذلك (الجشطلت)، بل البحث في العلاقات القائمة بين الكل

وبعداً إلى الصورة التي ارتبطت بالسيوية دعساره اتجاهها دائماً على نقد لممارسات القديمة في تعاملها مع مختلف لطواهر، يستها ببحيه إلى ضرورة التمسر بين هذه الوجهة النقدية والوجهة المسهحة التي تدفع عنها السيوة، مما ترفضه سيوية في لرياصيات أو الفيرياء أو علم النفس أو علم الاجتماع، لس هو م ترفضه في نسبات أو في التقد لأدي وما تدافع عنه السيوية وسائر

السيويين أساساً يعدّ بمثابة نموذج مشترك عن طريق البسة القائمة بذاتها في غياب الاستعانة بأي عنصر خارجي عنها⁽⁶⁾.

3. صعوبة الموضوع

في ضوء التقديم السابق للإطار المعرفي الذي ظهرت فيه السيوية، وعلاقتها بمجموعه من التيارات الفكرية الأخرى خصوصاً الفلسفية منها، وما يطرحه تاريخ السيوية من تساؤلات وإشكالات وقضايا فكرية تتجاوز أحياناً مجال المعرفة اللسانية الحاضرة، يطرح الحديث عن المصهجية السيوية في اللسانيات جملة من الصعوبات التي تتنازل كلّمًا حاولنا تقديم فكره موجزة عن الموضوع السيوي

من أين بدأ الحديث عن المصهج اللساني السيوي؟

هل نتحدث عن نشأة اللسانيات مع دو سوسير أم عن الآثار التي خلفها دو سوسير؟

هل نكتفي بتقديم المصهجية المتشعبة في اللسانيات ليكون حديثاً حديثاً ملائماً لحقيقة لمصهج السيوي؟

ما العلاقة بين المصهجية السيوية واللسانيات؟

هل نتحدث عن الأسس اللسانية للسيوية أم عن الأسس الفكرية والفلسفية للسيوية؟

إن طرح الأسئلة على النحو السابق يوحي بأنّ اللسانيات والسيوية شيء واحد، أو بآنا أمام سيوية واحدة بعد أسرها من قبل إلى أنه لا توجد سيوية واحدة، وإنما هناك سيويات تختلف وتتعدد بعدد رجال الفكر السيوي أنفسهم

إنّ مجال السيوية رحب يتعدى نطاق الأربعة العظام بحسب تعبير أورياس وهم لاكان وأنتوسير وهوكو وليبي ستروس⁽⁷⁾ وبالفعل، إنّ أمام سيويات رجال

(6) J. Piaget. *Le structuralisme*, Paris, PUF 1968

(7) جان ماري أورياس، السيوية، ترجمه ميخائيل محو، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1972، ص 10

أمثال بيير ماسري وجاك دولور (1925-1995) ورولان بارت وعريماس (1917-1992) وكلود بريمون (1929) وتودوروف (1919-) وجيرر جيت (1930) وول ريكور Paul Ricoeur (1913-2005) واللائحة طويلة ومن الأفضل في مثل هذه الحالات أن نتحدث عن «سيوتيين» أكثر مما يسعي الحديث عن السيوتية كمذهب أو مذهب منجاس علماً بأن العديد ممن ذكرناهم يرفضون هذه لتسمية أو على الأقل يصيغهم داخل حدة السيوتية والسيوتيين ومن الممكن أن تربط السيوتية التي نودّ لحديث عنها باسم صاحبها، كأد نقول مثلاً «نيوتية دو سوسير، نيوتية ماكسور، نيوتية ليبي ستروس، نيوتية هينغسليف، نيوتية فوكو» ويقاس على ذلك باقي الأسماء التي نشطت في إطار المذهب السيوتي والتي بصيق حصرها

والسيوتية كما يقول رولان بارت «ليست مدرسة ولا حتى حركة (على الأقل حتى الآن)، لأن معظم المؤلفين الذين يرتبطون عادة بهذه الكلمة لا يشعرون أنهم مرتبطون فيما بينهم بربطة التعاليم أو المعرفة، إنه مجرد معجم»⁽⁸⁾. إنها نشاط إنساني قبل أي شيء آخر، يتعدّى محال التحليل الذهني ويتجاوزه. إن الإنسان السيوتي هو الإنسان الذي لا يحكم عليه ولا نعرفه بأفكاره، وإنما بطريقة تصوره وإدراكه للأشياء؛ أي الظرفية التي يتمثل بها الأشياء والوقائع كشيء»⁽⁹⁾

غير أنه لا يسعي أن يفهم من هذا الكلام استحالة الوقوف على مبادئ مشتركة بين السيوتيين على اختلاف مشاربهم من جهة واللسانيين منهم تعددت مذاهبهم، من جهة ثانية. إن ما ذكرناه من صعوبات في موضوع الحديث عن السيوتية، يعني أن أي حديث عن السيوتية يجب أن يحدد الإطار المعرفي والمنهجي لهذه السيوتية أو تلك نظراً إلى تعدد المشارب الفكرية واختلاف المصادر الفلسفية والفكرية غير أن هذا التعدد المعرفي والفكري يمكن إرجاعه إلى سبب فكري واحد هي إطار رؤية منهجية موحدة الأسس، تنظر إلى الكون والأشياء والإنسان وفق منظور محدد.

في ضوء هذه الملاحظات الأولية، يمكن القول بأن ما يسمى أسس

(8) Roland Barthes. «L'activité structurale», in *Les nouvelles lettres*, 1963

(9) Ibid.

التحليل في اللسانيات (البيوتية)، وهي الأسس التي انتقلت بشكل من لأشكال إلى باقي مجالات العلوم الإنسانية التي حدثت حدود اللسانيات في الأحد بالمسح البيوتي، يمكن ردها إجمالاً إلى مفاهيم أولية تنمزع منها مفاهيم أخرى وهذه المفاهيم الأسس هي

السبة

العلاقات

«تتميز بين «الأنبي والدباكروني»

4. بين البنياني والبنيوي

فل الحديث عن مفهوم «السبة» يعني التّشبيه إلى التّمييز الذي تقيمه اللغة لفرسيّة¹⁰ بين الكلمتين Structure وStructural وهو ما يقترح مقابله في اللغة العربية بالبياني والبيوتي. يقارن عن علاقة ما بأنها «سبائية»، عندما تعبر في دورها التّعيني ضمن تنظيم مُعطى، ويقال عنها في العلاقة نفسها «بيوتية» حين نعتبرها، من حيث تقبلها للتّحقيق في عدة نظمات بيوتيّ يحيل على لسبة بوصفها «نحواً» وبيانيّ يحيل على السبة بوصفها واقعاً مُحَقَّقاً⁽¹¹⁾ وبعبارة أوضح، السبائيّ structure كل شكل له تنظيم وتركيب محدد، يمكن إدراكه حسيّاً مباشرة في الواقع لحارحيّ، مثل لحقائق الاجتماعية واقتصاديّة ولعمرانيّة شكل السابات، وهندسة شوارع المدن ودور السكن إلخ

أما لسويّ structural فوصف به كل شكل أو تنظيم Organisation يقوم على أساس لتألف أي الترتيب والتّسيق بين عناصر لمكوّنة له، يسج بالضرورة دلالة معيّنة، مثلما هو الشأن في اللّغات الإنسانية وباقي لأنظمة التّسمية الأخرى المستعمدة في المجتمع مثل قانون لّسير والمورس morse والنّاس ولعدادات، وغيرها من مظاهر الحياة الاجتماعية والمكرية

في قانون لّسير داخل المدار الحصريّ، يلاحظ مثلاً، أنّ الصّوت الأحمر به

(10) جان ماري أورياس البيوتية، مرجع سبق، ص 16

(11) لمرجع لسين

دلالة خاصة في إطار العلاقة لني تجمعها فقط بالضوء الأحصر وتنتج عن تنسيق بين «توبيين» (الأحمر والأحضر) بالضرورة دلالة محددة تتمثل في الإشارة قف سر كما هو مداول عالمياً وخارج التنسيق بين هذين التوبيين في إطار مداول تنظيم لتسير، تروول صلاحيهما لإثباته في تنظيم التسير داخل لمدينة، وسقط كلّ لذلالات لممكنه التي يمكن أن تعطى لهما، كما تسقط كلّ ادلالات الإثباته لمحملة لني يمكن أن يعرضهما في عياب عُرف و اصطلاح حديدين

يعني هذا المثال المستط، أن ما هو «بيوي»، عكس ما هو «سياني»، يجب أن نركب ونسج، إن لم يكن نظرياً فعلى الأقل تجريدياً بعد إعمال مجموعة من الأساليب الإجرائية الاصطناعية التي يصعبها الدحث ونمكّه من القيم بعملية تتحلل لمسهجي للكشف عما هو بيوي في مستوى حر غير المستوى الواقعي «البياني» (لظاهر للعيان) هذه لأساليب الإثباتية (وهي عادة ما يسمى «المهيج»)، تتوسل بها لباحث والمحلل السوي في عمه على النحو الذي سبقه لاحقاً

4 1 مفهوم البنية

كنه «سنة» مأخوذة من اللغة اللاتينية *structura* المشتقة بدورها من الفعل *struere* (س) ومعناها في الأصل معنى معماري بحيث نشير الكلمة إلى الكيفية التي يشيد بها بناء معين وقد اكتسب لفظ «بنية» وما اشتق منه «بيوي»/«بيوتة» أبعاداً معرفية جديدة، اكتسبت بدورها رواجاً منهجياً قلّ نظيره في الفكر الإنساني الحديث، مما تسبّب في الأساس اسم مفهوم في الأدهان، بعد أن اقتحم كلّ مجالات المعرفة لحدثه، فقدر ما يشيع استعمال مفهوم ما ويتشعب، فقدر ما يتسم هذا المفهوم بالعموص وحدير بالذكر أنّ مفهوم «البنية» يحشد في الثقافة العامة صعوبة واضحة تتجلى في كونه يرتبط بالإدراك «محسني» المباشر للكلمة يتج عنه خلط وضحس «السياني» و«البيوي» بالمعنى الذي سبق شرحه ومرتدّ هـ الحلط هو أنّ كل جسم أو شيء يمكنه أن يمدك سنة خاصة، أو شككها بحسب بيته وهيكنه، شريطة أن لا يكون سدماً *Amorphe* ولا يسعّب إلا أن يردّد مع عبراً، «أنّ كلمة البنية لا تصيف إلى أدهاناً شيئاً جديداً عندما نستعملها سوى

أنها شيء لادع رافع⁽¹²⁾ ويرداد إيهام لمفهوم الذي يحيل عليه اللفظ «سبة» حين يتدخل مع ألفاظ أخرى قريبة منه مثل

- سق systeme

تنظيم organisation

- صورة forme

هيكل ossature

وهي معاهم تأخذ دلالات مختلفة من نظرية إلى أخرى ومن محال معرفي إلى آخر

وفكرة «السبة» في دابها ليست جديدة تماماً في الدراسات اللغوية إنها لا تعود إلى دو سوسير وحده؛ لقد انتبه إليها لغويو القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، لاسيما همبولدت والمتأثرون بالعلوم الطبيعية أمثال شميل وشلايشر وفرانز بوب⁽¹³⁾ فقد تحدث الأول مثلاً عن السبة التحوية⁽¹⁴⁾ مرّت عديدة واستعمل شلايشر عبارة «السبة اللسانية» structure linguistique ومع مطلع القرن العشرين استعمل اللغوي الفرنسي فيدريس Vendryes (1875-1960) العبارة نفسها أي «سبة التحوية» عدة مرّات استعمالاً غير تقني في كتابه اللغة (ص 361-408) ونذكر العديد من المصادر أنّ مفهوم السبة كان مألوفاً لدى نلامدة دو سوسير في باريس أمثال أنطوان مينييه (ودلت قبل إعداد محاضرات الشهيرة) فقد أعلن مينييه محلاً على دو سوسير هذا المفهوم بكيفية صريحة عدة مرّات، وكذلك فعل موريس غرامون M. Grammont (1866-1946)⁽¹⁵⁾ وإلى شيء نفسه

(12) J. Marie Auzias *Le structuralisme* Paris. Seghers, 1968. p. 15

(13) Franz Bopp *Grammaire comparée des langues indo-européennes comprenant le sanscrit le zend l'arménien le grec le latin le lithuanien, l'ancien slave le gothique et l'allemand*. Paris. Impr. impériale et impr. nationale, 1866-1874. nouv. éd. 1885-1889. 5 vol. trad. fr. par Michel Bréal. p. 3

(14) A. F. Schlegel. *Essai sur la langue et la philosophie des indiens*. traduit de l'allemand par M. A. Mazure. Paris, Parent-Desbarbes Editeurs. 1837-1808, p. 34

(15) E. Benveniste «Structure en linguistique», p. 33 in *Sens et usage du terme* (15)

يذهب جورج موران مؤكداً أن ميبه تحدث عن فكرة السيه وطبقها في كثير من أبحاثه المعاصرة لسوسير⁽⁶⁾

أما في مجال العلوم، فإن مفهوم السيه قديم جداً فتصورا كوبرنيك (1473-1543) وعاللي (1564-1642) لكون كاما مصورس سيويس، لأنهم يقومون على فرصه عامه معادها لارتباط العصوي الوثيق بين الكواكب والأجرام كما كان فهم ديكارت (1596-1650) وباسكال (1623-1662) ولايسر (1646-1716) للمودح الرصاصي فهما سيوة أيضاً

وفي العلوم الاجتماعية والاقتصادية، يفهم تصور كارل ماركس (1818-1883) في الاقتصاد على مفاهيم سيوية، حيث يتم طرح لقضايا اجتماعية وفكرية والاقتصادية باعتبارها سياج محددة المعالم يرتبط عناصرها ومقوماتها ارتباطاً وثيقاً ويمكن استحضار المفاهيم الكبرى في الفكر الماركسي مثل، «السيه السحتية» السيات السحتية و«السيه العوقية» لسيات العوقية التي استعملها ماركس في كتاباته الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية⁽¹⁷⁾.

وقد أخذ مصطلح السيه أبعاداً جديدة مع التصورات المنطقية والرياضية الجديدة بدءاً من 1930 التي انتقلت بالمصطلح من دلالاته لعصوية التي ارتبط بها، بل بدأ في أحصائها في العلوم الطبيعية والإحصائية ليكتسي دلالة رياضية في إطار نظرية التمدح التي يدل فيها مفهوم «سيه» على سبق خاص من العلاقات أو لغويين لي تصف اشتغال الظواهر التي يمثلها هذا التمدح⁽⁸⁾

بلا أن دو سوسير يعدّ أبرز الذين أكدوا فكرة السيه أو التسق Systeme كما

structure dans les sciences sociales et humaines, édité par Roger Bastide

Mouton, la Hague, Paris. 2ème Edition. 1972 1962

G. Mounin: *La sémantique* p. 78. Paris, Seghers, 1974. (6)

(17) لمصلحة تريحه بكنمه السيه في مختلف العلوم الدقيقة والاجتماعية والاقتصادية والإنسانية في العصر الحديث، يمكن لاطلاع على

Roger Bastide (édité par): *Sens et usage du terme structure dans les sciences sociales et humaines*

Ibid, p. 3-14

(18)

كما يسميها هو وتكمن أهمته دو سوسير في كونه بحث في مفهوم البنية شكل
واع جعلها منها مفهوماً نظرياً له أبعاد منهجية، قسّر على صيغتها كثيراً من
القضايا اللسانية

وتعني البنية ضمن ما تعنيه من دلالات الأشياء التالية⁽¹⁹⁾

المجموعة

أجزاء هذه المجموعة

العلاقة بين أجزاء هذه المجموعة

يعرف جون ليونز J Lyons (1932) (البنية بأنها «نظام من العلاقات أو
مجموعة من الأنظمة يرتبط بعضها ببعض وحيث إنّ العناصر أصوات وكلمات، ليس
بها أيّ قيمة باستقلال عن علاقات التكافؤ ومقابلة التي تربطها»⁽²⁰⁾

ويعرف ببحيه بدوره البنية قائلاً «إنها منظومة من لتحويلات وتتكوّن
المنظومة من قوامين باعتبارها منظومة مقابل خصائص لوحات وتحافظ
المنظومة على نفسها، وتعني عن طريق تحويلاتها، دون أن نخرج عن حدودها،
أو استدعي عناصر خارجة عنها»⁽²¹⁾ ويحدد ببحيه خصائص البنية في

اشمولته Totante

- التحويل Transformation

الضبط الذاتي Auto-reglage

والمقصود بالشمولية أو الكثية، أنّ المهم في التسق هو قنود الكلّ، وليس
قنود اللوحات. فكلّ هو سبجه لمجموعه اللغات، ولفواين قواين الكلّ إنّ
لسه تتكوّن من عناصر تحصع لبقواين لتي تحكّم المنظومة ككلّ، وليس قنود
لوحات مجتمعة والكلّ في التسق ليس جمعاً بسيطاً للوحات المكوّنة

(19) Roger Bastide «Introduction a l'étude du mot structure». p. 10 «Sens et usage du terme structure dans les sciences sociales et humaines»

(20) J Lyons La linguistique générale une introduction, p 41

(21) J Piaget Le structuralisme, p 7

بمطوّمة. بفول دو سومير فمن لوهم اعتدّ اللفظ جمعاً بين صوب ما وتصور معيّن، ونحديده بهذه لكيفيّة يعني عرله عن التسو الذي يشكل جزءاً منه، ولاعتقاد أنّه بالإمكان البدء بالوحدات ثم سيّ لتسوّ، وعلى عكس ذلك يحب أن نطو من الكلّ المتصامس لحصل على تحليل العناصر التي يتصفها «تسوّ»⁽²²⁾ إنّ مجموعة الأرقام الطبيعيّة، مثلاً لم نكتشف شكل متمرق وفي تربيب عشوائي، وبالتالي؛ فهي لا توجد بكيفيّة يكون فيه كل رقم معرولاً عن ارتقم لأخر، رغم أن لكل رقم شكله الخاص به وطبيعته المرتبطة به

ويعني لتحوّل، أنّ السبة ليست شيئاً حامداً أو ثابته، إنّها تتغير باستمرار، عبر أنّ تحوّلها يصل دا طبيعة داخلية إنّ تحوّل السه وتغيرها يولّدان دائماً عناصر تنتمي بالضرورة إلى هذه السبة ويمكن نشيه هذه العميّة داخل السبة ثم يحدث بعداً في العمليّات الحسابيّة من جمع وطرح في إطار الأعداد الطبيعيّة، حيث لا يحرج لتتح دائماً عن مجموعة الأعداد الطبيعيّة أيّاً كان عدد العمليات التي يقوم بها

وأخيراً تتسم لسة بالضغط الذاتيّ، وهو نوع من المحافظة على الدت في شكل انعلاق دائم على نفسها. إنّ السبة تحكم نفسها نفسها، ومن ثمّ فهي ليست بحاجة إلى عناصر أحسنه خارجة عنها إنّها سيّر نفسها بحكم القانون الداخليّ في إطار لعلاقات الذاحته بين مكوناتها لني تحكم التسوّ د حلناً.

في محاسن اللسان، يُلاحظ أنّ الوحدات لتعوبة بدءاً بالوحدات الصوتيّة والضرفيّة و لمكونات التركيبيّة، سيّر موصوح اشتعال السة في إطار داخليّ منع دائماً ما يسمي إلى استقّ العلويّ الذي تنتمي إليه العويّات والضرفات التي يتمّ التألف والتسيق بينها إنّ لأصوات مصدرة بعضها إلى بعض في حدود ما يسمح به استقّ الصوبي، نعطي وحدت لعويّة أكبر هي لضرفات (المورفيمات) التي بدورها يده أصيف بعضها إلى بعض، نعطي حملاً معيّنة وبدهي أنّ عدد لأصوب والضرفات في كل النعات الطسعة محدود، بكر الحمل والحدود التي يمكن الحصول عليها، لا يمكن حصرها إنّ أمم ما يستنه ما تنسبه

«لاقتصاد اللّغويّ» *Economie linguistique*⁽²³⁾ أو ما يعبر عنه تشومسكي بالخلق أو الإبداع اللّغويّ *Creativite Linguistique*

ومجمل القول، إنّ السّبة مجموعة من العناصر المترتبة فيما بينها إنّ العنصر الواحد لا قيمة له إلا في إطار العلاقات التي تجمعها باقي العناصر الموجودة معه في السّباق نفسه إنّ عناصر اللّسان تظلّ محافظة على خصائصها ومميّزاتها وتظلّ هي نفسها بالنّسبة إلى المتكلم غير أنّ وجودها مع عناصر أخرى داخل السّباق هو الذي يعطيها قيمتها. إنّ ارتباط العناصر فيما بينها بهذا الشكل، يجعل من اللّغة كما يقول دو سوسير «صورة وليس مادة»⁽²⁴⁾ *La langue est une forme et non une substance* إنّ «الوحدات اللّغويّة» (الكلمات) لا قيمة لها إنّ هي أٌخذت بمعزل عن لوحدها لأخرى الموجوده معها وبكي يصح لها قيمة حقيقيّة، لا بدّ لها من سياق يوحد فيه مع غيرها على أساس الاختلاف أو تساوي، أو انتعاف أو غيرها من أنواع لتضادلات

إنّ المعجم العربيّ يعطي لكلمة «عبر» مداحل معجميّة متعدّدة، أي معاني متوّعة، لكنّ استعمالها في علاقات سياقيّة مع وحدات أخرى هو الذي يكسبها قيمتها الفعلية في لتساق المستعملة فيه وعلى هذا لأساس يميّز بين «العبر» «حارجه» و«العبر» «حاسوس» و«عبر الشيء» «نفسه»، و«العبر» «مصّب الماء» وما إلى ذلك

إنّ ما يهمّ لمحلّل السيويّ، ليس المادّة التي تتكوّن منها الوحدات، سواء تعلّق الأمر بالمادّة الضوئية، أو المادّة الصّرفيّة أو غيرها. ما يهمّ هو الصورة أو الشكل *Forme* والمقصود بالصورة هي أديّات السّاتيات السيويّة هي العلاقات التي تجمع العناصر يقول دو سوسير منحدّثاً عن لعبة الشطرنج «إذا عبّر قطعاً خشبيّ بقطع من العاج أو الذهب أو أي مادة أخرى فإنّ هذا التّعبير لا يمسّ النظام في شيء ولكنّ عدم أحقق أو أريد في عدد هذه القطع فإنّ هذا التّعبير يمسّ نحو اللعب»⁽²⁵⁾ *Grammaire du jeu* وعلى هذا الأساس، فإنّ كلّ تعبير

(23) A. Martinet: *Elements de linguistique generale* Paris. Armand Colin. 1960. 1978

(24) Idem, p. 157

(25) De Saussure: *Cours de linguistique generale*. p. 43

يطرأ على العلاقة التي تجمع بين العناصر ينتج عنه بالضرورة تغيير عميق يصيب جميع باقي عناصر البنية.

4 2 البنية والنموذج

في دراسات اللسانية وغيرها من العلوم الإنسانية، نجد أنفسنا أمام مفهوم «النموذج» *Modele* القائم على لينة واستمودج كما هو معروف جهاز تصوّري يضعه الباحث لفهم الظواهر المدروسة وصفاً وتفسيراً وقد يختلف من محال إلى آخر؛ فالنموذج في علوم الإنسانية والاجتماعية هو غير النموذج المستعمل في العلوم الرياضية، أو الفيزيائية، أو الطبيعية⁽²⁶⁾ في هذه العلوم، يكون النموذج مجموعة من التصوّرات والزّمور المجردة الموجودة بصورتها فحسب أمّا في علوم الإنسانية، وفي مقدماتها اللسانية، فإنّ النموذج يحتد انطلاقاً من العناصر مماكفه المسابقة التي يعود ناسقها وتآلفها إلى وظيفة محدّدة.

ويمكن أن نثير في العلوم الإنسانية بين اتجاهين أساسيين في تصوّر طبيعة النموذج استتبع في التحليل

اتجاه يرى أنّ البنية تصوّر ذهني عقلي لا علاقة له بالواقع إنّ التحليل لببوي لا يعني لوصف مباشر لمواقع المدروس. فالبنية الاجتماعية أو السه المجتمع ليست هي العلاقات الاجتماعية، وليس هي الواقع الاجتماعي ومن أكبر امد فعين عن هذا لتصوّر عالم الأثروبولوجيا كلود لبوي ستروس والتحويل لببوي عنه لا يعني تحويل الواقع المدروسة إلى نظام جديد، وإنه يفتصي إعاده إنتاج هذ الواقع وسائه وصياغته صياغة منطقية جديدة تكشف عن بنية الداخلية الخاصة به، إنّ السيه في هذ، التصوّر فكرة ذهنية مجردة⁽²⁷⁾

اتجاه ينظر إلى البنية على أنّها مجموعة من العلاقات القائمة فعلاً بين الأشياء الموجودة في الواقع نفسه ويدفع عن هذا التصوّر اللسانيون اللبويون، الأميركيون والعلماء الأثروبولوجيون لوطيفيون

وأيّاً كانت مظاهر الخلاف بين التصوّرين، فالاتجاهان معاً يتجاوزان

Revzin *Les modeles en linguistique* Paris, Dunod

(26)

Claude Levi Strauss: *L anthropologie structurale*

(27)

لتصوّر التقليدي في العلوم الإنسانية و لاجتماعيّة القائم على اعتبار الفوائع
لمدرسة درّات لكلّ منها كيانها لحاصّن بها

5. القيمة والعلاقات

1 5 بين القيمة والدلالة

يظهر مما سبق قوله أنّ السبّة تقوم على ركيزتين أساسيتين

القيمة Valeur

- الثقل Opposition

المقصود بالقيمة أنّ العاصر، الدعوية تشبه لوحداث الاقتصاديّة من عمدة
وبصاعة وما شابه ذلك فقيمة كلّ قطعة نقدية تحدّد بالقياس إلى ما يوجد معها
من قطع نقدية أخرى في إطار سوق ماليّ واقتصاديّ محدّد إنّ القطعة السّمدنة
الوحدة - أيّ كانت فتتها - لا تملك في ذاتها قيمة مطلقة، ولا يمكن أن تصوّر
بها أيّ وجود إرثائي ومعنيّ إلاّ إذا أمكن معادلتها برصيدا فعليّ ذهباً أو فصة،
أو يوم عمل، أو قطعة من الخبز، أيّ كلّ ما يمكن أن تساويه في حياة مستعمل
هذه القطع النقديّة

وبالكيفية نفسها، فإنّ قيمة العاصر الواحد داخل السّوق الذي يوجد فيه مع
غيره من العاصر هو غير دلالة الخاصّة به، وهي الدلالة التي يملكها موضوعيّاً،
مما يعني ضروره التعبير بين الدلالة Signification والقيمة Valeur إنّ دلالة
العاصر الدعويّ هي مدخله المعجميّ، أي معناه لمحايد المسجّل في المعجم
وهو معنى موضوعيّ يوجد باستقلال عن كلّ سياق دعويّ وعن كلّ استعمال فعليّ
لهذا العاصر في علاقته مع عاصر أخرى أمّا لقيمة، فهي لدلالة اسيّ يكسبها
هذا العاصر أو ذاك في سياق معيّن من خلال طبيعة وتوعّبه بعلاقات التي تحمعه
بغيره من العاصر إنّ قيمة عاصر معيّن تتجلّى في التّهيّة من الموقع الذي يحسنه
في إطار علاقته مع غيره وتعبير آخر، فإنّ الدلالة قيمة مطلقة والقيمة دلالة
نسبية

ولأنّ ما يهتمّ الباحث اسيويّ ليس هو مادّة لعصر أو جوهره، فإنّ لعاصر
داخل السّوق لا تملك هوية قائمة في ذاتها وخاصّة بها، إلاّ إذا أمكن لمتكسّبين

أن يسندوا إليها كل المعاني التي تدل عليها ولا يمكن اوصول إلى هذا لعرص، إلا إذا اكتمت العناصر المعنوية القيمة التي تسحقها في إطار مجموعة بضعت والحصائص التي تتفصل بها اختلاف أو تكافؤاً مع صدت وحصائص ما في الوحدات المشكلة لنسق إن مفهوم لقيمة يسمح للتحليل السيوي بهم أعمو للكيفية التي تنظم بها العناصر لدعوية لتؤدي دورها في إنتاج المعنى، وبتالي في تحقيق عمده التوصل بين المتحاطين، أو أن تكون لها وطيعه ما بحسب مجال لدرسه أو لاستعمال

2 5 العلاقات

يرتبط مفهوم القيمة بمعناه السابق بمفهوم آخر لا يقل عنه أهمية هو مفهوم العلاقات إن العلاقات بين لعناصر المبنية إلى البنية نفسها هي أساس تحديد طبيعة الارتباط القائم بين هذه العناصر، لأنها تعطي كل عنصر من عناصر النسق هيمته في إطار العلاقة، أو العلاقات التي يجمعه أو تفرقه عن غيره مما يوجد معه أفقياً وعمودياً وسير العلاقة بين عناصر النسق في اتجاهين

اتجاه أفقي، هو اتجاه لعلاقات لسياقة Relations Syntagmatiques

نجاه عمودي، هو اتجاه لعلاقات الاسدلة Relations Paradigmatiques

إن عناصر منظومة معينة تنقسم أو تتعالق (تدخل في علاقة) مساوية ومختلفة، انطلاقاً من هذين لتوعين لمتمايزين من العلاقات نسج كل منهما نسقاً خاصاً من القسم النسبية

في الاتجاه الأفقي، أو ما يسمى أيضاً بمحور التوزيع Axe de distribution يعطي تعاني لعناصر الدعوية فيما بينها داخل ساء معين صرود محددة في مستوى الأصوات، ويعطي تركيب جملية في مستوى التركيب أي العلاقة بين الضرفات (الكلمات) إن الوحدات لدعوية وحدات صوتية، ضرفات، تنتظم الوحدة ملو الأخرى، من دون أن يحدث بينها أي التفاء أو اتصال في نقطة معته من محور التوزيع، لأن كل وحدة تأخذ مكاناً خاصاً بها في ارتباط مع الوحدة التي يحاورها موقعاً، أي التي يسبقها أو تلحقها

والعلاقات السباقية علاقة تقارب تجمع بين عنصرين أو أكثر، مما يعطي هذه العلاقة طابع الحضور والواقعية (In Parasentia) إن بدء الضروف ونكوير لجمل بكمية سليمة يتم تناوعاً عن طريق التألف الممكن بين الوحدات الصوتية بالنسبة إلى الضروف، وبين هذه الضروف بالنسبة إلى التراكيب والجمل إن الوحدات اللغوية في المستويات لصوتية والضروف لا توجد بكمية اعناطية، ولكنها تحصى لمجموعة من القواعد التي تتحكم في تجاورها الموقعي Juxtaposition إن قواعد التركيب في اللغات لظبيعية نوع من القواعد التي يصط هذا النوع من العلاقات القائمة على التجاور لموقعي

أما بالنسبة إلى الاتجاه العمودي، فتعنى الأمر بالعلاقات الاستدلالية، (ويطلق عليها أيضاً العلاقات الجدولية أو علاقات محور الاختيار (Axe du choix) إن العناصر اللغوية وهي خارج كل ساق و استعمال وتحديد في مستوى دهر المتكلم تتوافر فيها بعض الخصائص المشتركة إننا نحسب دو سوسير لا نستعمل هذا اللفظ أو ذاك بطريقة اعناطية داخل سياق معين، وإنما نحذره صم كوكبة من العناصر التي تشترك معه في سمات معينة، وتختلف معه في أخرى كما هو شأن في مستوى الأفقي

إن اللفظ لواحد يستدعي في أنفس حملة من علاقات مع ألفاظ أخرى تتوافر فيها كتي أو حرث حصائص صوتية أو صرفية أو تركيبية أو دلالية متشابهة، متمارئة أو متاعدة من هذه لبحية أو تلك وقد لا تتوافر هذه الخصائص المشتركة في بعض ألفاظ أحياناً، مما يجعل المتكلم أمام اختيار بين مجموعة من الوحدات اللغوية التي يسحصرها بصفة واعية أو غير واعية في الجدول نفسه Paradigme إن الفعل «رأى» يشتر في أدهسا مجموعة من الأفعال الأخرى «مستمنمة على حصائص صرفية ودلالية مماثلة متقاربة أو متاعدة مثل شاهد، أنصر، لمح، خدح، خذق، نظر، صرب، حرح

وإذ كانت لعلاقات السباقية ذات طابع حصوري، فإن العلاقات الاستدلالية لها طابع صممي وتقديرى بها لا توجد إلا في دهر المتكلم In Absentia ويجدر الإشارة إلى أن دو سوسير لم يحد بالضبط الكمية التي يتم بها تداعي العناصر للغة فيما سها في دهر المتكلم إن مفهوم لتداعي

Association عند دو سوسير يأخذ دلالة عمدة، وهو مفهوم يكاد يكون قرباً من بصور عمدة انفس في نهاية لقرن لتاسع عشر وبداية القرن العشرين. ويظهر هذا التقارب بين لتصويرين من خلال حرية اشغال عمدة لتداعي نفسها عند دو سوسير وهو ما ينجلى من لمصطلح Rappports Associatifs الذي ستعمله دو سوسير وقد تحلى اللسانيون اسيويون مد هيلمسيف عن هذا المصطلح بما يوحي به من حط بين المنظور انفسى والمنظور اللعوي، مفصلين سعمال مصطلح العلاقات الاستدالية Rappports paradigmatiques

3 5 العلاقات الاستدالية إعادة تركيب⁽²⁸⁾

يعلم من قراءة نص المحاضرات لدو سوسير⁽²⁹⁾، أن عمده لاسدات تتم على أحد لأسس لدالية

وحدة لجبر أو لأصل

التشبه المدلولي

التشبه لدالي

التشبه في الضبعة لصرفية

نأسسه إلى وحدة الجبر، فإن الوحدات المدعة فيما بينها، تشرك في المادة التي شتق منها إن المادة [ع ر م] استدعي في أدهد حملة من بوحدات اللعوية، مثل علم معلّم تعليم، علامة علم/علم، علم وبس هذه الوحدات علاقة شتاقية ينة

أم في مستوى التشبه المدلولي الفائم من الوحدات المتداعية في ذهن المتكلم، وهو تشبه يلتقي في عده جواب مع وحدة الجبر أو المادة للمعجمة. فلا علاقة بين وحدات مثل تربية، تعميم، تلقين، تصنيف، تدرس، معرفة، فن، عدم، ثقافة، صعه، إلّا ما تدل عليه هذه لوححدات، من حيث إنها تدرج في

H Fret «Ramification des signes dans la memoire». In *Cahiers de F de Saussure*, n° 2, 1942, Geneve, Droz 28)

De Saussure: *Cours de linguistique generale*, p .77-181 (29)

(30)

حاصل النقل فيكون إحدى الوحدات صرب، صارب، مصروب، الصرب،
صطراب، إصرب.

ومجمل القول أننا نشعر في هذا الصرب من النقل سوع من التوجيه، سوء
نصف عني لوحدة المصدر أم لم نتفق (شكالية العلاقة بين لأصل والفرع في
لتقليد التحوي واللحوي العربي) ومن أمثلة النقل، لموجه الانتقال من الاسم إلى
صعه هـ الاسم أو النسبة إليه كما في الأمثلة التالية

ورد ————— وردني

بن ————— بني

أما في نقل آخر، فالعلاقة بين الوحدات غير محددة شكل معبر، أي أن
هاك عناء لكل عناصر لتوجيه التي سقت الإشارة إليها، والتي من شأنها أن
تحمل الانتقال من عنصر إلى آخر أمراً ممكناً

وقد تم صبط طسعه العلاقات الاستدلالية بين الوحدات اللغوية شكل دقيق
مع اللساني الدانماركي لويس هيلمسليف⁽³¹⁾ الذي حدد شروط استدلال الوحدات
كما يلي

- أن تكون لوحدة المستدلة متعربة دلالتاً، أي أن تنتمي إلى الحقل
الدلالي نفسه أو المحور المفهومي نفسه، وهو ما يعني أن تنوهر في الوحدات
الحصائص الدلالية نفسها، أو تعبير غريماس⁽³²⁾ يكون لها النواة لدلاليه Noyau
Sem.que نفسها

أن تنتمي الوحدات المستدلة إلى المفهوم التركيبي نفسه، فلا يسبدر
المعل لا فعل آخر، ولا يستبدل لاسم إلا باسم آخر صريحاً كد أو مؤولاً

أن تؤذي الوحدات المستدلة الوظيفة التركيبية نفسها، فلا يسبدر الاسم
الماعل لا باسم فاعل وهكذا، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الضيع لضرورية وأرمة

(31) L. Hjelmslev *Essais de linguistique*, Paris. Minuit, 1972

(32) J.-J. Greimas: *Semantique structurale*, Paris, Larousse, 1966

الأفعال، فلا يستدل بماضي إلا بماضي إن علاقات الاستدلال هي علاقة تشبه بين الوحدات التي يمكنها أن توجد في الحدود نفسه

6. التّقابلات الصّوتية وأنواعها

يؤكد تروبتسكوي هذه التّقابلات قائلاً «إن الدور الأساس في الفونولوجيا لا يأتي من الوحدات الصّوتية في ذاتها، ولكن من التّقابلات المميزة» ويسعى أن يفهم أنّ التّقابل يعني أنّ هناك على الأقل سمة trail واحدة (وقد تكون أكثر من ذلك) تميّز بها وحدة صوتية دون غيرها من الوحدات، وهذا لا يعني عدم وجود سمات أخرى مشتركة بين لوحات متعاقبة وتعد السمات لمشاركة أساس لمقارنة، إذ إنّ كلّ وحدتين لا يتوافر فيهما هذا الأساس لا يمكنهما أن يشكلتا تعاقباً فرداً كان هناك صوبان يطهران في المحيط للصوت نفسه، ويمكن معاينة Substitution أحدهما بالآخر، من دون أن يتبع ذلك اختلاف في معنى الكلمة، فإنّ هذين الصّوبين يدلان بوحدة صوتية واحدة⁽³³⁾ وقد يحصل عكس هذا يقول تروبتسكوي «إذا كان هناك صوبان يطهران في الموقع للصوت نفسه، ولا يمكن معاينة أحدهما بالآخر من دون تغيير في معنى الكلمات، فإنّ هذين صّوبين تحفيقان لوحنتين صوتيتين مختلفتين»⁽³⁴⁾ ومن هنا، فإنّ لكل وحدة صوتية خصائص وظيفية خاصة بها، بمعنى أنّها تقوم بوظيفة معينة داخل سياق الجملة، إذ إنّها تميز بين معاني الكلمات، وهي الخاصية التي وسمتها مدرسة براغ بالسمات المميزة (Traits distinctifs). إنّ مفهوم الملاءمة Pertinence يسمح لنا بالتمييز بين ما هو أساسي وما هو ثانوي والعلاقة الأولى تؤدّي إلى تعبير في وظيفة الوحدات من خلال تعبير معنى لرسالة اللّغوية، وبالتالي يكون لها دور في عملية اتّصال إنّ لعبة في كل عملية صوتية هي اتّصال

وعلى هذا الأساس، نهتمّ بالوظيفة المميزة التي تقوم بها لوحات والخصائص المميزة هي وحدها لمفولة من وجهة لتحليل لسانيّ (صّوبي)

N S Troubeskoy *Principes de phonologie* Paris, Klincksieck, 1948, p 47 (33)

Idem, p 33-49 (34)

البيوي، مما يجعله سطر في تحليل لوحدة الصوتية من زاوية واحدة هي وظيفتها المميزة واعتبار هذه الوظيفة ذات نتائج نظرية ومهنية مهمة.

ونصيف مدرسة براع إلى فكرة «الوظيفة» أو «السمات المميزة» أو على الأصح ترتب عليها مدنيًا فكرة ثائية هي فكرة «التقابل» Opposition ونطلق مدرسة براع في هذا الشأن من فولة دو سوسير المشهورة «ليس في اللغة إلا الفروق» [لاحتلاف]. يقول ترويتسكوي «إن فكرة الفرق تستلزم فكرة التقابل إن شئنا لا يمكنهما أن يفترقا إلا في حدود أن كلاً منهما يقابل الآخر»⁽³⁵⁾. إن كل تقابل بين وحدتين مختلفتين متيح عنه تعبير في معاني الكلمات داخل لسان معبر سمي له لتقابل الصوتي Opposition Phonologique أو «معدلة الصوتية المميزة» opposition phonologique distinctive

إن التقابل بين الوجدتين الصوتيين /ر/ و/ع/ في الوجدتين /راب/ و/عاب/ تقابل صوتي مميز، لأنه يعطيان معنيين متميزين ومختلفين ويتم التقابل على أساس رائر الاستبدال commutation، أي أننا نستبدل اراء ناعين فنحصل على وحدة جديدة (معنى جديد) وهكذا

ولو بطرف إلى الجدول الصوتي لأي لسان لوجدنا أن وحدته الصوتية (وعبر الصوتية)، لا بد أن تقدم تقابلاً صوتياً من نوع م س كل الوجدات الصوتية التي تشكل التسق الصوتي لهذا اللسان، ولا يمكن العثور على وحدتين صوتيتين تشعمان في المحرج والضعة تفاقاً تاماً وكذاً ملاحظ مثلاً، أن النعة لعربية لها صوت اء وهو صوت مجهور، يحدد تقاضه مع لاء لأنها صوت مهموس بيد أن حاضيتها لشعوية المتوافرة في لاء لا مقابل لها في اء، وبالتالي فهي ليست سمة مميزة، لأن النعة لعربية لا تشمل على /P/ ولا على صوت /v/ الذي يعادل به اء /F/، كما هو الشأن في الفرنسية التي يعرف كما هو معلوم تقبلاً بين /P/ و/v/

ويبدو أن تروبتسكوي أحد فكرة التقابل فيما يظهر لنا من فكرة التسق عند دو سوسير، حيث إن عناصر التسق ترتبط فيما بينها ارتباطاً عضوياً، ولا قيمة لأي عنصر معزل عن عناصر التسق وبما أن لوحده لصوتية هي أيضاً وحده داخل تسق من نوع ما، فيسعي أن تحدد بواسطة علاقات لتقابل مع باقي وحدات التسق إن التقابل بصفة عامة، إنما يعني الفرق بين وحدتين صوتيتين، كأن يكون أحدهما مجهوراً والآخر مهموساً (د/ت)، أو بير (د/ر) وكلاهما مجهور، ولكل منهما يتماثلان في كون الأول شديداً ولثاني رخواً وهكذا وبعبارة أخرى، فإن لتقابل يعني «لتصادف»، إذ لا تجتمع سمات وحدتين صوتيتين معاً على لتلب ولا على الإيحاء، وإنما يسعى أن تكون سمات لوحدة الواحدة سلبية في حله يحاب سمات الوحدة لأخرى والعكس، شريطة أن تنتمي معاً إلى محرر واحد.

وهي مجال الفونولوجيا Phonologie، حثت مدرسه براح مجموعه من التقابلات الاستدلالية التي أثنت فعاليتها في لتحليل الصوتيات البيوي، باعتبارها بالنسبة إلى تروبتسكوي تساعد على تحديد الوحدات لصوتية (الفونيمات) وهو هدف الدراسات الفونولوجية. ويذكر من هذه التقابلات ما يلي⁽³⁶⁾

التقابلات الثنائية Oppositions bilaterales وتنطق بروحين صوتيين، حيث تشترك بعض الأرواح الصوتية في أكبر عدد ممكن من لسمات مفاربه مع غيرها من لأرواح الصوتية. ولتعاين الموحود بين /ك/ و /ح/ يكشف اشتراكهما في «سمات التانيه + فمي، + طبقي، + مهموس وكما اردت السمات الجامعة بينهما كدت العلاقة بينهما أكثر متانة».

التقابلات المتعددة الجواب Oppositions multilaterales وهي التي يهتم

(36) N S Troubetskoï *Essai d'une théorie des oppositions phonologiques* publiée en 1936 republiée dans *Jacob genese de la pensée linguistique*, p 198-207, Paris, Armand Colin, 1973. voir aussi des exemples concernant les oppositions dans *Fages. Comprendre le structuralisme* Toulouse, Privat, 1968

وبالنسبة إلى النسخة العربية، عتمد لأمثله التي فهمها أحمد مومن في مؤلفه اللسانيات، النشأة والتطور، ص 144-45، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002 وقد حافظ على الأمثلة الصوتية وبصرف في لشرح والتقديم

وحدتين صوتيتين تقومان على أساس سمات مشتركة صهيبة، ولرّوحان /و/،
 ي أو /a - /i/ لا يشتركان في شيء سوى كونهما من الصوتات vowels
 لتقابلات النسبيّة Oppositions proportionnelles وذلك إذا كانت لسمّة
 لمميّة نفسها موجوده في وحدتين صوتيّة أخرى فسمّة لجّهوريّة سمّة مميّة نس
 محسب بين /p/، /b/ من بين أرواح أخرى مثل /t/ - /d/ و /k/، /g/
 التقابلات بمعزلة Oppositions soles وهي التي لا تحصص لمودح
 مشترك

التقابلات السّلبية Oppositions privatives وهي التي تقوم بتمييز وحدة
 من أخرى حيث تكون واحدة موسومة (معلّمة) marqué وأخرى غير موسومة Non
 marque أي أنّ أحد المويّمين يصمّن سمّة صوتيّة غير موجودة في الطرف
 الآخر ومثال ذلك من /ر و د ت و ث ر د

التقابلات لمتكافئة Oppositions equipolantes، حيث يكون لكلّ عنصر في
 السّما سمّة مميّة لا توجد في العنصر الآخر ولكن هذه السّمة لا تعطيه أيّ
 متار بوحدة المسئلة كالنّقل الصوتيّ بين /p/ و /t/ و /k/ وبين م و
 ع وبين س و /و/ ح

تقابلات ثابتة Oppositions Constantes

تقابلات قابله للحذف Oppositions supprimables

أما التّقابلات التي لا تتّح دلالة، أي التي لا تقوم بأيّ وظيفة، فلا يهتمّ
 بها سبويّاً، بل تعتبر مسائل مألّفة Variantes combinatoires، كما هو الشّأن في
 بعض التّقابلات الصوتيّة في اللّغة العربيّة السّراط، الرّراط، لصرط

7. التّقابلات في الصّرف والتركيب

وكما طبّق هذا المبدأ سجاح في محار الصوتاته، فإنّه طلق بكثير من التّوفيق
 في المجال الصّرفيّ والتركيبيّ ومن دون لدّحول في تفصيلات هذا التّطبيق،
 وعلى عرار التّمودح الصّواني، بقول بأنّ أصغر وحدة على المستوى الصّرفيّ

التركيبية morpho-syntaxique هي المونيم monème كما يسميها بترتيبها أو المورفيم morpheme في اصطلاح اللسانيين الأميركيين.

إن اللسانيين السيويين الأميركيين يعتبرون الجملة سلسلة من الوحدات الصرفية التي لا تتجاوز بشكل اعتباطي، بل إن كل مكون فيها يحل موقعاً ما حسب علاقته بالمكونات الأخرى المجاورة له ومن هنا لتجاً اتباع بلومفيلد إلى البحث عن حصص مكونات من الجملة عن طريق تحديد مواقعها لممكنه ويتم تحديد موقعية وحدة م، ونسبها ص في جملة ح، بأن نقوم بحصر وتعدد مجموعة الوحدات، ص 1 ص 2 ص 3 التي تنسج ص في الجملة ح، ومجموع لوحات، ص 4 ص 5 ص 6 التي تأتي بعد ص في جملة نفسها

إن الموقع هو المكان الذي تأخذه وحدة معينة في تركيب معين وبطراً إلى كون لتحليل التوزيعي لا يأخذ في الاعتبار معنى الوحدات ولا يهتم به في تحديد وحدات الجملة، فإنه يعتبر أن الموقع الذي تحلّه الوحدات هو الذي يحدد معناها، أي أن مدلول الوحدات مدلول وظيفي وحسب، مرتبط بالموقع الذي توحد به كما أن المواقع التي تحتلّها هذه الوحدات هي وظائف الوحدات نفسها إن معنى بناء تركيب يمكن أن ينقسم إلى إجراء نكرّ منها موقع، ومعابر حسب لوظيفة التي تشغلها في هذا الموقع ولأنه لا يسمى به عدّه وظائف لأن له عدّه مواقع ونستخدم فكرة الموضع Positionnement لتحديد توزيع الكلمة ومجموع المواقع هو ما يسمّى توزيع لكلمة يقول هاريس Harris مُعرّفاً «توزيع» توزيع وحدة م هو مجموع المواقع التي يمكنها أن تحتلّها هذه الوحدة، وهو ما يسمّيه عديمياً بالتوزيع داخل صياح من الأحاديث لصعري التي يجب أن تنتمي إلى لجراء نفسه من لجملة⁽³⁷⁾ عبارة أسط نفور إن لتوزيع هو المواقع التي تحد فيها لوحات داخل حمل تنتمي إلى متر لعويّ معبر Corpus

ومع أن بلومفيلد رائد السيوية الأميركية لم يتحدث كثيراً عن التوزيع، فإن أتباعه وتلاميذه أمثال Hockett، Wells و Harris وعبرهم تنوّعوا هذا المسأ وطوّروه

(37) Z. S. Harris. «La distribution», in *Langues* N°20, Paris, Larousse, 1970, 1964

لتحديد توزيع الوحدات المكوّنة بعض لجمل يفترض عدداً من الجمل
التي تشكّل متناً لغوياً مصغراً وهذه الجمل هي

- (1) صحتك لفتة
- (2) لعب لولد بالكرة
- (3) تكلم الولد مع الفتاة
- (4) طرب الفتاة إلى الولد
- (5) شاهدت الفتاة الولد
- (6) تكلم لولد
- (7) شاهد الولد الفتاة
- (8) إنّ لولد الشيط محبوب
- (9) كان الولد يحب بالكرة
- (10) سقطت كرة لولد في الحديقة العمومية
- (11) دع لعب يا ولدي

نعمد أن نكرّر وحده (ولد) في معظم الجمل ونداء حاولنا أن نبيّن
موزعها بإحصاء جميع المواقع، قبل بأن الوحدة (ولد) تأخذ أداء التعريف 'أن'
في جميع الجمل عدا الجملة (11) وقد تسبها حروف أخرى كحروف الجرّ أو
إسداء وتصل بها أدوات أخرى كالضمائر ويدخل عليها 'إنّ' وما شابهها وقد
سبق الوحدة 'لولد' بفعل كما في الجمل 2-3-6-7-9 ويأتي بعدها أسماء
أخرى يد كان لفعل متعدّياً، ويأتي قبلها اسم فتكون 'مفعولاً به' كما في الجملة
(5) أو بعد اسم فتكون مضافة كما في الجملة (10) أو بعد حرف الجرّ فتكون
مجرورة كما في الجملة (4) إلخ

والحقيقة أنّه من الصعب تحديد جميع المواقع التي قد تحتلها كلمة «ولد» في
اللغة العربية، لأن هذه المواقع متعددة، ولا يمكن حصرها مطلقاً، وإنّما يلجأ إلى
التعميم والتجريد مع محاولة وضع الأصول الثابتة بإدخال كلّ وحدة داخل فئة من

فئات الكلام، مما يُسهّل علينا تقسيم الوحدات لنعوّة إلى فئات التالية

الولد - لمة الكرة - الحديقه إلح -	وهي الأشكال التي لها نفس توزيع الوحدة «ولد» وسميها الأسماء، ويرمر إليها - س - (اسم)
صحت - لعب شاهد - إلح	وهي الوحدات التي لها توزيع لوحدة نفسه (صحت) وسميها الأفعال، ويرمر إليها - ف - (فعل)
ال -	مجموعة من الأدوات لها التوزيع نفسه كـ (ل) وسميها المحذّذات، ويرمر إليها - د - مح (محذّذ)
إلى - مع في - إلح	أشكال لها التوزيع نفسه وسميها الحروف، ويرمر إليها - ح - (حرف)

ويعني لمختصر إلح أن العناصر التي توجد في كل مجموعة هي عناصر
غير منتهية، مما يسمح بإدخال مفردات أخرى يمكنها أن تحتلّ الموقع نفسه
ويمكن أن تتصوّر الحاصل لنفسه توزيعاً كما يلي

- (1) ف + مع + س
- (2) ف + مع + س + ح + مع + س (ح = حرف)
- (3) ف + مع + س + ح + مع + س
- (4) ف + مع + س + ح + مع + س
- (5) ف + مع + س + مع + س
- (6) ف + مع + س
- (7) ف + مع + س + مع + س

(8) ح + مع + س + مع + ص + ص (ص = صفة)

(9) ف + مع + س + ف + ح + مع + س

(10) ف + س + مع + س + ح + مع + س + مع + ص

(11) ف + مع + س + مع + س + مع

وتجدر الإشارة أن تقديم يتسم بالتنسبط والتوصيح، وليس له أي عاية نظيرية، وهذا ما يستر إهمالاً عمداً كثيراً من الجريئات المتعلقة بتحديد موقع الأشكال اللغوية في الجمل السبعة كما أعطينا مشكلة المطابقة من حيث التذكير ولتأنيث لتسهيل الرسم فقط وقد احتفظنا بالبيات المشتركة بين لجمل السابقة. وبطلافاً من هذه البات التركيبية، يمكن أن نقول إن الاسم يسقه فعل ومعرف أو سم، ويمكن أن يأتي «صميراً» و«صفة» و«سماً»، ولكنه لا يفضل أن تدخل عليه بعض الحروف مثل، قد ولن وما شابههما أم الفعل فهو العنة من لوحات التي تأتي في أول الكلام، ويأتي بعده الاسم والحرف وتدخل عليها الضمائر ولكنها لا تقل دخول حروف لجز ولا أدوات التعريف

ويظهر أن لتوزيعيين كانوا يعضون تطبيق التوزيع في مأي عن أي عادة أو اعتبار للمعنى، مما جعل در ستهم صورة على عرار اتجاهات سوية أخرى. ويقتضي التحليل التركيبي عند البيويين الأميركيين تصنيف الأشكال اللغوية، أي الوحدات اللغوية في فئات معينة ساء على توزيعها داخل الجمل والأشكال التي لها وظائف مماثلة تكون فئة خاصة (الأفعال الأسماء الحروف لضعاف)

فما فيما سبق بتقديم بسيط لما يسمى بالتحليل التوزيعي على مستوى لعلاقات التركيبية ويصنف البيويون الأميركيون إلى فكرة التوزيع مبدأ للعلاقات لاسيدانية، الذي عنمدته سائر المدارس اللسانية البيوية. وتعد العلاقات لاسيدالية المحرك الأساسي للنحو التوزيعي وتقوم على سببان الوحدات، أي على التشابه أولاً والاختيار بين الأشكال ثانياً كما رأينا فعندما نجمع (هبة) و(ولد) و(طهر) و(رحل) و(شيخ) في فئة واحدة، فإن ذلك يعني أنه يمكن إجراء سندان بينها إن لواحدة منها يمكن أن نحتل مكان لأخرى أما معالقتها على لمستوى التركيبي، فيظهر في كون كل منها بجوار الفعل والاسم والحرف في

علاقات متنوعة ولوحدة (فتاة) ترتبط بمعرف سابق، وقد تأتي بعد الفعل أو بعد الاسم كما تأتي بعد لحرف ويمكن أن تصور هذه العلاقات كما يلي

$$\left\{ \begin{array}{l} \text{ولد} \\ \text{فت} \end{array} \right\} \begin{array}{l} + \text{ال} + \text{س} \\ + \text{ح} + \text{ال} + \text{س} \end{array}$$

صافح الولد الفت
ذهبت الفت إلى المدرسة

أو

$$\left\{ \begin{array}{l} \text{س} + \text{ح} \\ \text{ن} \end{array} \right\} \begin{array}{l} \text{فت} \\ \text{ولد} \end{array}$$

الولد	الفتاة
فتاة	فتاة
طفل	فتاة

بالنسبة إلى التحو الثوريي الذي يعتمد الوصف للتعوي الضوري، فإن بوحدين (ولد) و(فتاة) متساويان، ونستعين إلى المصنوفه نفسها Paradigme وهي قائمة من الوحدات التي يمكن أن يقع الاستبدال بينها داخل الموقع نفسه

يلعب	أخي الصغير	ياكل	الفتاة
	أحد أصدقائي	يلهو	
	هذا الذي تراه	يبوي	أن يسافر عدأ

ولا يهتم النسيبون، لتوريين بالوحدات المحرّدة فحسب، مثل (ولد) أو (فتاة) وإنما يوسعون سبة الوحدات المستدلة فيهتمون بالعلاقات التي تجمع بين

المرتكب سواء الاسمية أو الفعلية، فالمرتكب الاسمي هو (أن + س) [تعريف + اسم] والمرتكب الفعلي هو التركيب الذي يكون على رأسه فعل ثم تليه عناصر أخرى هذه المركبات وغيرها (المرتكب الحرفي و المرتكب الظرفي) تدخل بدورها في علاقات تركيبية وجدولته

وكان لهذه الأساليب التورية فعالة ملحوظة في وصف العديد من اللغات المجهولة أو التي لم يسبق وصفها ولا ينتهي لتحليل التوريعي عند تحديد لوحات وتصيغها في مقولات أسامية مثل الاسم والفعل والحرف، وإنما تطبق لمعايير نفسها على باقي وحدات الجملة سواء تعلق الأمر بالأشكال الحرة [وحدات مستقلة] أو بالأشكال المرتبطة مثل الضمائر المتصلة

وبعد في هذه التطبيقات والتماذج ما يبرز تسميه العصر للمهجة المعتمدة في البيوية بأنها «فلسفة علائقية»، لأنها تجعل من العلاقات أساس كل شيء. إن تحليل البيوي يجب أن لا يتجاوز إطار العلاقات الداخلية بين مكونات النسق، وبإلزامي هناك إقصاء لكل العوامل الخارجية عن لبه وتحليل البيوي لا يهتم بالمعنى في ذاته، إذ لا سبغ الأمر بتحديد المعنى الحقيقي أو الرمزي أو إيجاد معنى جديد لنص مطروح كما لا يعلّق الأمر بتحديد تكوين النص وشأنه Genese ولا تاريخه وتاريخ لتكلم ووضع، والاجتماعي والنفسي وأصناف لقول ولأهداف المتوخاة من عملية الكلام أو من النص. إن المهم هو الكشف عن شروط الدلالة، أي سجلات المعنى وهو ما وصفه بعض البيويين بلغة فك بناء Jeu de De-construction (دريدا Derrida) أي كل ما يجعل من الدلالة التي تظهر عبر الحمل والخطوات والنصوص التي سمع أو قرأ شيئاً ممكناً

إن لمبدأ الأساس في التحليل البيوي، هو البحث عن القواعد، الداخلية لمنحكمة في ظهور المعنى باختصار ليس المهم البحث عن معنى اشكل، ولكن المهم هو الوصول إلى كيفية التي تتم بها الدلالة ليس المهم ما يقول النص، ولا من يقول هذا النص، ولكن المهم كيف يقول نص ما يفوه⁽³⁸⁾

(38) Groupe d'Entreverne Analyse semiotique des textes. Lyon, Presses Universitaires de Lyon, 1979.

ولم يحرر التحليل اللساني السيوي عن إطار التحليل التقليدي لمقولات التقليدية، كلاسـم والفعل والصـفة والحرف ومـهـجـتـهـم في التحليل، بناء على مفهوم التوزيع طريقة معروفة جداً عند النحاة الأقدمين إلا ما كان من اعتماد المعايير لشكـنـة وإبعاد كل إحالة للمعايير الدلالية أو المفهومية في التحليل ولا شك أن في النحو العربي ما يشبه هذه الطريقة، حينما قسّم نحاة الكلام إلى أجزاء كما أن بعض النحاة النحويّة في العربيّة شهدوا على ذلك كقولنا "ندخل «كان» على المستند والحرف"، أي أن هناك تحديداً لأنواع الكلمات التي ندخل عليها «كان وأحوالها» بناء على «توزيع» وقم لنحاة العرب بتحديد توزيع المباني الصرفية التي ندخل على الأفعال. عبر أن توزيع العرب المقسم لأقسام الكلام كان توزيعاً ناقصاً، جعل بعض النحويين العرب المحدثين يعيد النظر في هذا التقسيم الثلاثي واقتراح تقسيم جديد لأقسام لكلمة عربيّة فقد حصروها إلى خمس أبس في أربعة أنواع، وجعلها تمام حسان في سبعة وهو في رأي تقسيم يعتمد على استقرار لمواقع الوحدات (لكلمات) داخل التركيب العربي والخصائص الصرفية والتركيبية ولذا لفته لكن نوع من هذه الوحدات المكوّنة للجملة⁽³⁹⁾

8. التمييز بين الآتي والحركي

أما ثالث المبادئ الأساسية في التحليل اللساني السيوي، فتعنى بالتمييز بين النظرة الآتية Synchronique والنظرة لحركة Diachronique يطلق دو سومير في تمييزه هذا من ملاحظة بسيطة، مفادها أن للساميات نعرف في دراستها لغة عنصر حداثاً لا نهتم به العلوم الأخرى، هو عنصر الزمان Temps وبالنظر إلى وجود عنصر لزمان في التحليل اللعوي، يتعين التمييز بين الدراسة الآتية للغة والدراسة الحركية، إن دراسة لغة بهذا المعنى تدور حول محورين

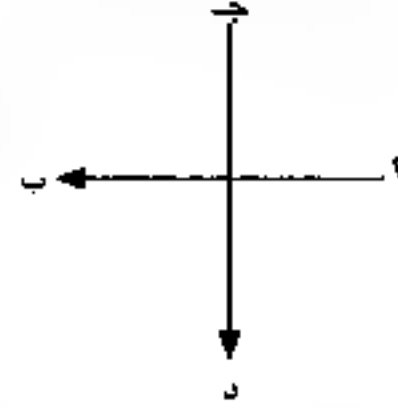
محور التزام Simultanité وبحصر العلاقات لقائمه بين الأشياء المتزامنة؛ أي الموحدة في زمن واحد، وهي الدراسة الآتية

محور لتتابع Successivité وفيه ينظر إلى الوقائع اللعوية، من حيث إنها نطق تقع في تناسع زمني وهو الدراسة الحركية

(39) تمام حسان اللغة العربية معاً ومساها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973

في المحور الأول، يتم تناول اللّغة في مرحلة رميّة محدّدة، أو تعبير دو سوسير في حالة Etat رميّة محدّدة. أمّا الدراسة الحركيّة (التطوريّة)، فتناول اللّغة في مراحل تطوّرها، بدراسة ما يطرأ عليها من تعبير من جرّاء تفاعلها مع الرّمز ومن الأفضّل أن نهتمّ العلوم بوضع المحاور axes التي تقع عليها الوقائع المدروسة، بحيث يمكن التمثيل للمحورين السابقين كما يلي⁽⁴⁰⁾

المحور أ - ب محور انثر من axe des simultaneities وهو المحور المصنّف بالتسب لعائمة بين لأشياء اسمرامة أي الموجوده في لزمن نفسه
المحور ج - د محور اسباع axe des successivites وفيه تعتبر الأشياء متتاليه في تطورها التاريخي



ولكنّ دراسة قواعدها الخاصّة بها فقواعد لدراسة الآتيّة مظهره وثنية، وهي دراسة أبصاً عدمة ولرميّة للمتكلمين بلسان معين أم قواعد دراسة لحركيّة، فهي صطلحيّة مطبق على اللّغة بعد أن تركها مستعملوها وقد أكد دو سوسير الأهميّة اللّغة لدراسة الآتيّة، لأنّ الدراسات التاريخيّة في عصره دلت على دراسة النّوع من هذه الزّاوية، وأهممت الحاسب الآليّ، لسي هو بحقيقة مباشرة لأولى لمتكلم باللّغة⁽⁴¹⁾ إنّ للسان مد وجودها افتتت بالتاريخيّة، من إنّ هذه التاريخيّة امتصّتها⁽⁴²⁾

ويحتل دو سوسير أسبقية الآتيّ الحاضر على التاريخ في دراسة اللّسان، انطلاقاً من أنّ التسو للسان في الحاضر، هو الحقيقة الأولى بالتسبه إلى كلّ مجتمع لغويّ فعاهت اللّسان في الرّمز، وما يطرأ عليه من تعبيرات مصدونه الأهميّة، لا يهم الفرد المتكلم بلسان معين إنّ المتكلمين لا يبدلون ولا يدركون

De Saussure. Cours de linguistique generale p. 15.

(40)

Idem, p. 18

(41)

Idem p. 18

(42)

التطورات التي عرفها لسانيهم، وليس ضرورياً أن يفعلوا ذلك. إنهم لا يشعرون بالتطور، لأنهم لا يملكون أدنى وعي بالأحداث التاريخية التي معرض لها لسانيهم، مما يجعلهم لا يهتمون بالحالات السابقة، مكتفين باستعماله سدياً في وضعه الراهن، أي في الحالة السانكرونية التي يعيشونها. فاللسان بحسب دو سوسير سبق موضوع وماريح في، لأن نفسه⁽⁴³⁾. ويمثل دو سوسير بديلاً بين الآتي والآن في لعبة الشطرنج إن تطور اللعبة والتعثرات التي أدت إلى طريقة لعبها واستقلالها من مطلقته الأصلية التي ظهرت فيها أول الأمر إلى المناطق الأخرى عبر العالم، كل هذا يحتل كلاً عن القواعد المتحكم في اللعبة نفسها، ويسبق لماريح لعبة، أي تأثير في هو عد لعبة الشطرنج كما تمارس اليوم

8 1 تقرير التقسيم

سعى دو سوسير إلى تقرير التمييز الذي افترحه بين نصريين بالرجوع إلى مبادئ أعمق من أهمها

وجود استقلال نسبي بين قانون التكافؤ، الذي هو قانون النسق في ذاته، أي الضغط الذاتي التي تتميز به، وبين تطور قانون النسق نتيجة عوامل محتلمه

إن دلالة العلامة للسانة وسمتها شيئان متحركان فقيمة الوحدات تتغير وتتطور من حالة إلى حالة، وبالتالي لا يمكن تطبيق قوانين نسق في أية حالة معينة على نسق حالة أخرى إن القيمة دلالة نسبية تدرك قياساً على علاقات معينة موحدة في وضع معين (في حالة معينة)، الأمر الذي يمنع إدخال عناصر منظومة حالة 1 مع عناصر منظومة حالة 2 فالقواعد التي تحكم في عناصر حالة الأولى، لا يمكنها أن تحكم في هو عد حالة ثانية، بسبب التعبير في نوعية العلاقات وتطورها⁽⁴⁴⁾

تقود بعض التطورات في مجال لاقتصاد بإمكانية إعادة النظر في الفهم

De Saussure Cours de linguistique generale p. 24

(43)

O Ducrot et T Todorov Dictionnaire encyclopedique des sciences du langage.

(44)

p. 34. Paris. Seuil, 1972

الاقتصاديّة للصّانع، انطلاقاً من الأزمات، واستقلال تامّ عن تاريخ هذه الأزمات وامتدّة تأسيسها والعوامل الفاعلة فيها من المعروف أنّ علم الاقتصاد يقرّ بوجود علمين متميّزين هما علم الاقتصاد السياسيّ وتاريخ الوقائع الاقتصاديّة الكبرى ومن المعروف أيضاً وجود علم وصفيّ بالقانون إلى جانب علم تاريخ القانون وهم شيان مختلفان

تحرّير لبحث «لنسانيّ من كلّ العوامل لحارحة عن طبيعة المادة اللّغويّة لضرف والعامل لحارحيّ» هو التاريخ بمختلف مكوّناته ومعطياته لاجتماعيّة والنفسية والثقافية إنّ لتاريخ عدوّ اللسان كما يقار إنّ التمييز بين الآنيّ والحركيّ يهدف في نهاية الأمر إلى حقّ بحث لسانيّ مستقلّ كنيّاً عن العوامل النفسية والاجتماعيّة التي يمكن أن تؤثر في اللسان وصيرورته الفرديّة والجماعيّة

2 8 البنيويّة والتاريخ

شكل التمييز الضارم بين الآنيّ والحركيّ موضوع جمعه من الملاحظات والانتقادات فإذا كان من الممكن تصوّر هذا التمييز نظريّاً، فإنّ لفرق بين الرؤيتين صعب التحقيق على المستوى العمليّ فمن جهة، ليس من السهل لقيم نحس أنّي لوقائع اللّغويّة من دون اعتبار لتاريخيّتها، وخصوصاً لعمول التي أثّرت شكل أو ماحر في خلق الآنيّة synchronic المدروسة ومن جهة ثانية، فإنّ اللسان في معيّر مستمرّ بشكل، يصعب معه تحديد الفترات أو لحالات اللّغويّة التي يعرفها تحديداً دقيقاً وبالمقابل لا يمكن لتطور اللّغويّ مهما كادت درجته أن يحصل خارج لحالة لآنيّة يقول حور ليونر «من المستحيل أن نقوم بتمييز بين التطوّر التاريخيّ والتعبيرات الآنيّة»⁽⁴⁵⁾ وإذا كان الفرق بين الآنيّ والحركيّ قائماً على عصر الرمن باعتباره عاملاً حاسماً في تعبير اللسان، فإنّ ثمة عناصر أخرى بعدّ فاعله ومؤثّره في التعبير والتطور ليسين بصيوان اللسان، ومنها الحاجة المستمرة إلى مفردات جديدة، والاقتراض والقيس ولتد حل بين الألسن، ولسته الاجتماعية وغيرها من العوامل

J Lyons: *Linguistique générale une introduction* p. 41 Paris, Larousse, 1970 (45)

وكأن مئيه من أزرر الدين، عتبروا، تفسيم دو سوسير غير دي حدود من التاحة لعملية. إن مئيه برى في اللسان شمولية، وأن كل التعيرات اللعوية، محاضة يجب لتظر إليها في مقام سيدي أكثر اتساعاً وشمولته. وبأحد مئيه على دو سوسير تأكيده على الطابع، التسقي للسان، لدرجه أسسته حضور الإنسان نفسه في اللسان، ويعبر مئيه اللسان في مقام أكثر اتساعاً من الساحة التاريخية والاجتماعية، مؤكداً الروابط الوثيقة بين اللسان والحضارة وباقي المظاهر الاجتماعية للشعب الذي يستعمل هذا اللسان⁽⁴⁶⁾.

في السدي نفسه، يتساءل مالمبرغ Malmberg في أي لحظة بعد سقا لساناً قديماً قد نهى، وسقا حديداً قد بدأ؟ وكيف يحكم على شهادات (بصور) حالة قديمه؟ كيف يعالج مختلف مسويات للسان من لسان مطوق ولسان أدبي وعادي؟ هل تعد هذه المسويات ألساً محلله أم لساناً واحداً⁽⁴⁷⁾؟ إن للسان نظر ثباتاً في عصر الأساليب، رغم ما يصيبه من تطوّر.

وقد أثرت المسهحية، السيوية باعتمادها المركزي على الحاسب لأني (ليناكروني) نقاشاً واسعاً بين الباحثين بمختلف مشاربهم حول علاقتها بالتاريخ يعدل أحياناً بأن تحليل السيوي يرفض التاريخ. وبالمعل ذهب كثير من الدارسين إلى ذلك، بالربط بين ما ذهب إليه دو سوسير من إعطاء، لأهمية للبحث اللساني الآني، ورفض لمهج السيوي لكل إحالة على التاريخ بقول بيديه «في النقاش، عادي، يظهر لنا أن السيوية تهجم، لتاريخية ولوطمية وأحياناً كل أشكال اللجوء إلى الكائن الإنساني بصفة عامة»⁽⁴⁸⁾ غير أن هذا الهم لموقف المسهجة السيوية من التاريخ لا يوافق عليه جميع الدارسين «إن السيوية لا تعوض التاريخ، إنها لا تعوض التعبير بالكائن»⁽⁴⁹⁾.

ومهما كان الموقف لمتحد في هذا المجال، فمن الواضح أن هناك

(46) Antoine Meillet *Linguistique générale et linguistique historique* Editions H de Champion. Paris.

(47) B Malmberg *Les nouvelles tendances de la linguistique* Paris, P.U.F., 1968. p 61

(48) J Piaget *Le structuralisme*. p 6

(49) J M Auzias *Le structuralisme*, Paris. Seghers, 1968, p 14

عموماً والتداساً في استعمال كلمة تاريخ. إن كثيراً من الباحثين الذين ناقشوا مسألة علاقة السيوتية بتاريخ لم يحددوا المعنى الذي يقصدونه من مفهوم «التاريخ» وهم يتحدثون عن رفض لسيوتية للتاريخ. إذا كان المقصود بالتاريخ هو السلسل الترمي كما تصوره النحاة التاريخيون، فإن لدرسين السيوتيين عالجا تاريخ بهذا المفهوم على نحو ما سرى في الفقرة التالية

3 8 حضور التاريخ

يكفي لنظر في بعض مصوص محاضرات دو سوسير لنذكر مدى إلحاحه على أهمية الدراسات التاريخية، وفيمنها النظرية في دراسته للغة بعد أشاد دو سوسير بأهمية النحاة الجدد ودورهم في تطور البحث اللساني لحديث وحسم حدد مهام اللساني ذكر الوصف وتاريخ جنباً إلى جنب؛ أي الحركي والأنبي يقول دو سوسير «إن مهمة عالم اللسانيات وصف الألسن التي يمكن الوصول إليها ووضع تاريخ لهذا وهذا، يقتضي وضع تاريخ للأسر اللغوية ومحاولة بناء للسان الأم لكل أسرة أو فصيلة لغوية»⁽⁵⁰⁾

كما أكد دو سوسير أيضاً أن اللسان سبق وتاريخ في الوقت ذاته، واعتبره مؤسسة حاضرة وشاحاً تاريخياً إن مفاهيم لسانية والدياكرونية متساوية من حيث الأهمية المنهجية إن فترة ما قبل لسانيات دو سوسير كانت ترى كل شيء في لسان من منظور التاريخ، ومن ثمة كان رد الفعل (رد فعل دو سوسير) طعناً⁽⁵¹⁾ ويكشف تنوع الأدبيات اللسانية السيوتية اهتماماً بالعلم بمفهوم التاريخ بهذا المعنى لدى بعض أقطاب السيوتية وشيرها إلى دراستين هامتين

دراسة ياكسون المعنونة بمبادئ الفونولوجيا التاريخية، نشرت لأول مرة في أعمال حنقة براع سنة 1931، وشنت بالفرنسية مع ترجمة كتاب ترويتسكوي مبادئ الفونولوجيا سنة 1949

دراسة مارنيسه اقتصاد التعبيرات الصوتية دراسة في الضوته الحركية

⁽⁵²⁾ *Economie des changements phonologiques*

De Saussure *Cours de linguistique generale* p 20

(50)

J-M Auzias. Idem, p. 2.

(51)

Economie des changements phonologiques, Francke Bernc. 1955

(52)

وعلى العموم لم يهتم البيونون، لاسيما الأوروبيون منهم، بالسيه في جانبها الآني محسب، وإنما اهتموا بها على المستوى الحركي أبصاً، مؤكدين مبدأ أساسياً، هو أن يكون البحث في تاريخ الأحداث اللسانية بحثاً سقياً إن التطور اللعوي ليس شيئاً من قبيل الصدفة، وإنما هو تطور سيوي يصيب السية بأسرها، لأن عناصر الأحداث لا تتطور باستقلال بعضها عن بعض. وقد أكدت مدرسة براغ صمم برنامج عملها، أن الوصف الآني لا يلغي بالضرورة مفهوم التطور، بل إن الآني والحركي يحصع كل منهما للآخر، ويظهران في علاقة حدية⁽⁵³⁾

وأعطت مراعاة مفهوم التاريخ بعداً حديداً، عديم ربطته بالمقدارية ووظيفتهم معاً للوقوف على جوانب العلاقات التاريخية وعلاقات القراءة بين عدة سياات، مما جعل مفهوم «القانون» كمبدأ للتحليل التاريخي، يتحول من مجموع أحداث نتجت عرساً وبطريقة اعتباطية، كما هو الأمر عند النحاة الجدد، إلى قانون يتحكم في تطور منظومات (أنساق) متعددة داخل السيه الواحدة وأصبح من الممكن الربط بين عدة أنساق لعوية، مهما كانت متعدة ظاهرياً، مع محاولة الوصول إلى التشابه في تعبير السياات وبعد رومان ياكسون أكثر اللسانيين السيويين تأكيداً على أهمية الصوارة الحركية، ودورها في التحليل الصوتي عموماً من خلال ملاحظاته المتعلقة بتطور الأصوات في اللغة الروسية.

يرى ياكسون أن الوقت قد حان للتحلي عن التعبير الذي وضعه دو سوسير بين الآني والحركي داعياً إلى دراسة ما هو تاريخي في إطار يأخذ في الاعتبار المعطيات الوصفية والتعبيرات داخل التسق الذي وقعت فيه «إن الوصف التاريخي» يعني أن لا يخصص في دراسة التعبيرات المعرلة، وإنما يجب معالجة التحولات الصوتية من خلال وظائفها داخل التسق الذي وقعت فيه. ومعنى هذا الكلام، أن ياكسون يرفض الصوارة التاريخية التي لا تُعير الاهتمام إلى التسق الذي تقع فيه التعبيرات. ويشير ياكسون هنا إلى تصور النحاة الجدد الذين كانوا يرون أن التسق، لاسيما اللعوي منه، مجموعة آلية، وليس على الإطلاق صورة أو وحدة صورية أي شبكة من العلاقات والقيم

(53) Jacqueline Fontaine: *Le cercle linguistique de Prague* Tours, Paris, Mame, 1972

كما حاول ياكبسون وضع منهج شامل ومتكامل للصنّوات التاريخية، اعتبر فيه أن أي ظاهرة صوتية يجب أن تعالج على أنها بناء يرتبط ببنيات صوتية أخرى أكثر تعقيداً. إنّ أول مبدأ في الصنّوات التاريخية هو دراسة التطوّرات بالنظر إلى النّسق الذي وقعت فيه، وأن كلّ تغيير يطرأ على الأصوات اللّغوية، لا يمكن توضيحه إلا داخل نسق صوتي محدّد. وينتج عنّا حين دراسة تطوّر كل وحدة صوتية من الوجهة التاريخية، أن نبحث في أوجه العلاقات المتبادلة بين هذه الوحدة وباقي وحدات النّسق، قبل التّغيير الحاصل وبعده، اعتماداً على المعطيات المتوافرة لدينا حول الحالات اللّغوية قبل التّغيير وبعده.

4.8. الإنسان والتاريخ

هذا فيما يتعلّق بالمعنى الأوّل للتاريخ. أمّا إذا كان المقصود بإبعاد التاريخ في التحليل البنيوي هو إهمال المعطيات الخارجية للظواهر المدروسة من قبيل المعطيات الاجتماعية والنفسية والثقافية، وما إلى ذلك، وبعبارة واحدة، إبعاد الإنسان من حيّز الدراسة البنيوية، أو ما وصفه البعض «بموت الإنسان» في التحليل البنيوي (عبارة روجيه غارودي)، فإنّ هذا الحكم لا ينطبق على كلّ التّيارات البنيوية سواء في اللّسانيّات أو في غيرها، وبالتالي يحتاج الأمر إلى نوع من التدقيق والتمحيص.

إن الدراسات البنيوية ليست كلّها دراسات شكلية مثلما هو الحال عند هاريس وهيلمسليف، بل هناك لسانيّون بنيويّون وظيفيّون يدعون إلى ضرورة إدماج البعد الوظيفي للغة في التحليل اللّساني والاجتماعي، مع ما ينتج عن هذا الإدماج من الاستعانة بمعطيات اجتماعية ونفسية وثقافية تخصّ الفرد والمجتمع على السّواء. فاللّسانيّات الوظيفية *Fonctionnalisme* بمختلف مشاربها (براغ - لندن - باريس) لسانيّات واقعية تهتم بدراسة الواقع اللّغويّ للفرد والجماعة، وتركّز على ما يجعل من الوظيفة الأساس للغة هو التواصل داخل المجتمع. إنّ اللّسان وسيلة لتحقيق بعض الأهداف من بينها نقل التجارب اليومية. كما أنّنا نستعمل اللّسان لتحقيق بعض الوظائف. نحن نستعمل اللّسان لوظيفة معينة أو لوظائف محدّدة على نحو ما بيّن ياكبسون في نموذج الوظائف. إنّ وصف اللّسان في عرف الوظيفيّين، يعني بالدرجة الأولى، توضيح وإبراز العوامل التي يستعملها اللّسان

(من خلال المتكلم) لتحقيق هذه الوظائف. وتعتبر الوظيفية أن أهمية الممارسة اللسانية وقيمتها النظرية والمنهجية تكمن في مدى قدرتها وفعاليتها على إبراز هذه العوامل، وفي مقدمتها الإنسان في مختلف مظهراته اللسانية.

هذا التيار الواقعي في اللسانيات وغيرها من العلوم الإنسانية (ماليونفسكي في الأنثروبولوجيا)، يقابله تيار آخر في الدرس اللساني وفي العلوم الإنسانية، هو التيار الشكلي الذي يركز اهتمامه على المصادر الأساسية التي ينبغي أن تتوافر في نظرية لسانية معينة لتحليل الوقائع اللسانية أو الاجتماعية. إن الوظيفية تنظر إلى السلوك اللغوي ووظائفه المتعددة في شتى المناحي، بينما يركز التصور الشكلي اهتمامه على نتائج الوصف اللساني لا في إطار علاقتها بالسلوك اللغوي وإنما بالنظر إلى التماسك النظري مع المبادئ والمقدمات النظرية التي ينطلق منها الباحث⁽⁵⁴⁾.

على أن ما تقدمه المقاربة اللسانية البنوية يطرح العديد من التساؤلات التصورية التي يمكن تلخيص بعض منها فيما يلي⁽⁵⁵⁾:

- إنها تعتقد اعتقاداً راسخاً بمادية البنية اللسانية، وهو ما يصعب تبريره من وجهة نظر علمية محضة. من الناحية الفلسفية، إنها مسألة عبثية جداً، لأن اللسان لا يملك أي ماهية مادية قارة، ولكنها ماهية عرضية. إن اللسان بناء يقوم على بث الأفراد ويتناقلونه عن طريق الاكتساب.
- الاعتقاد بأن عالمنا محكوم قَبْلِيّاً بأفكار محكومة بدورها باللغة. وفي هذا الموقف مثالية مفرطة لا تختلف كثيراً عن مثالية أفلاطون وديكارت وكانط.
- الطابع الاختصاري: تختصر اللسانيات البنوية كل ما هو فكري وثقافي في اللغة معتبرة أن الحقيقة الوحيدة القادرة على كشف تجليات اللغة ومظاهرها وجوانبها المتعددة هي البنية. والواقع أن كل ثقافة شبكة معقدة من العلامات الدالة التي تسمح بعدة أنواع من التواصل، وليست اللغة إلا نوعاً واحداً منها.

(54) A. Martinet: *La linguistique: guide alphabétique*, Paris, Denoël Gonthier, 1968.

(55) Patrick Guelpa: *Introduction à l'analyse linguistique*, Paris, Armand Colin,

1997, p. 46.

خاتمة

كان سعينا في فصول هذا الكتاب تقديم عرض مختصر ومركّز لأهم القضايا المرتبطة باللسانيات في صورتها العامة. وقد حاولنا تتبع التحوّلات التصوّرية والمنهجية التي عرفها الدرس اللغوي في بعدها التاريخي من خلال تقديم مفصل للمراحل التي مرّ بها الفكر اللغوي الإنساني عارضين لكل الآراء والتصورات - من دون أن نسقط في اعتقادنا - في التاريخية المباشرة التي تحوّل التاريخ أياً كان المجال إلى سرد حكائي وعجائبي للأفكار والاقتراحات، كما حاولنا من جهة ثانية النظر إلى هذا التاريخ بعيون الحاضر تاركين للتصورات والأحداث الفكرية في مجال اللغة حقّها في عرض نفسها. والمرحلة التوفيقية بروافدها الثلاثة (هندية/يونانية/عربية إسلامية) تكشف عن القواسم المشتركة بين هذه الحضارات في المجال اللغوي. وعرضنا في الباب الأول والثالث أساسيات الرؤية اللسانية للموضوع الذي هو اللسان/اللغة، نظراً إلى ما لهذا التحديد من أهمية نظرية ومنهجية في تأسيس اللسانيات وعلميتها. وأخيراً، قدّمنا جملة من المفاهيم الأساس في التحليل اللساني البنيوي المتبع في مختلف المدارس اللسانية الوصفية، انطلاقاً من بعض الأمثلة التوضيحية. وحرصنا رغبة في التوضيح، على عدم الخوض في العديد من الموضوعات اللغوية التي قدّمناها بدرجات متفاوتة من التوفيق العديد من الأدبيات العربية، وهي موضوعات لم يعد اليوم للكثير منها أي أهمية، على الأقلّ بالكيفية التي تُعرض بها في المؤلفات العربية. كما حاولنا الابتعاد عن صميم الدرس اللساني بمعناه الدقيق حتى لا نساهم في تيه القارئ العربي على الأقلّ حتى يشتدّ عوده وتزداد حمولته المعرفية. ولهذه الغاية عملنا على تجنّب التفريعات والتفاصيل النظرية والمنهجية حتى الاصطلاحية والاختلاف في وجهات النظر، على أمل تناولها في مؤلّف مقبل حول المضامين النظرية والمنهجية في مختلف الاتجاهات اللسانية الحديثة. ولم

يكن بإمكاننا أن نعرض لكلّ الأمور المتعلقة باللسانيات العامة، فذلك ما ليس في مقدور مؤلف من هذا النوع أن يتحمل مسؤوليته، والأمل معقود على أقلام وكفاءات عربية أخرى تساهم بدورها في نشر معرفة علمية باللسانيات تكون واضحة ومفهومة. فأما الوضوح في الفهم والإدراك فقد حاولنا الاقترب منه ما أمكن بالابتعاد عن التأويلات المخاطئة للأفكار والتصورات اللسانية مفهومات ومصطلحات والتحلي ولو مؤقتاً عن الربط بين المفاهيم والمصطلحات اللغوية المستعملة في الدرس اللغوي العربي القديم وذلك كي نضع المفاهيم والتصورات اللسانية الحديثة في سياقها التاريخي ونضبط مرجعيتها والعوامل المؤدية إليها. ولم نجد بداً من الإشارة إلى العديد من مظاهر الخلط في بعض الكتابات العربية «اللسانية» سواء فيما يتعلق بنوع المادة المقدمة أو فيما يتعلق بالمصطلحات المستعملة أو التمثيل لها. وليس معنى هذا أننا استنفدنا جميع القضايا اللسانية التي يتعين الإلمام بها. فما قلّمناه ليس سوى جزء يسير من ثقافة واسعة الأطراف يحتاج الإلمام بها ليس فقط إلى التحلي بالقدرة على سبر أغوار المصادر والمراجع، بل كذلك إلى الاستعداد للتنازل عن كثير من الأفكار الجاهزة حول اللغة البشرية وحول الأنساق اللسانية الخاصة. وعزمنا قوياً على الاستمرار في القيام بهذه المهمة النبلية حتى لا تبقى المعرفة أياً كانت طبيعتها حكراً على فئة من الناس دون أخرى.